بسم الله الرحمن الرحيم
[وبه نستعين[1]]

قال الشيخ، الإمام، [العالم[2]]، العلاَّمة، شيخ الإسلام، ([3]مفتي الأنام، أوحد عصره، وفريد دهره، ناصر السُنَّة، وقامع البدعة[3])، [تقي الدين[4]]، أبو العباس، أحمد بن [الشيخ[5]]، ([6]الإمام، العلاَّمة[7]، شهاب الدين[6]) عبد الحليم[8] بن [(*الشيخ[9]]، الإمام، العلاَّمة، شيخ الإسلام[10] مجد الدين[11]، [أبي البركات[12]]*) عبد السلام ابن تيميَّة [الحرَّاني[13]] رضي الله عنه [وأرضاه[14]] :

خطبة الكتاب

الحمد لله، [نحمده و] نستعينه[15]، ونستغفره[16]، ونعوذ بالله[17]

(١) وبه نستعين : زيادة من (ت)، وبدلا منها في (ب) : رب يسر وأعن.
(٢) العالم : ليست في (غ).
(٣ـــ٣) ما بينهما في (غ) فقط.
(٤) تقي الدين : ليست في (غ).
(٥) الشيخ : زيادة من (ب ، ر).
(٦ـــ٦) ما بينهما ليس في (ت ، ح).
(٧) العلامة : في (غ) فقط.
(٨) ب : ابن عبد الحليم.
(*ـــ*) ما بينهما ليس في (ت، ح).
(٩) الشيخ : زيادة من (م ، ب ، ر).
(١٠) شيخ الإسلام : في (غ) فقط.
(١١) ر : محي الدين. وهو خطأ.
(١٢) أبي البركات : ليست في (غ ، ت ، ح).
(١٣) الحراني : ليست في (غ ، ب).
(١٤) وأرضاه : ليست في (غ) ، ت : رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة منقلبه ومثواه.
(١٥) كذا في (ت ، ح) ، النسخ الأخرى : الحمد لله نستعينه.
(١٦) كذا في (م ، ح) ، النسخ الأخرى : ونستهديه ونستغفره.
(١٧) ح : ونعوذ به.

من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده[1] الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد(٢) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد(٢) أن محمدا[3] عبده ورسوله(٤) صلى الله

---

(١) كذا في (ح) ، م : يهد، النسخ الأخرى : يهدي.

(٢) غ ، ب ، ر : ونشهد. بالجمع في الموضعين، وهو خلاف لفظ أحاديث خطبة الحاجة، ثم إن ابن القيم نقل عن ابن تيمية حكمة الإفراد، قال : « لما كانت كلمة الشهادة لا يتحملها أحد عن أحد ولا تقبل النيابة بحال أفرد الشهادة بها... » وأيضا فهي « .. خبر يطابق عقد القلب وتصديقه، وهذا إنما يخبر به الإنسان عن نفسه لعلمه بحاله..» انظر سائر كلامه في تهذيب سنن أبي داود ٥٤/٣.

(٣) غ : سيدنا محمدا.

(٤) هذا بعض من خطبة الحاجة رواها عنه ﷺ مجموعة من أصحابه. انظرها عن ابن مسعود بإسنادين أحدهما منقطع عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه، فأبو عبيدة لم يسمع من أبيه [انظر سنن النسائي ٨٦/٣]. والآخر متصل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله.

أخرج الحديث بالسند المتصل النسائي ٧٣/٦ـــ٧٤ كتاب النكاح، ما يستحب من الكلام عند النكاح ؛ الترمذي (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي) ٢٣٧/٤ـــ٢٣٨ في النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، ابن ماجه ٦٠٩/١ـــ٦١٠ (رقم ١٨٩٢) كتاب النكاح باب خطبة النكاح.

وبالمنقطع أبو داود (عون المعبود شرح سنن أبي داود) ١٥٣/٦ كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، النسائي ٨٥/٣ـــ٨٦ كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة، أحمد (ط. دار المعارف) ٢٧١/٥ـــ٢٧٢ (رقم ٣٧٢٠) ، ٨١/٦ (رقم ٤١١٥)، الحاكم في المستدرك ١٨٢/٢ـــ١٨٣. قال الترمذي ٢٣٨/٤ـــ٢٣٩ : « حديث عبد الله حديث حسن رواه الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي ﷺ، ورواه شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله عن النبي ﷺ، وكلا الحديثين صحيح لأن إسرائيل جمعهما فقال : عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ ».

وأخرجه بالإسنادين من جمع إسرائيل الذي أشار إليه الترمذي ـــ أبو داود ١٥٣/٦ـــ١٥٥، أحمد (ط، دار المعارف) ٨١/٦ (رقم ٤١١٦)، ومن جمع شعبة عن أبي إسحاق أحمد (ط، دار المعارف) ٢٧٢/٥ (رقم ٣٧٢١).

عليه[١] وعلى آله[٢] [وصحبه[٣]] وسلم تسليما[٤] [كثيرا[٥]].

موضوع الكتاب وأسباب تأليفه (توحيد الله)

أما بعد : فقد سألني من تعينت إجابتهم أن أكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في بعض المجالس، من الكلام في التوحيد والصفات، وفي الشرع والقدر[٦]، لمسيس الحاجة إلى تحقيق هذين الأصلين، وكثرة الاضطراب فيهما، فإنهما مع حاجة كل أحد إليهما، ومع أن أهل النظر والعلم، والإرادة والعبادة[٧]، لابد أن يخطر لهم[٨] في ذلك من الخواطر والأقوال ما يحتاجون معه إلى بيان الهدى من الضلال، لا سيما مع كثرة من خاض في ذلك بالحق تارة، وبالباطل تارات، وما يعتري القلوب في ذلك[٩] من الشُّبه التي توقعها في أنواع الضلالات.

الكلام في توحيد الربوبية والصفات من باب الخبر، وفي توحيد الشرع والقدر من باب الطلب

فالكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر، الدائر بين النفي والإثبات، والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة، الدائر بين الإرادة والمحبة، وبين الكراهة والبغض نفيا وإثباتا.

---

(١) غ ، م : عليه وسلم.
(٢) وعلى آله : ليست في (ت).
(٣) وصحبه : ليست في (غ).
(٤) تسليما : ليست في (ح).
(٥) كثيرا : زيادة في (ب ، ت ، ر).
(٦) ت ، ح : في التوحيد والصفات والشرع والقدر.
(٧) ر ، ح : والعباد.
(٨) غ : لابد لهم من أن يخطر لهم ؛ م : لابد لهم أن يخطر لهم.
(٩) م : مع ذلك.

والإنسان يجد[١] في[٢] نفسه الفرق بين النفي والإثبات، والتّصديق والتكذيب، وبين الحبّ والبغض، والحضّ والمنع[٣]، حتى إن الفرق بين هذا النوع وبين النوع الآخر معروف عند العامة والخاصة، معروف عند أصناف[٤] المتكلمين في العلم، كما ذكر ذلك الفقهاء في كتاب الأيمان(٥)، وكما ذكره المقسِّمون للكلام من أهل [النظر[٦]] والنحو والبيان، فذكروا أن الكلام نوعان : خبر وإنشاء، والخبر دائر بين النفي والإثبات، والإنشاء : أمر أو نهي أو إباحة.

محمل الواجب على العبد في توحيد الله

وإذا كان كذلك فلابدّ للعبد أن يثبت لله ما يجب[٧] إثباته له من صفات[٨] الكمال، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما[٩] يضادّ هذه الحال. ولابدّ له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره، فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته، وعموم مشيئته، ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه من القول والعمل، ويؤمن[١٠] بشرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل.

---

(١) ت : قد يجد.

(٢) غ : من.

(٣) ب ، ر : وبين الحض والمنع.

(٤) ت ، ح : .. والخاصة وعند اصناف.

(٥) مما يذكره الفقهاء في هذا أن الحلف نوعان :
١)على مستقبل : ويراد به تحقيق شيء ممكن في المستقبل بقول يقصد به الحث على فعل الممكن أو تركه.
٢)على ماض : وهذا إما بر وهو الصادق، أو غموس وهو الكاذب، أو لغو. ولابن تيمية في هذا الموضوع تفصيلات أخرى انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ط. الرياض) ٣٥/٣٠٧ ــ ٣١٥.

(٦) النظر : سقطت من (غ).

(٧) ب : ما يجب.

(٨) غ : صفة.

(٩) غ : ...نفيه ومما.

(١٠) غ ، ب : ونؤمن.

وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له، وهو التوحيد في القصد[1] والإرادة والعمل[2]، والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول، كما دلت[3] على ذلك[4] سورة (قل هو الله أحد)، ودلت[5] على الآخر سورة (قل يا أيها الكافرون) وهما سورتا[6] الإخلاص[7]، وبهما كان يقرأ صلى الله عليه وسلم[8] بعد الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك(٩).

---

(١) القصد : سقطت من (ب).

(٢) ب : والعمل والإرادة.

(٣) ت ، ح : دل.

(٤) كذا في (ت ، ح) ؛ وفي النسخ الأخرى : هذا.

(٥) ح : ودل.

(٦) غ : سورتان.

(٧) غ : .. الإخلاص والكافرون. وبهذه الزيادة يكون الكلام تكرارا لا يضيف معنى. والشيخ يريد أن السورتين أخلصتا نوعي التوحيد، وقد جاء في رواية الترمذي ٦٠٧/٣ في الحج، باب ما جاء ما يقرأ في ركعتي الطواف.. لحديث جابر بن عبد الله الآتي في تعليق رقم (٩) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الطواف بسورتي الإخلاص : قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد.
وانظر جواب أهل العلم والإيمان، ص ٦٥ واقتضاء الصراط المستقيم، ص ٤٦٥ لابن تيمية، وبدائع الفوائد ١٣٨/١ لابن القيم.

(٨) ت ، ح : وبهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ.

(٩) (ركعتا الفجر) في صحيح مسلم ٥٠٢/١ (رقم ٧٢٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر.. وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما ؛ سنن أبي داود ١٣٥/٤ في التطوع، باب ركعتي الفجر ؛ سنن النسائي ١٢٠/٢ كتاب الافتتاح، باب القراءة في ركعتي الفجر ...) ؛ سنن ابن ماجه ٣٦٣/١ (رقم ١١٤٨) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيما يقرأ في الركعتين قبل الفجر : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد.

الأصل الأول ـ توحيد الصفات
الأصل فيه

فأما الأول، وهو[1] التوحيد في الصفات، فالأصل[2] في هذا

وفي جامع الترمذي ٤٧٠/٢ في الصلاة، باب ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر والقراءة فيهما ؛ سنن ابن ماجة (رقم ١١٤٩) ؛ مسند أحمد (ط. دار المعارف) ٦٩/٧ (رقم ٤٩٠٩) عن ابن عمر قال : رمقت النبي ﷺ شهرا فكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد. قال الترمذي عنه : حديث حسن. وعند ابن ماجه (رقم ١١٥٠) وأحمد (ط. دار صادر) ١٨٤/٦، ٢٢٥ عن عائشة أيضا.

(ركعتا الطواف) روى مسلم ٨٨٦/٢ ـ ٨٩٢ (رقم ١٢١٨) كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، أبو داود ٣٦٠/٥ ـ ٣٨٥ كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ، النسائي ١٨٩/٥ كتاب مناسك الحج، القراءة في ركعتي الطواف، الترمذي ٦٠٧/٣ في الحج باب ما جاء ما يقرأ في ركعتي الطواف، أحمد (ط. دار صادر) ٣٢٠/٣ ـ حديث جابر بن عبد الله وفيه : أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى مقام إبراهيم قرأ (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) [سورة البقرة : ١٢٥] فصلى ركعتين فقرأ فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد.

(الوتر) أخرج أبو داود ٢٩٧/٤ـ٢٩٨ في الوتر، باب ما يقرأ في الوتر، ابن ماجة ٣٧٠/١ (رقم ١١٧١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيما يقرأ في الوتر، أحمد (ط. دار صادر) ١٢٣/٥ عن أبي بن كعب قال : كان رسول الله ﷺ يوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وروى الترمذي ٥٥٩/٢ في الوتر باب ما جاء ما يقرأ في الوتر، ابن ماجه (رقم ١١٧٢) عن ابن عباس بمعناه. وعند أبي داود ٢٩٩/٤، الترمذي ٥٦٠/٢ـ٥٦١، ابن ماجة (رقم ١١٧٣) عن عائشة. وقال عنه الترمذي : حديث حسن غريب.

(الركعتان بعد المغرب) في رواية لحديث ابن عمر الوارد في ركعتي الفجر عند أحمد (رقم ٤٧٦٣) أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر وفي الركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وعند الترمذي ٥٠٦/٢ـ٥٠٧ في الصلاة باب ما جاء في الركعتين بعد المغرب والقراءة فيهما عن عبد الله بن مسعود أنه قال : ما أحصي ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وقال عنه حديث غريب.

(١) غ : فهو.
(٢) م : والأصل.

الباب أن يوصف الله تعالى[1] بما وصف به نفسه، وبما وصفته به[2] رسله نفيا وإثباتا، فيُثبَت[3] لله ما أثبته[4] لنفسه، ويُنفى[5] عنه ما نفاه عن نفسه.

مذهب السلف فيه

وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات[6] ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه — مع ما أثبته[7] من الصفات — من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته[8]، فإن الله[9] ذم الذين يلحدون[10] في أسمائه وآياته، كما قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾(١١) وقال تعالى[12] : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾(١٣).

---

(١) تعالى : في (غ) فقط.
(٢) ح : وبما وصفه به، ب ، ر : ووصفه به.
(٣) م ، ب ، ر : فنثبت.
(٤) ب : ما يثبته، ر : ما ثبته.
(٥) م ، ب ، ر : وننفي.
(٦) إثبات : سقطت من (ر).
(٧) ح : مع إثبات ما أثبته.
(٨) كذا في (ت ، ح)، وفي النسخ الأخرى : في الآيات.
(٩) ت ، ح : فإن الله تعالى.
(١٠) م ، ب ، ر : ذم الملحدين.
(١١) سورة الأعراف : ١٨٠.
(١٢) م : وقال الله تعالى.
(١٣) سورة فصلت : ٤٠. في (ت) : (... لا يخفون علينا) الآية.

فطريقتهم تتضمن[١] إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة[٢] المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها[٣] بلا تعطيل، كما قال تعالى[٤] : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[٥]، ففي[٦] قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ رد للإلحاد والتعطيل.

طريقة الرسل في الإثبات والنفي

والله سبحانه وتعالى[٧] بعث رسله بإثبات مفصَّل، ونفي مجمل، فأثبتوا له[٨] الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل، كما قال تعالى[٩] : ﴿ فاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[١٠]، قال أهل اللغة : (هل تعلم له سميا) أي نظيرا يستَحِق مِثْل اسمه، ويقال مُسامِيًا يُسامِيه. وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس : هل تعلم له مِثْلا أو شبيها[١١].

شواهد ذلك من القرآن

وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾[١٢]، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وأنتم

---

(١) م : فطريقهم يتضمن.
(٢) م ، ر : مشابهة.
(٣) م : إثبات بلا تشبيه وتنزيه.
(٤) م : كما قال الله تعالى.
(٥) سورة الشورى : ١١.
(٦) ففي : سقطت من (ب).
(٧) وتعالى : في (غ) فقط.
(٨) ت ، ح : لله.
(٩) م : كما قال الله تعالى.
(١٠) سورة مريم : ٦٥.
(١١) كذا في (م) ، غ : له مثلا أو شبها، ت : له مثيلا أو شبيها، النسخ الأخرى : له سميا مثيلا أو شبيها. وأثبت ما في (م)، وهو يوافق ما في كتب التفسير انظر الطبري ١٦/٨٠، وانظر لتفسير اللغويين «لسان العرب» مادة « سما ».
(١٢) سورة الإخلاص : ٣ ، ٤.

تَعْلَمُون ﴾(١)، وقال تعالى : **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ والَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾**(٢)، وقال تعالى : **﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾**(٣)، وقال تعالى : **﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ﴾**(٤)، وقال تعالى : **﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ البَنَاتُ وَلَهُمُ البَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا المَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُون * أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ * فأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ ﴾**(٥) إلى قوله : **﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ * والحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾** (٦)، فسبَّح نفسه عما يصفه[٧] المفترون المشركون، وسلَّم على المرسلين، لسلامة ما قالوه[٨] من الإفك والشرك، وحمد نفسه إذ هو

---

(١) سورة البقرة : ٢٢.

(٢) سورة البقرة : ١٦٥.

(٣) سورة الأنعام : ١٠٠ — ١٠١. في (ت) : (... ولم تكن له صاحبه) الآية.

(٤) سورة الفرقان : ١ ، ٢. في (ت) : (... ولم يكن له شريك في الملك) الآية.

(٥) سورة الصافات : ١٤٩ — ١٦٠.

(٦) سورة الصافات : ١٨٠ — ١٨٢.

(٧) كذا في (ت ، ح) ، وفي النسخ الأخرى : يصف.

(٨) غ : ما قالوا.

سبحانه المستحق للحمد بما له من الأسماء والصفات وبديع المخلوقات.

وأما الإثبات المفصَّل[١]، فإنه ذكر من أسمائه وصفاته ما أنزله في محكم آياته، كقوله تعالى[٢] : ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾(٣) الآية[٤] بكمالها، وقوله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[٥] وقوله : ﴿ وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ﴾(٦)، ﴿ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ ﴾(٧)، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾(٨)، ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾(٩)، ﴿ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(١٠)، ﴿ وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ * ذُو العَرْشِ المَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾(١١)، ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١٢).

---

(١) غ : للمفصل.

(٢) تعالى : في (غ) فقط.

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥.

(٤) الآية : سقطت من (ب ، ر).

(٥) كذا في (غ)، وفي (ت) : (قل هو الله أحد) السورة، وفي النسخ الأخرى : (قل هو الله أحد * الله الصمد) السورة.

(٦) سورة التحريم : ٢. في (غ) : وهو العليم الحليم. وهو خطأ.

(٧) سورة الروم : ٥٤.

(٨) سورة الشورى : ١١.

(٩) سورة إبراهيم : ٤.

(١٠) سورة يونس : ١٠٧.

(١١) سورة البروج : ١٤ — ١٦.

(١٢) سورة الحديد : ٣ ، ٤.

وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾(١)، وقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾(٢) ، وقوله : ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(٣)، وقوله : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٤)، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾(٥)، وقوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ والمَلائِكَةُ ﴾(٦)، وقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾(٧).

وقوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾(٨)، وقوله : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾(٩)، وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(١٠)،

---

(١) سورة محمد : ٢٨. وقد جاءت هذه الآية في (م ، ب ، ر) بعد آية (رضي الله عنهم ورضوا عنه) الآتية.

(٢) سورة المائدة : ٥٤. في (ح) : (.. يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) الآية.

(٣) سورة المائدة : ١١٩. في (ح) : (.. ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه).

(٤) سورة النساء : ٩٣. في (ت ، ح) : وغضب الله عليه ولعنه) فقط.

(٥) سورة غافر : ١٠. في (ت) : (.. من مقتكم أنفسكم) الآية.

(٦) سورة البقرة : ٢١٠.

(٧) سورة فصلت : ١١.

(٨) سورة النساء : ١٦٤.

(٩) سورة مريم : ٥٢.

(١٠) سورة القصص : ٧٤.

وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(١).

وقوله تعالى[٢] : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَـٰهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَـٰهَ إِلا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾(٣) .

إلى أمثال[٤] هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في أسماء الرب تعالى[٥] وصفاته، [(٦فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته٦)] على وجه التفصيل، وإثبات وحدانيته بنفي[٧] التمثيل ما هدى الله به عباده[٨] إلى سواء السبيل، فهذه طريقة الرسل صلى الله عليهم أجمعين[٩] .

طريقة مخالفي الرسل

وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين

---

(١) سورة يس : ٨٢. وليست الآية في (ر).
(٢) تعالى : ليست في (ح).
(٣) سورة الحشر : ٢٢ــ٢٤. في (ت) : (.. الجبار المتكبر) السورة.
(٤) غ : مثال.
(٥) ب ، ر : في أسماء الرب تبارك وتعالى.
(٦ــ٦) : ما بينهما سقط من (غ).
(٧) غ : ينفي.
(٨) ت : ما هدى الله عباده به ؛ ر : ما هدى به الله عباده.
(٩) ت ، ح : صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أوتوا الكتاب، ومـن دخـل في[1] هؤلاء من الصابئـة(٢) والمتفلسفـة

(١) غ ، ر : من.

(٢) م ، ر : الصابية. في الملل والنحل للشهرستاني ٢/٧٠ « الفرق في زمان إبراهيم الخليل راجعة إلى صنفين : الصابئة والحنفاء »، ويذكر أن كلا الصنفين قال : إنّا نحتاج في معرفة الله وطاعته إلى متوسط. لكن قالت الصابئة : يجب أن يكون ذلك المتوسط روحانيا لا جسمانيا، وقالت الحنفاء : بل يكون من جنس البشر وتكون له العصمة والتأييد. يقول الشهرستاني ٢/٧١ : « ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البحته فزعت جماعة إلى هياكلها وهي السيارات السبع وبعض الثوابت ». وفي ٢/٩٥ يرجع لقب « الصابئة » الى اللغة فيقول : « قد ذكرنا أن الصبوة في مقابلة الحنيفية وفي اللغة صبا الرجل إذا مال وزاغ فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة ».

ويقول ابن تيمية (الرد على المنطقيين ص ٢٨٨) « إن الصابئة نوعان : صابئة حنفاء موحدون وصابئة مشركون، فالأولون هم الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى : (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والنَّصَارَى والصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**) [سورة البقرة : ٦٢].

ويقول البيروني (الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٠٥) عن صابئة حران : « ونحن لا نعلم منهم إلا أنهم أناس يوحّدون الله، وينزهونه عن القبائح، ويصفونه بالسّلب لا الإيجاب، كقولهم : لا يُحَدّ ولا يُرى ولا يَظْلم ولا يجور، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازا إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها ويعظمون الأنوار ».

وابن تيمية يصف بعض النفاة من فلاسفة ومعتزلة وغيرهم بالصابئة إما لتشابه تصور هذه الفرق لذات الله سبحانه وتعالى أو أنه يلحـظ المعنـى اللغـوي لـ « الصابئة ».

وانظر لزيادة التفصيل عن الصابئة :

الآثار الباقية، ص ٢٠٤ــ٢٠٧، الملل والنحل ٢/٧٠ــ٧٢، ٩٥ وما بعدها، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص ٩٠، الخطط للمقريزي ٢/٣٤٤، الرد على المنطقيين ص ٢٨٧ــ٢٨٩، ٤٥٤ــ٤٥٥، تفسير الطبري (ط. دار المعارف) ٢/١٤٥ــ١٤٧، تفسير ابن كثير ١/١٨٩ــ١٩١.

والجهمية(١)، والقرامطة الباطنية(٢)، ونحوهم فإنهم على ضد ذلك،

---

(١) الجهمية هم أتباع جهم بن صفوان (ت ١٢٨ هـ) ومن أشهر بدعه : نفي الصفات، وقوله بالإرجاء (الإيمان هو المعرفة فقط)، وبالجبر، وبفناء الجنة والنار. انظر عنه وعن آرائه : الرد على الجهمية للإمام أحمد، ص ٦٤ وما بعدها، خلق أفعال العباد للبخاري، ص ١١٨ـ١٣٧ (وكلاهما ضمن مجلد بعنوان « عقائد السلف » نشرته منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧١ م))، مقالات الإسلاميين ٢١٤/١، ٣٣٨، البدء والتاريخ ١٤٦/٥، الفرق بين الفرق، ص ١٩٩ـ٢٠٠، التبصير في الدين، ص ٦٣ـ٦٤، الملل والنحل للشهرستاني ١٠٩/١ـ١١٢، الخطط للمقريزي ٣٥٠/٢، ٣٥١؛ ٣٥٧، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي، تاريخ الطبري ٦/٦، البداية والنهاية ٢٦/١٠ـ٢٧، ميزان الاعتدال ٤٢٦/١، لسان الميزان ١٤٢/٢، الأعلام ١٣٨/٢ـ١٣٩.

وقد توسع كثير من السلف في إطلاق هذا اللقب على نفاة الصفات عموما باعتبار أن الجهمية الأولى هي الأم لما جاء بعدها من فرق قالت بنفي الصفات، وسترى أن الشيخ هنا لا يورد رأيا لأصحاب جهم بل سيورد رأي المعتزلة وهو يقول (منهاج السنة ٣٤٤/١) : « إن كل معتزلي جهمي » وقبله يورد رأي الباطنية وهو يسميهم بعد ذلك، ص٦٣ بالجهمية المحضة، وفي ص ١٥١ يقول : « .. مع أنه أصل قول القرامطة الباطنية وأمثالهم من الجهمية ».

وانظر لابن تيمية في توضيح هذا الاتجاه وفي تقرير مذهب جهم كتاب « التسعينية » (ضمن فتاوى ابن تيمية القاهرة ١٣٢٩ هـ) ٣١/٥ـ٤٢، منهاج السنة ٣٤٤/١، مجموع الفتاوى (ط. الرياض) ٢٢٧/٨ـ٢٣٠، ٣١١/١٢ـ٣١٢، التدمرية ص ١٨٨ ـ ١٩٠ من طبعتنا هذه.

(٢) ت ، ر : والقرامطة والباطنية. الباطنية : هم الذين جعلوا لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا، ويذكر المؤرخون لهم ألقابا كثيرة تدل على أنهم يدرجون تحت وصف « الباطنية » مجموعة من الفرق قالت كلها بالتأويل الباطني للنصوص وأظهر أكثرها التشيع، فمما ذكروه من ألقابهم : الباطنية، القرامطة، الإسماعيلية، النصيرية، الخُرَّمية، التعليمية، الملاحدة، الإباحية، ولذا لاحظ ابن تيمية (الرد على النصيرية، ص ١٤٣ ضمن مجموع طبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٠هـ) على هذه الألقاب أن « منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم ».

ويذكر البغدادي في الفرق بين الفرق، ص ٢٦٦ « أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ومحمد بن الحسين الملقب

=

فإنهم[1] يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان، فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية

بدندان، ثم ظهر حمدان قرمط... وإليه تنسب القرامطة، ثم ظهر أبو سعيد الجنابي... » وفي ص ٢٧٧ـــ٢٧٨ يذكر أنه ذهب أكثر المتكلمين « إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة، ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين » وذكر أدلة كل ثم قال : « والذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون : بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها ».

ويذكر الشهرستاني (الملل والنحل ٢٩/٢) : « أن الباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، فقالوا في الباري تعالى : إنّا لا نقول هو موجود ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات، فإن الإثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات » وقبله يقرر الغزالي (فضائح الباطنية، ص ٣٩) هذا المذهب وينبه إلى أنهم بهذا القول « يتطلعون لنفي الصانع فإنهم لو قالوا : إنه معدوم. لم يقبل منهم ». وانظر أيضا :

التنبيه والرد للملطي، ص ٢٠ـــ٢٢، الفرق بين الفرق ص ٢٦٥ـــ٢٩٩، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة لمحمد بن مالك بن أبي الفضائل، فضائح الباطنية للغزالي، الملل والنحل ٢٩/٢ـــ٣٦، قواعد عقائد آل محمد (الباطنية) لمحمد بن الحسن الديلمي، كتاب التسعينية ص ٤٠، وكتاب شرح العقيدة الاصفهانية ص ٦٧، ٧٠ـــ٧٤ وهما ضمن المجلد الخامس من فتاوى ابن تيمية مطبعة كردستان بالقاهرة ١٣٢٩ هـ، الخطط للمقريزي ٣٥٧/٢، مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٧/٢ وما بعدها.

وللوقوف على أخبار القرامطة وحربهم للإسلام والمسلمين انظر كتب التاريخ في حوادث النصف الثاني للقرن الثالث وإلى ما بعد منتصف القرن الرابع الهجري وقد ابتدأ ابن الأثير وابن كثير في الحديث عنهم في سنة ٢٧٨ هـ في الكامل ٤٤٤/٧، والبداية والنهاية ٦١/١١، وانظر كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز ٦٢ـــ٦٩.

(١) فإنهم : في (غ ، ب) فقط.

التمثيل، فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات[١]، ويعطلون الأسماء[٢] والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات.

مذهب الباطنية

فغاليتهم[٣] يسلبون عنه النقيضين، فيقولون : لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، لأنهم — بزعمهم — إذا[٤] وصفوه بالإثبات شبّهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبّهوه بالمعدومات، فسلبوا النقيضين، وهذا ممتنع في بدائه(٥) العقول، وحرّفوا ما أنزل الله تعالى[٦] من الكتاب، وما جاء به الرسول[٧] صلى الله عليه وسلم[٨]، ووقعوا[٩] في شرّ مما فروا منه[١٠]، فإنهم شبهوه بالممتنعات، [(١١إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما من الممتنعات١١)].

وقد علم بالاضطرار أن الوجود لابدّ له من موجد[١٢]، واجب

---

(١) غ : والجمادات والجامدات.
(٢) غ : للأسماء .
(٣) فغاليتهم : كذا في (غ) وفي (ت ، ح) : فغلاتهم، لكن في هامش (ت) كتب : فعامتهم، وفي النسخ الأخرى : فغالبهم.
(٤) ح : لأنهم يزعمون أنهم إذا.
(٥) ح : بداهة. وفي القاموس المحيط مادة (بدهه) « بَدَهَه بأمر كمَنَعَه استقبله به أو بدأه به، وأمر فجئه. والبَدْهُ والبَدَاهَةُ ويضمان والبديهةُ أوُل كل شيء وما يَفْجأُ منه وبادَهَه به مُبادهة وبِداهاً فاجأه به، ولك البديهة أي لك أن تبدأ. وهو ذو بديهة وأجاب على البديهة، وله بدائه بدائع ومعلوم في بدائه العقول ».
(٦) تعالى : في (غ) فقط.
(٧) ت : وما جاءت به الرسل.
(٨) صلى الله عليه وسلم : في (غ) فقط.
(٩) ت ، ح : فوقعوا.
(١٠) ر : .. مما كانوا فروا فيه.
(١١ــ١١) ما بينهما سقط من (غ).
(١٢) غ ، م ر : موجود.

بذاته، غني عما سواه، قديم، أزلي(١)، لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم. فوصفوه بما يمتنع وجوده، فضلًا عن الوجوب أو الوجود أو القدم.

مذهب ابن سينا وأتباعه

وقاربهم طائفة من الفلاسفة وأتباعهم، فوصفوه بالسلوب والإضافات، دون صفات الإثبات، وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق(٢).

وقد عُلم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من[٣] الموجودات، وجعلوا الصفة هي الموصوف، فجعلوا[٤] العلم عين العالم[٥]، مكابرة للقضايا البديهيات[٦]، وجعلوا هذه الصفة هي الأخرى فلم يميزوا بين العلم والقدرة والمشيئة جحدا[٧] للعلوم الضروريات.

---

(١) غ : موجود قديم واجب بذاته غني عما سواه قديم أزلي ؛ ب ، ر : قديم واجب غني بذاته عما سواه أزلي.

وقد ميّز ابن تيمية « مجموع الفتاوى (ط. الرياض) ٩/٣٠٠-٣٠١ » وابن القيم « بدائع الفوائد ١/١٦١، ١٦٢ » بين أسماء الله فهذه توقيفية وبين ما يُخبر به عنه للحاجة مما صح معناه ولم يرد به نص كالقول بإثبات أنه — سبحانه — شيء قديم موجود قائم بنفسه، في معرض الرد على من يقول : ليس بشيء ولا قديم ولا موجود ولا قائم بنفسه فهذا سائغ وإن كان لا يسمى بمثل هذه.

(٢) في هامش (غ) كتب : هذا مذهب ابن سينا وأتباعه. وقد نص ابن تيمية على هذا في عدة مواضع من كتبه : انظر مثلا مجموع الفتاوى (ط. الرياض) ٦/٥١٦-٥١٧.

(٣) من : سقطت من (ر).

(٤) غ : فيجعلون ، ب : فجلوا.

(٥) غ : العلم.

(٦) ب : للقضا بالبديهيات.

(٧) غ : جحدوا.

مذهب المعتزلة وأتباعهم

وقاربهم طائفة ثالثة من أهل الكلام من المعتزلة(١) ومن اتّبعهم فأثبتوا له[٢] الأسماء دون ما تضمنته[٣] من الصفات، فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات، ومنهم من قال : عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بصير بلا سمع ولا بصر [٤]، فأثبتوا الاسم دون ما تضمّنه[٥] من الصفات.

والكلام على فساد مقالة هؤلاء وبيان تناقضها[٦] بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول مذكور في غير هذه[٧] الكلمات.

(١) اختلف مؤرخو نشأة المعتزلة في سبب اللقب، وأشهر ما قيل أن رجلا جاء إلى الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) يسأله عن حكم مرتكب الكبيرة، فأجاب أحد تلامذته وهو واصل بن عطاء الغزال (ت ١٣١ هـ) بأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى مكان آخر، فقال الحسن : اعتزل عنّا واصل. فسمي هو وأصحابه بالمعتزلة. والمعتزلة فرق كثيرة لكل فرقة آراء تميزت بها، لكن اتفقوا على أصول خمسة هي : التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولهم تفسيراتهم الخاصة لهذه الأصول. قوى أمرهم في عهد المأمون والمعتصم والواثق (١٩٨—٢٣٢ هـ) فحملوهم على امتحان الناس في القول بخلق القرآن. انظر : مقالات الإسلاميين ٢٣٥/١ وما بعدها، التنبيه والرد للملطي، ص ٣٥—٤١، الفرق بين الفرق، ص ٩٣ وما بعدها، التبصير في الدين، ص ٣٧—٥٨، الملل والنحل للشهرستاني ٥٤/١ وما بعدها، مجموع فتاوى ابن تيمية (ط. الرياض) ٩٧/١٣—٩٩، ١٢٦—١٣٠، الخطط للمقريزي ٣٤٥/٢—٣٤٨، كتاب « المعتزلة » لزهدي حسن جار الله (القاهرة ١٣٦٦ هـ).

(٢) ت ، ح : لله.

(٣) ت ، ح : ما تتضمنه، ر : ما تضمنه.

(٤) ر : سميع بلا سمع، بصير بلا بصر.

(٥) غ : ما تضمنته.

(٦) ب ، ر : نواقضها.

(٧) ح : هؤلاء.

ضلال أصحاب هذه المذاهب وجهلهم

وهؤلاء جميعهم يفرون من شيء فيقعون في نظيره وفي شر منه، مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات[1]، ولو أمعنوا النظر لسوّوا بين المتماثلات، وفرّقوا بين المختلفات، كما تقتضيه[2] المعقولات، ولكانوا[3] من الذين أوتوا العلم الذين يرون أن ما أنزل إلى الرسول هو الحق من ربه ويهدي إلى صراط العزيز الحميد، ولكنهم من أهل المجهولات المشبَّهة[4] بالمعقولات، يسفسطون في العقليات، ويقرمطون في السمعيات(٥).

---

(١) ت ، ح : من التحريف والتعطيل.

(٢) ت : تقضيه.

(٣) غ : ولو كانوا، م : وكانوا.

(٤) ب : المشتبه.

(٥) يراد بالسفسطة التمويه والخداع والمغالطة في الكلام، وهي لفظ معرّب مركب في اليونانية من « سوفيا » وهي الحكمة، ومن « اسطس » وهو المموّه فمعناه حكمة مموّهة.

ومؤرخو الفلسفة اليونانية يكتبون عن السوفسطائيين وهم أناس عرفوا بهذه المهنة التي ازدهرت في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد. انظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٢٢/١ــ٣٢٤ وإحصاء العلوم للفارابي، ص ٨١ وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، ص ٤٥ وما بعدها.

وأما القَرْمَطة فقد جاء في لسان العرب : القَرْمَطة في الخط تداني الحروف، وفي المشي مقاربة الخطو، واقْرَمَّط الجلد إذا تقارب وانضم بعضه الى بعض، واقْرَمَّط الرجل إذا غضب وتقبّض، والقُرموط زهر الفضا وهو أحمر.

ويذكر ابن الجوزي في تلبيس ابليس، ص ١٠٤ قولين في سبب تسمية القرامطة بهذا الاسم :

أحدهما ــ أن داعية لهم من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة ونزل على رجل يقال له كرميته، لقب بهذا لحمرة عينيه، فسمي الداعية باسم الذي كان نازلا عليه ثم خفف فقيل : قرمط.

الثاني ــ أنه نسبة إلى حمدان قرمط الذي يقول عنه صاحب الفرق بين الفرق، ص ٢٦٦ : إنه لقِّب بذلك لقرمطة في خطه أو في خطوه.

والظاهر أن ابن تيمية رحمه الله يريد بالقرمطة في السمعيات مذهب القرامطة وهو ادعاء أن لها باطنا يخالف ظاهرها. انظر فيما سبق ص ١٤ ت ٢.

الموجود إما الخالق وإما المخلوق ولكل منهما وجود يخصه

وذلك أنه قد عُلم[١] بضرورة العقل أنه لابد من موجود[٢] قديم غني عما سواه، إذ نحن نشاهد حدوث المحدثات [٣] كالحيوان والمعدن والنبات، والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع، وقد عُلم بالاضطرار ان المحدَث لابد له من محدِث، والممكن لابد له من واجب[٤]، كما[٥] قال تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ ﴾(٦)، فإذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق ولا هم الخالقون لأنفسهم تعين أن لهم خالقا خلقهم.

اتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات

وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وما هو مُحْدَث ممكن، يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود ولا[٧] يلزم من اتفاقهما في مسمى « الوجود » أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصّه [ووجود هذا يخصّه[٨]]، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص[٩] ولا في غيره، فلا يقول [عاقل][١٠] — إذا قيل : إن العرش [شيء][١١] موجود وإن البعوض شيء موجود — إن هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى « الشيء »

---

(١) ت : علم علما.
(٢) كذا في جميع النسخ لكن في هامش (ت) كتب : موجد.
(٣) ب ، ر : المخلوقات.
(٤) ح : موجد.
(٥) كما : ليست في (م).
(٦) سورة الطور : ٣٥.
(٧) م ، ر : فلا.
(٨) عبارة « ووجود هذا يخصه » ساقطة من (غ).
(٩) ت ، ح : والتخصيص والتقييد.
(١٠) عاقل : سقطت من (غ).
(١١) شيء : سقطت من (غ).

و « الوجود »، لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه، بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كليا هو مسمى الاسم المطلق، وإذا قيل : هذا موجود وهذا موجود، فوجود كلّ منهما يخصه لا يشركه فيه غيره[1]، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما.

أسماء الله وصفاته مختصة به وإن اتفقت مع ما لغيره عند الإطلاق

ولهذا سمّى الله نفسه بأسماء وسمّى صفاته بأسماء، فكانت[2] تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمّى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من[3] اتفاق الاسمين تماثل[4] مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص، لا اتفاقهما[5]، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلا عن أن يتحد[6] مسماهما عند الإضافة والتخصيص.

فقد سمّى الله نفسه حيّا، فقال : ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ** ﴾(٧) وسمّى بعض عباده حيّا، فقال : ﴿ **يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ من الحَيِّ** ﴾(٨) وليس هذا الحيّ مثل هذا الحي، لأن قوله[9] ﴿ **الحَيُّ** ﴾ اسم لله مختص به، وقوله ﴿ **يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ** ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما

---

(١) ب ، ر : شيء غيره.
(٢) فكانت : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : وكانت.
(٣) م : عند.
(٤) تماثل : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : وتماثل.
(٥) لا اتفاقهما : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : اتفاقهما.
(٦) ر : يتخذ.
(٧) سورة البقرة : ٢٥٥.
(٨) سورة الروم : ١٩.
(٩) قوله : سقطت من (ر).

يتفقـان إذا أُطلقا وجُرِّدا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمّى موجود[1] في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين، وعند الاختصاص يقيّد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق.

ولا بدّ من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يُفهم منها ما دلّ عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دلّ عليه بالإضافة والاختصاص، المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى.

وكذلك[2] سمّى الله نفسه عليما حليما، وسمّى بعض عباده عليما، فقال : ﴿ **وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ** ﴾[3] يعني إسحاق[4]، وسمّى آخر حليما، فقال : ﴿ **فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** ﴾[5] يعني إسماعيل، وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم.

وسمّى نفسه سميعا بصيرا، فقال : ﴿ **إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أن تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾[6] وسمّى بعض خلقه[7] سميعا بصيرا فقال : ﴿ **إنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن**

---

(١) م : موجودا.

(٢) ت : وكذا.

(٣) سورة الذاريات : ٢٨. في جميع النسخ : وبشرناه بغلام عليم. وهو خطأ.

(٤) يعني إسحاق : سقطت من (ب).

(٥) سورة الصافات : ١٠١. في جميع النسخ : وبشرناه بغلام حليم. وهو خطأ.

(٦) سورة النساء : ٥٨.

(٧) ت ، ح : عباده. وكذا في هامش (غ) وكتب فوقها حرف (خـ) فكأن معناه في نسخة أخرى.

﴿ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[(١)] وليس السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير[٢].

وسمّى نفسه بالرءوف الرحيم[٣]، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٤)] وسمّى بعض عباده بالرءوف الرحيم فقال : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٥)] وليس الرءوف كالرءوف، ولا الرحيم كالرحيم.

وسمّى نفسه بالملك، فقال : ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾[(٦)] وسمّى بعض عباده بالملك، فقال : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[(٧)]، ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾[(٨)] وليس الملك كالملك.

وسمّى نفسه بالمؤمن، فقال : ﴿ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾[(٩)] وسمّى بعض عباده بالمؤمن، فقال : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾[(١٠)] وليس المؤمن كالمؤمن.

---

(١) سورة الانسان : ٢.
(٢) ب : وليس السمع كالسمع ولا البصر كالبصر.
(٣) غ ، ر : بالرءوف والرحيم.
(٤) سورة البقرة : ١٤٣.
(٥) سورة التوبة : ١٢٨.
(٦) سورة الحشر : ٢٣.
(٧) سورة الكهف : ٧٩.
(٨) سورة يوسف : ٥٠.
(٩) سورة الحشر : ٢٣. في (غ ، ح) : وسمى نفسه بالمؤمن المهيمن. فقط، وفي (ت) : وسمى نفسه بالمؤمن المهيمن فقال : (المؤمن المهيمن).
(١٠) سورة السجدة : ١٨

وسمّى نفسه بالعزيز، فقال : ﴿ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾[1]، وسمّى بعض عباده بالعزيز، فقال : ﴿ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ ﴾[2] وليس العزيز كالعزيز.

وسمّى نفسه الجبار المتكبر، وسمّى بعض خلقه بالجبار المتكبر، فقال : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[3] وليس الجبار كالجبار، ولا المتكبر كالمتكبر.

ونظائر هذا متعددة.

وكذلك سمّى صفاته بأسماء، وسمّى صفات عباده بنظير ذلك، فقال : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾[4]، [وقال[5]] : ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾[6]، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[7]، وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾[8] .

وسمّى صفة المخلوق علما وقوة، فقال : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[9] ، وقال : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[10]، وقال : ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾[11]، وقال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي

---

(١) سورة الحشر : ٢٣.
(٢) سورة يوسف : ٥١.
(٣) سورة غافر : ٣٥.
(٤) سورة البقرة : ٢٥٥.
(٥) وقال : سقطت من (غ ، م ، ح).
(٦) سورة النساء : ١٦٦.
(٧) سورة الذاريات : ٥٨.
(٨) سورة فصلت : ١٥.
(٩) سورة الإسراء : ٨٥.
(١٠) سورة يوسف : ٧٦.
(١١) سورة غافر : ٨٣.

خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ ﴾(١) ، وقال : ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾(٢) ، وقال : ﴿ والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بأَييدٍ ﴾(٣) أي : بقوة، وقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ ﴾(٤) أي : ذا القوة(٥) ، وليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.

وكذلك وصف[٦] نفسه بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة، فقال : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُون إِلَّا أن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾(٧)، وقال : ﴿ إنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ سَبِيلاً * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أن يَشَاءَ اللَّهُ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٨).

وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده[٩] بالإرادة، فقال : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا واللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١٠).

---

(١) سورة الروم : ٥٤.
(٢) سورة هود : ٥٢.
(٣) سورة الذاريات : ٤٧.
(٤) سورة ص : ١٧.
(٥) كذا فسر الآيتين جميع من نقل عنهم الطبري فيهما ٢٧/٦، ٢٣/٨٦، ومنهم ابن عباس ومجاهد وقتاده وغيرهم.
(٦) ح : ووصف (بسقوط كذلك).
(٧) سورة التكوير : ٢٨ ، ٢٩.
(٨) سورة الإنسان : ٢٩ ، ٣٠.
(٩) م ، ت ، ح : وعبده (بسقوط وصف).
(١٠) سورة الأنفال : ٦٧.

ووصف نفسه بالمحبة، [ووصف عبده بالمحبة[1]]، فقال : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾(٢)، وقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾(٣).

ووصف نفسه بالرضا، [ووصف عبده بالرضا[4]]، فقال : ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(٥) .

ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد[6] ، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه.

وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾(٧) ، وليس المقت مثل المقت.

وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك، فقال : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾(٨)، وقال : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وأَكِيدُ كَيْدًا ﴾(٩)، وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد.

ووصف نفسه بالعمل، فقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾(١٠)، ووصف عبده

---

(١) عبارة « ووصف عبده بالمحبة » ساقطة من (غ).
(٢) سورة المائدة : ٥٤.
(٣) سورة آل عمران : ٣١.
(٤) عبارة « ووصف عبده بالرضا » ساقطة من (غ).
(٥) سورة المائدة : ١١٩.
(٦) ب : مشيئته.
(٧) سورة غافر : ١٠.
(٨) سورة الأنفال : ٣٠.
(٩) سورة الطارق : ١٥ ، ١٦.
(١٠) سورة يس : ٧١.

بالعمل، فقال[١] : ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾(٢)، وليس العمل كالعمل.

ووصف نفسه[٣] بالمناداة والمناجاة، في قوله[٤] : ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾(٥)، وقوله[٦] : ﴿ **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ** ﴾(٧)، وقوله[٦] : ﴿ **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا** ﴾(٨) ووصف عبده[٩] بالمناداة والمناجاة، فقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ** ﴾(١٠)، وقال : ﴿ **إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ** ﴾(١١)، وقال : ﴿ **إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ والعُدْوَانِ** ﴾(١٢) وليس المناداة كالمناداة، ولا المناجاة كالمناجاة[١٣].

ووصف نفسه بالتكليم[١٤] في قوله : ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾(١٥)، وقوله : ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ**

---

(١) غ ، م : كقوله.
(٢) سورة السجدة : ١٧. في (م ، ت ، ح) : جزاء بما كنتم تعملون. وهو خطأ.
(٣) ر : ووصف عبده نفسه.
(٤) ت ، ح : فقال.
(٥) سورة مريم : ٥٢.
(٦) ح : وقال.
(٧) سورة القصص : ٦٢.
(٨) سورة الأعراف : ٢٢.
(٩) عبده : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : عباده.
(١٠) سورة الحجرات : ٤.
(١١) سورة المجادلة : ١٢.
(١٢) سورة المجادلة : ٩.
(١٣) ح : وليس المناداة ولا المناجاة كالمناجاة والمناداة.
(١٤) غ : بالتكلم.
(١٥) سورة النساء : ١٦٤.

رَبُّهُ ﴾[١] ، وقوله : ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ** ﴾[٢] ، ووصف عبده بالتكليم[٣] في مثل قوله : ﴿ **وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ** ﴾[٤]، وليس التكليم كالتكليم[٥].

ووصف نفسه بالتنبئة، [ووصف بعض الخلق بالتنبئة][٦]، فقال : ﴿ **وإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي العَلِيمُ الخَبِيرُ** ﴾[٧] وليس الإنباء كالإنباء.

ووصف نفسه بالتعليم، ووصف عبده بالتعليم، فقال : ﴿ **الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ** ﴾[٨]، وقال : ﴿ **تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ** ﴾[٩]، وقال : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ** ﴾[١٠] وليس التعليم كالتعليم.

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٣.
(٢) سورة البقرة : ٢٥٣.
(٣) غ : بالتكلم.
(٤) سورة يوسف : ٥٤.
(٥) عبارة « وليس التكليم كالتكليم » في (غ) فقط، وسقطت من النسخ الأخرى.
(٦) عبارة « ووصف بعض الخلق بالتنبئة » سقطت من (غ).
(٧) سورة التحريم : ٣.
(٨) سورة الرحمن : ١ــ٤.
(٩) سورة المائدة : ٤.
(١٠) سورة آل عمران : ١٦٤.

وهكذا وصف نفسه بالغضب في قوله[1] : [2]﴿ **وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ** ﴾[3] ، ووصف عبده بالغضب في قوله[2] : ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا** ﴾[4] وليس الغضب كالغضب.

ووصف نفسه بأنه استوى على عرشه، فذكر[5] في سبع آيات[6] من كتابه أنه استوى على العرش[7] ، ووصف بعض خلقه[8] بالاستواء على غيره، في[9] مثل[10] قوله : ﴿ **لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ** ﴾[11]، وقوله : ﴿ **فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ** ﴾[12]، وقوله : ﴿ **وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ** ﴾[13] وليس الاستواء كالاستواء.

ووصف نفسه ببسط اليدين، فقال : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ**

---

(١) م ، ت ، ح : فقال.

(٢—٢) ما بينهما سقط من (ر).

(٣) سورة الفتح : ٦.

(٤) سورة الأعراف : ١٥٠.

(٥) ت ، ح : فذكر ذلك.

(٦) كذا في (م) ، وفي النسخ الأخرى : مواضع. مع أن العدد ذُكِّر في جميعها. وهذه الآيات هي : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) طه : ٥، (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) الأعراف :٥٤، يونس : ٣، الرعد : ٢، الفرقان : ٥٩، السجدة : ٤، الحديد : ٤.

(٧) على العرش : سقطت من (ب ، ر).

(٨) ب ، ر : عباده.

(٩) في : سقطت من (ت).

(١٠) مثل : سقطت من (ب ، ر).

(١١) سورة الزخرف : ١٣.

(١٢) سورة المؤمنون : ٢٨.

(١٣) سورة هود : ٤٤.

كَيْفَ يَشَاءُ ﴾(١)، ووصف بعض خلقه ببسط[2] اليد، في قوله : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ ﴾(٣)، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط، وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء والجود فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه، ولا جوده كجودهم. ونظائر هذا كثيرة.

نتيجة ما تقدم

فلا بد من إثبات ما أثبته[4] الله لنفسه، ونفي مماثلته[5] لخلقه، فمن قال : ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة[6] ولا كلام، ولا يحب ولا يرضى، ولا نادى ولا ناجى، ولا استوى ـــ كان معطلا، جاحدا، ممثلا لله[7] بالمعدومات والجمادات. ومن قال : [له][8] علم كعلمي، أو قوة[9] كقوتي، أو حب كحبي، أو رضا كرضاي[10]، أو يدان كيدَيّ[11]، أو استواء كاستوائي ـــ كان مشبِّها، ممثلا لله بالحيوانات، بل لابد من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

---

(١) سورة المائدة : ٦٤.
(٢) ب : ببعض.
(٣) سورة الإسراء : ٢٩.
(٤) ت : ما أثبت.
(٥) غ : ما أثبته. وواضح من كتابتها وبقاء أثر للممحى أنها معدلة عن « مماثلته ».
(٦) ر : علم ولا رحمة ولا قوة.
(٧) م : له.
(٨) له : سقطت من (غ ، م).
(٩) غ ، ت : وقوة.
(١٠) كذا في (م ، ر)، وفي النسخ الأخرى : كرضائي.
(١١) م ، ح : أو يدان كيداي، ت : أو يد كيدي.

الأصول والأمثلة والقواعد لبيان مذهب السلف ومناقشة مخالفيهم

ويتبين هذا بأصلين شريفين، وبمثلين مضروبين، — ولله المثل الأعلى — وبخاتمة جامعة.

فصل

الأصل الأول القول في بعض الصفات كالقول في بعض

فأما[1] الأصلان :

فأحدهما — أن يقال : القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

مناقشة من يثبت الصفات السبع دون غيرها

فإن كان المخاطب ممن[2] يقرّ[3] بأن الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة. ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته[4]، فيجعل ذلك مجازا، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات .

قيل له[5] : لا فرق بين ما نفيتَه وبين ما أثبتَه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإن قلت : إن إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل، وإن قلت : له[6] إرادة

---

(١) غ : وأما.
(٢) وهم الأشعرية — في المشهور عنهم — ومن يوافقهم.
(٣) م ، ح : يقول. وفي هامش (م) كتب : يقر وفوقها حرف (خـ).
(٤) وكراهيته : كذا في (غ ، ر)، وفي النسخ الأخرى : وكراهته.
(٥) ت ، ح : فيقال له.
(٦) كذا في (غ ، م) وفي النسخ الأخرى : إن له.

تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به [(*قيل لك[١] : وكذلك[٢] له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، (٣وله[٤] رضا وغضب يليق[٥] به*)]، وللمخلوق رضا وغضب يليق به٣).

وإن قال[٦] : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام.

قيل [**له**[٧]] : والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن قلت : هذه إرادة المخلوق[٨]. قيل لك : وهذا غضب المخلوق [٨].

وكذلك يُلْزَم بالقول[٩] في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته، إن نفى [عن][(١٠)] الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك ما[(١١)] هو من خصائص المخلوقين، فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات، وإن قال : إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه. قيل له : وهكذا[١٢] السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة.

(*ـ*) ما بينهما سقط من (غ).
(١) كذا في (ح) وفي النسخ الأخرى : قيل له.
(٢) م : كذلك. (بسقوط الواو).
(٣ـ٣) ما بينهما سقط من (ب).
(٤) ر : ولله.
(٥) م : تليق.
(٦) ح : وان قلت، ت : وان قلت إن...
(٧) له : سقطت من (غ)، ت ، ح : فيقال له.
(٨) ت : للمخلوق.
(٩) ب ، ح : القول (بسقوط الباء)، غ : ولذلك بالقول...
(١٠) ب ، ت ، ح : عنه. وسقطت من النسخ الأخرى، ولعل الصواب ما أثبته.
(١١) في جميع النسخ : مما. ولعل الصواب ما أثبته.
(١٢) غ : هكذا (بسقوط الواو).

فهذا المُفرِّق[١] بين بعض الصفات وبعض، يقال له فيما نفاه[٢] كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته، فإذا[٣] قال[٤] المعتزلي : ليس له إرادة ولا كلام قائم به، لأن هذه الصفات لا تقوم إلا بالمخلوقات[٥]، فإنه يُبيِّن للمعتزلي أن هذه الصفات يتصف بها القديم، ولا تكون كصفات المحدثات. فهكذا يقول له[٦] المثبتون لسائر[٧] الصفات من المحبة والرضا ونحو ذلك(٨).

الاحتجاج بإثبات العقل لهذه الصفات

فإن قال : تلك الصفات أثبتها بالعقل، لأن الفعل[٩] الحادث[١٠] دل على القدرة، والتخصيص دل على الإرادة، والإحكام دل[١١] على العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك.

الجواب عنه

قال له سائر أهل الإثبات : لك جوابان :

أحدهما : أن يقال : عدم الدليل المعيَّن لا يستلزم عدم المدلول المعيَّن، فهب أن ما سلكته[١٢] من الدليل العقلي لا يثبت

---

(١) ب : الفرق.
(٢) ر : فيما نفاه عنه.
(٣) ت : فان.
(٤) ر : قاله.
(٥) غ : بالمخلوقات بالمحدثات.
(٦) ت : يقوله.
(٧) ب ، ر : فهكذا نقول له كسائر...
(٨) يقصد الشيخ بقوله : « فإنه » أي الأشعري « يبين للمعتزلي أن هذه الصفات يتصف بها القديم ولا تكون كصفات المحدثات » وهذا الرد نفسه يرد به السني المثبت لسائر الصفات على الأشعري المثبت للسبع دون غيرها.
(٩) غ : بالفعل لأن الفعل، ب ، ر : بالعقل لأن العقل.
(١٠) الحادث : سقطت من (م) وفي (غ) كتبت بالهامش وفوقها حرف (خـ).
(١١) كذا في (غ ، م)، وفي النسخ الأخرى : دلت.
(١٢) ح : ما سلكت.

ذلك فإنه لا ينفيه، وليس لك أن تنفيه بغير دليل، لأن النافي عليه الدليل، كما على المثبت. والسمع قد دل عليه، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي، فيجب إثبات ما أثبته الدليل السالمُ عن المعارِض المقاوم.

الثاني : أن يقال : يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبتُّ به تلك من[1] العقليات، فيقال[2] : نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة، كدلالة التخصيص على المشيئة(٣)، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم، وعقاب الكفار[4] يدل على بغضهم، كما قد[5] ثبت بالشاهد[6] والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه، والغايات المحمودة[7] في مفعولاته ومأموراته ــ وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة ــ تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشيئة وأَوْلَى، لقوة العلة الغائية(٨)، ولهذا كان ما[9] في القرآن من بيان

(١) ب : ما أثبته من .
(٢) غ : فقال .
(٣) المشيئة مرادفة للإرادة حسب ما يثبته الأشعري ولكن الشيخ رد هذا وبين في مواضع من كتبه أن الإرادة نوعان :
الإرادة الشرعية : وهي المتضمنة للمحبة والرضا كقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ..﴾ [سورة النساء : ٢٦] .
الإرادة الكونية : وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث كقوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ...﴾ [سورة الأنعام : ١٢٥] . وقول المسلمين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . انظر مثلاً منهاج السنة ٣٥٩/١ - ٣٦٠ .
(٤) ت ، ح : الكافرين .
(٥) قد : ليست في (م) .
(٦) بالشاهد : كذا في (غ) ، وفي النسخ الأخرى : بالشهادة .
(٧) كذا في (ت ، ح) وفي النسخ الأخرى : الموجودة .
(٨) عرف الجرجاني (التعريفات ، ص ٨٢) العلة الغائية بأنها « ما يوجد الشيء لأجله » وفي معيار العلم للغزالي ، ص ٢٥٨ ذكر أقسام العلة الأربعة عند الفلاسفة وفيه « الرابع : الغاية الباعثة أولا المطلوب وجودها آخراً » .
(٩) ما : سقطت من (م ، ر) .

ما في مخلوقاته، من النعم والحكم أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة.

مناقشة من يثبت الأسماء دون الصفات

وإن كان المخاطب ممن ينكر الصفات، ويقر بالأسماء كالمعتزلي، الذي يقول : إنه حي عليم قدير، وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة[١].

قيل له : لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات[٢] الصفات، فإنك إن قلت : إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيها وتجسيما[٣]، لأنّا لا نجد في الشاهد متصفا بالصفات[٤] إلا ما هو جسم. قيل لك : ولا تجد[٥] في الشاهد ما هو مسمى بأنه[٦] حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا لجسم[٧] فانف الأسماء، بل وكلّ شيء لأنك لا تجده [في الشاهد][٨] إلا لجسم[٩].

شبهة « التجسيم »

فكل ما يحتج به من نفى الصفات، يحتج به نافي الأسماء الحسنى، فما كان جوابا لذلك كان جوابا لمثبتي الصفات.

---

(١) ب ، ر : والقدرة والعلم.
(٢) ب ، ح : وإثبات.
(٣) كذا في (ب ، ر)، وفي النسخ الأخرى : أو تجسيما.
(٤) ب : بصفات.
(٥) تجد : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : نجد.
(٦) بأنه : في (غ) فقط، وسقطت من النسخ الأخرى.
(٧) كذا في (ر) ، م : إلا بجسم ، ح : إلا للجسم، ب ، ت : إلا جسم، غ : إلا كجسم.
(٨) في الشاهد : سقطت من (غ).
(٩) ب : إلا جسم ، ح : إلا للجسم.

مناقشة نفاة الأسماء والصفات

وإن كان المخاطب من الغلاة، نفاة الأسماء والصفات(١)، وقال : لا أقول هو موجود ولا حي[٢] ولا عليم ولا قدير، بل هذه الأسماء لمخلوقاته، أو هي[٣] مجاز، لأن إثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود[٤] الحي العليم القدير[٥].

قيل له : وكذلك إذا[٦] قلت : ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير، كان ذلك تشبيها بالمعدومات، وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات.

فإن قال(٧) : أنا أنفي النفي والإثبات.

امتناع سلب النقيضين

قيل له : فيلزمك التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات، فإنه يمتنع أن يكون الشيء موجودا معدوما، أو[٨] لا موجودا ولا معدوما، (٩ويمتنع[١٠] أن يوصف باجتماع[١١] الوجود والعدم، و[١٢]الحياة والموت، و[١٣]العلم والجهل، أو يوصف بنفي[١٤] الوجود والعدم، ونفي الحياة والموت، ونفي العلم والجهل٩).

---

(١) يدخل في هذا الإطلاق الجهميةُ ومن يوافقهم من الباطنية والفلاسفة.
(٢) ت : هو حي موجود ولا حي.
(٣) كذا في (غ) ، ب : وهي، النسخ الأخرى : إذ هي.
(٤) غ : بالموجودات.
(٥) القدير: في (غ) فقط، وسقطت من النسخ الأخرى.
(٦) ب : إن.
(٧) القائل هنا هم الباطنية.
(٨) غ : و (بدلا من أو).
(٩-٩) ما بينهما ليس في (م).
(١٠) غ : ومن يمتنع.
(١١) أن يوصف باجتماع: كذا في (غ) ، ب ، ر : أن يكون يوصف ذلك بإجماع. ت ، ح : أن يكون يوصف ذلك باجتماع.
(١٢) كذا في (ت ، ر) ، ب ، ح : أو ، غ : ونفي.
(١٣) كذا في (ب ، ر) ، ح : أو ، غ ، ت : ونفي.
(١٤) بنفي : سقطت من (ب ، ر).

اعتـــــــــراض

فإن قلت(١) : إنما يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلا لهما، وهذان يتقابلان تقابل[٢] العدم والمَلَكَة[٣]، لا تقابل السلب والإيجاب، فإن الجدار لا يقال له : أعمى ولا بصير، ولا حي ولا ميت، إذ ليس بقابل لهما.

الرد عليه من وجوه
الوجه الأول

قيل لك : أولاً : هذا لا يصح في الوجود والعدم، فإنهما متقابلان تقابل[٤] السلب والإيجاب[٥]، باتفاق العقلاء، فيلزم من رفع أحدهما ثبوت الآخر.

وأما ما ذكرته[٦] من الحياة والموت، والعلم والجهل، فهذا اصطلاح اصطلحت عليه المتفلسفة المشاءون(٧)، والاصطلاحات اللفظية ليست دليلا على نفي[٨] الحقائق العقلية، وقد قال تعالى : **﴿ والَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾**(٩) فسمى

---

(١) هذا الاعتراض سيجيب عنه الشيخ هنا ثم يثيره مرة أخرى ص ٦١ ويرد عليه أيضا ثم يورده مرة ثالثة ص ١٥١، ويناقشه نقاشا تفصيليا.

(٢) ب : بقابل.

(٣) ب : والملائكة.

(٤) غ : مقابل.

(٥) ب : السلب في الايجاب.

(٦) ب ، ر : ما ذكره.

(٧) غ : المتفلسفة والمشاءون، ت : الفلاسفة والمشاءون. الفلاسفة المشاءون هم أتباع أرسطو (٣٨٤ــ٣٢٢ ق. م) ولد في أسطاغيرا مدينة يونانية على بحر إيجه، ولما بلغ الثامنة عشرة قدم أثينا والتحق بأكاديمية أفلاطون ولزمها عشرين سنة توفي بعدها صاحبها فغادر أرسطو أثينا ثم عاد إليها في أواخر سنة ٣٣٥ ق. م وأنشأ بها مدرسة في ملعب رياضي يدعى « لوقيون » وكان من عادته أن يلقي دروسه وهو يتمشى والتلاميذ يسيرون من حوله فلقب لذلك هو وأتباعه بالمشائين. انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص : ١١٢، ١١٣ وما بعدها.

(٨) نفي : في (غ) فقط، وسقطت من النسخ الأخرى.

(٩) سورة النحل : ٢٠، ٢١.

الجماد ميتا(١) وهذا مشهور في لغة العرب وغيرهم[٢].

الوجه الثاني

وقيل لك، ثانيا : فما لا يقبل الاتصاف بالحياة والموت[٣] والعمى والبصر، ونحو ذلك من المتقابلات أنقص مما يقبل ذلك، فالأعمى الذي يقبل الاتصاف بالبصر أكمل من الجماد الذي لا يقبل واحدا منهما. فأنت فررت من تشبيهه[٤] بالحيوانات القابلة لصفات الكمال، ووصفته بصفات الجمادات[٥] التي لا تقبل ذلك.

وأيضا فما لا يقبل[٦] الوجود والعدم أعظم امتناعا من القابل للوجود والعدم، بل ومن [اجتماع[٧]] الوجود والعدم، ونفيهما جميعا، فما نفيت عنه قبول الوجود والعدم كان أعظم امتناعا مما نفيت عنه الوجود والعدم. وإذا كان هذا ممتنعا في صرائح[٨] العقول فذلك أعظم[٩] امتناعا، فجعلت الوجود الواجب الذي لا يقبل العدم هو أعظم الممتنعات[١٠]. وهذا غاية التناقض والفساد.

(*وهؤلاء الباطنية منهم من يصرح برفع النقيضين : الوجود والعدم. ورفعهما كجمعهما. و [منهم[١١]] من يقول : لا أثبت واحدا

---

(١) إذ الآية — كما سيبين الشيخ — في الأصنام وهي من الجمادات. انظر تفسير ابن جرير ١٤/٦٤. وانظر ص ١٦٠ من كتابنا هذا وفيه أيضا الاستشهاد لذلك من لغة العرب.

(٢) وغيرهم : ليست في (ر).

(٣) ب ، ر : بالموت والحياة.

(٤) غ ، ب : تشبيه.

(٥) م ، ت : الجامدات.

(٦) غ : لا تقبل.

(٧) اجتماع : سقطت من (غ).

(٨) ت : صريح.

(٩) كذا في (غ)، النسخ الأخرى : كان هذا أعظم.

(١٠) ب : من الممتنعات.

(١١) منهم : ليست في (غ).

منهما، وامتناعه عن إثبات أحدهما في نفس الأمر لا يمنع تحقق واحد منهما في نفس الأمر، وإنما هو كجهل الجاهل، وسكوت[١] الساكت، الذي لا يعبر عن الحقائق.

وإذا كان ما لا يقبل الوجود ولا العدم أعظم امتناعا ممّا يُقدَّر قبوله لهما ـــ مع نفيهما عنه ـــ فما يُقدَّر[٢] لا يقبل الحياة ولا الموت، ولا العلم ولا الجهل، ولا القدرة ولا العجز، ولا الكلام ولا الخرس، ولا العمى ولا البصر، ولا السمع ولا الصمم، أقرب إلى المعدوم والممتنع مما يُقدَّر قابلا لهما مع نفيهما عنه. وحينئذ فنفيهما مع كونه قابلا لهما أقرب إلى الوجود والممكن، وما جاز لواجب الوجود قابلا، وجب له، لعدم توقف صفاته على غيره، فإذا جاز القبول وجب، وإذا جاز وجود المقبول[٣] وجب.

وقد بسط هذا في موضع آخر وبيِّن وجوب اتصافه بصفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه(٤) *).

الوجـه الثـالث

وقيل له أيضا : اتفاق المسمَّيَين في بعض الأسماء والصفات ليس هو التشبيه والتمثيل، الذي نفته الأدلة السمعيات والعقليات، وإنما نفت ما يستلزم اشتراكهما فيما يختص به الخالق، مما[٥] يختص بوجوبه

---

(١) غ : وسكت.

(٢) م : فما يعدد.

(٣) غ : القبول.

(٤) انظر مثلا رسالته « تفصيل الإجمال فيما يجب لله من صفات الكمال » ضمن مجموع الرسائل والمسائل، مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى.

(*ـــ*) ما بينهما انفردت به نسختا (غ ، م) وهو في (م) مكتوب في الهامش، وفي (غ) كتب قبله في الأصل : « من هنا ليس في النسخة التي قرئت على الشيخ جمال الدين المرى [كذا ولعل الصواب : المزي، وانظر المقدمة ص ٢٥] إلى قوله : وقيل له أيضا اتفاق المسميين ».

(٥) في هامش (ت) كتب : فما. وفوقها حرف (خـ)، غ : فيما يختص به مثلهما.

أو جوازه أو امتناعه، فلا يجوز أن يَشركه فيه مخلوق، ولا يُشركه مخلوق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى.

وأما ما نفيتَه فهو ثابت بالشرع والعقل، وتسميتك ذلك تشبيها وتجسيما تمويه على الجهال، الذين يظنون أن كل معنى سماه مسمٍ بهذا الاسم يجب نفيه. ولو ساغ هذا لكان كل مبطل يسمي الحق بأسماء ينفر عنها بعض الناس، ليكذب الناس بالحق المعلوم بالسمع والعقل.

وبهذه الطريقة أفسدت الملاحدة على طوائف من[١] الناس[٢] عقولهم[٣] ودينهم، حتى أخرجوهم[٤] إلى أعظم الكفر والجهالة، وأبلغ الغي والضلالة.

شبهة «التركيب»

وإن[٥] **قال** نفاة الصفات(٦) : إثبات العلم والقدرة والإرادة يستلزم[٧] تعدد الصفات، وهذا تركيب ممتنع.

---

(١) من : سقطت من (ح).
(٢) غ : من المسلمين.
(٣) كذا في (ت)، وفي النسخ الأخرى : عقلهم.
(٤) ت : خرجوا.
(٥) ب ، ر : وإذا.
(٦) القائل هنا الفلاسفة. انظر مثلا كتاب «النجاة» لابن سينا، (ص٢٢٧-٢٢٨) فصل في بساطة الواجب، و (ص ٢٤٣-٢٤٥) فصل في أن واجب الوجود بذاته عقل وعاقل ومعقول، و (ص ٢٤٥-٢٤٦) فصل في أنه بذاته معشوق وعاشق ولذيذ وملتذ، وأن اللذة هي إدراك الخير الملائم، و (ص ٢٤٩-٢٥١) فصل في تحقيق وحدانية الأول بأن علمه لا يخالف قدرته وإرادته وحياته في المفهوم بل ذلك كله واحد.
(٧) ت ، ح : مستلزم.

قيل : وإذا قلتم : هو موجود واجب، وعقل وعاقل ومعقول، (١وعاشق ومعشوق، ولذيذ وملتذ ولذة١)، أفليس[٢] المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا ؟، فهذه معان متعددة متغايرة في العقل وهذا تركيب عندكم، وأنتم تثبتونه وتسمونه توحيدا.

فإن قالوا : هذا توحيد في الحقيقة وليس هذا تركيبا ممتنعا.

قيل لهم : واتصاف الذات بالصفات[٣] اللازمة لها توحيد في الحقيقة وليس هو[٤] تركيبا ممتنعا.

(*وذلك أنه[٥] من المعلوم بصريح[٦] المعقول أنه ليس معنى كون الشيء عالما هو معنى كونه قادرا، ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالما قادرا، فمن جوّز أن تكون هذه الصفة هي(٧ [الأخرى، وأن تكون الصفة هي٧)] الموصوف فهو من أعظم الناس سفسطة، ثم إنه متناقض[٨]، فإنه إن جوّز ذلك جاز أن يكون وجود هذا هو وجود هذا، فيكون الوجود واحدا بالعين لا بالنوع.

وحينئذ، فإذا كان وجود الممكن هو وجود الواجب، كان وجود كل مخلوق ــ يُعدم بعد وجوده، ويوجد بعد عدمه ــ هو نفس وجود الحق القديم الدائم الباقي، الذي لا يقبل العدم.

(١ــ١) ما بينهما في (غ) فقط.
(٢) كذا في (ح)، وفي النسخ الأخرى : فليس.
(٣) ب : واتصاف الصفات بالذات.
(٤) هو : كذا في (غ)، النسخ الأخرى : هذا.
(*ــ*) ما بينهما انفردت به نسختا (غ ، م) وقد كتب في (م) بالهامش.
(٥) م : أن.
(٦) غ : في صريح.
(٧ــ٧) ما بينهما سقط من (غ).
(٨) م : تناقض.

وإذا قدّر هذا[١]، كان الوجود[٢] الواجب موصوفا بكل تشبيه[٣] وتجسيم، وكل نقص وكل عيب، كما يصرح بذلك أهل وحدة الوجود، الذين[٤] طردوا هذا الأصل الفاسد، وحينئذ فتكون أقوال نفاة الصفات باطلة على كل تقدير[٥] *).

نتيجة هذا الأصل

وهذا باب مطرد، فإن كل واحد من النفاة لِما أخبر به الرسول[٦] صلى الله عليه وسلم[٧] من الصفات، لا ينفي شيئا — فرارا مما[٨] هو محذور[٩] — إلا وقد أثبت ما[١٠] يلزمه فيه نظير ما فرّ منه، فلابدّ له[١١] في آخر الأمر من أن يثبت موجودا واجبا قديما متصفا بصفات تميزه عن غيره، ولا يكون فيها مماثلا لخلقه، فيقال له : وهكذا[١٢] القول في جميع الصفات، وكل ما نثبته[١٣] من الأسماء والصفات فلا بدّ أن يدل على قدر مشترك[١٤] تتواطأ[١٥] فيه المسمّيات، ولولا ذلك

---

(١) في (م) بعد « هذا» كلمة غير واضحة كأنها : تشبيه. وفي النسخة المنقولة عنها [انظر المقدمة ص ٢٩] ترك مكانها بياضاً.
(٢) م : وجود.
(٣) م : بكل تشبيه باطل.
(٤) غ : والذين.
(٥) م : تقدير وهذا تركيب.
(٦) ت : أخبر الرسول به.
(٧) صلى الله عليه وسلم : ليست في (ت ، ر ، ح).
(٨) ب : شيئا فما.
(٩) غ : محدود به.
(١٠) ب : أثبت شيئا.
(١١) له : في (غ) فقط.
(١٢) كذا في (غ ، م) ، النسخ الأخرى : هكذا (بدون الواو).
(١٣) كذا في (ب) ، غ : ما أثبته، النسخ الأخرى : ما تثبته.
(١٤) مشترك : في (غ ، م) فقط. وسقطت من النسخ الأخرى.
(١٥) م ، ر : يتواطأ.

لما فُهم الخطاب، ولكن نعلم[١] أن ما اختص الله به، وامتاز عن خلقه أعظم مما يخطر بالبال أو يدور[٢] في الخيال[٣].

الأصل الثاني القول في الصفات كالقول في الذات

وهذا يتبين بالأصل الثاني ـ وهو أن يقال : القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا[٤] كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات[٥].

جواب من سأل عن كيفية صفة من صفات الله

فإذا قال السائل : كيف استوى على العرش ؟

قيل له - كما قال ربيعة[(٦)] ومالك وغيرهما[٧]- : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة[(٨)]،

(١) غ : أعلم، ب : تعلم ، ت : يعلم.

(٢) كذا في (ت ، ح)، وفي النسخ الأخرى : ويدور.

(٣) غ : بالخيال.

(٤) م : فإن.

(٥) ح : لا تماثل سائر الصفات.

(٦) ربيعة بن أبي عبد الرحمن فرّوخ التيمي بالولاء المدني (ت ١٣٦ هـ) المعروف بربيعة الرأي ، كان صاحب الفتوى بالمدينة وهو ثقة كثير الحديث. انظر : تاريخ بغداد ٤٢٠/٨ ـ ٤٢٧، صفة الصفوة ٨٣/٢ ـ ٨٦، وفيات الأعيان ٢٨٨/٢ ـ ٢٩٠ ، تذكرة الحفاظ ١٤٨/١ ـ ١٤٩، ميزان الاعتدال ٤٤/٢، تهذيب التهذيب ٢٥٨/٣ ـ ٢٥٩، الأعلام ٤٢/٣.

(٧) في (ح) زيادة : رضي الله عنهما.

(٨) أخرج اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ أقوال السلف في الاستواء على العرش قال : « عن أم سلمة في قوله (الرحمن على العرش استوى) قالت : الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر. وعن جعفر بن عبد الله قال جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال : يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ قال : فما رأيت مالكا وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء يعني العرق. قال وأطرق القوم

=

لأنّه سؤال عمّا لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه.

وكذلك[١] إذا قال : كيف ينزل ربنا إلى سماء الدنيا[٢] ؟

قيل له : كيف هو ؟

فإذا قال : أنا[٣] لا أعلم كيفيته[٤].

قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم[٥] العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له، وتابع له[٦]. فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه ونزوله واستوائه[٧]، وأنت لا تعلم كيفية ذاته !

وإذا كنت تقرّ بأن له [ذاتا[٨]] حقيقة، ثابتة في نفس الأمر، مستوجبة[٩] لصفات الكمال، لا يماثلها[١٠] شيء، فسمعه وبصره، وكلامه

وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه، قال فسرى عن مالك فقال : الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالا. وأمر به فأُخرج. وعن ابن عيينة قال سئل ربيعة عن قوله : (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ قال : الاسنواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق ».

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٨ـ٤٠٩ قولي مالك وربيعة من طرق أخرى معنى ما ذكر اللالكائي. وراجع : الدر المنثور ٩١/٣ فقد أورد هذه الأقوال نقلا عنهما.

(١) ت : وكذا.

(٢) ب ، ت ، ح : السماء الدنيا.

(٣) أنا : ليست في (ت ، ح).

(٤) ر : كيفية.

(٥) غ : تستلزم.

(٦) له : ليست في (ب).

(٧) ونزوله واستوائه : كذا في (غ) وفي النسخ الأخرى : واستوائه ونزوله.

(٨) ذاتا : في (ت) فقط، وسقطت من النسخ الأخرى.

(٩) غ : مستلزمة.

(١٠) غ ، م : التي لا يماثلها.

ونزوله واستواؤه ثابت[1] في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه[2] فيها سمع المخلوقين وبصرهم، وكلامهم ونزولهم واستواؤهم.

عود لمناقشة من يثبت بعض الصفات دون بعض

وهذا الكلام لازم لهم في العقليات وفي تأويل السمعيات، فإن من أثبت شيئا، ونفى شيئا بالعقل، إذا ألزم فيما نفاه من الصفات التي جاء بها الكتاب[3] والسنة نظير ما يلزمه فيما أثبته[4]، وطولب[5] بالفرق بين المحذور[6] في هذا وهذا لم يجد بينهما فرقا.

ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض ــ الذين يوجبون فيما نفوه إما التفويض، وإما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ ــ قانون مستقيم، فإذا قيل لهم : لِمَ تأولتم هذا وأقررتم هذا، والسؤال فيهما واحد ؟ لم يكن لهم جواب صحيح. فهذا تناقضهم في النفي.

وكذلك[7] تناقضهم في الإثبات، فإن من تأوّل[8] النصوص على معنى من المعاني التي يثبتها، فإنهم إذا صرفوا النص عن[9] المعنى الذي هو مقتضاه إلى معنى آخر، لزمهم في المعنى المصروف إليه ما كان يلزمهم[10] في المعنى المصروف عنه، فإذا قال قائل : تأويل[11] محبته

(١) كذا في (ت ، ح)، النسخ الأخرى : هو ثابت.
(٢) غ : لا يشابه.
(٣) ب : جاء بها من الكتاب.
(٤) ت : فيما اشتبه، م : ما يلزمه فيها فيما أثبته.
(٥) كذا في (غ ، م)، النسخ الأخرى : ولو طولب.
(٦) غ : المحدود.
(٧) ح : وكذا.
(٨) ب : أول.
(٩) عن : كذا في (ت ، ح) وفي النسخ الأخرى : من.
(١٠) م ، ب ، ر : ما كان يلزم.
(١١) تأويل : سقطت من (ب).

ورضاه وغضبه وسخطه هو إرادته للثواب[١] والعقاب، كان ما[٢] يلزمه في الإرادة نظير ما يلزمه في الحب والمقت والرضا والسخط. ولو فسَّر ذلك بمفعولاته — وهو ما يخلقه من الثواب والعقاب — فإنّه يلزمه[٣] في ذلك نظير ما فرّ منه[٤]، فإن الفعل المعقول[٥] لا بدّ أن يقوم أولا بالفاعل، والثواب والعقاب [المفعول[٦]] إنما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه، ويسخطه ويبغضه المثيب المعاقب، فهم إن أثبتوا الفعل على مثل الوجه[٧] المعقول[٨] في الشاهد للعبد مثّلوا[٩]، وإن أثبتوه[١٠] على خلاف ذلك، فكذلك [سائر][١١] الصفات.

فصل

وأما المثلان المضروبان :

المثل الأول — الجنة

فإن الله — سبحانه وتعالى — أخبرنا[١٢] عما في **الجنة** من المخلوقات، من أصناف[١٣] المطاعم [والمشارب[١٤]] والملابس والمناكح

---

(١) ت : الثواب.
(٢) ما : سقطت من (م ، ر).
(٣) ر : يلزم.
(٤) غ : نظير ما لزمه.
(٥) ب ، ت : المفعول. لكن في هامش (ت) كتب « المعقول خـ صح » وقد سقطت الكلمة من (ح).
(٦) م ، ر : المعقول. وليست الكلمة في (غ).
(٧) ب ، ر : وجه.
(٨) ب : المفعول.
(٩) م ، ر : مثلوه.
(١٠) غ : أثبتوا.
(١١) سائر : في (م) فقط.
(١٢) ت ، ح : أخبر.
(١٣) ح : إضافة.
(١٤) والمشارب : زيادة من (م).

والمساكن، فأخبرنا[١] أن فيها لبنا وعسلا وخمرا وماء ولحما وفاكهة وحريرا وذهبا وفضة[٢] وحورا وقصورا.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس في الدنيا شيء ممّا في الجنة إلا الأسماء(٣)، فإذا[٤] كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها، هي موافقة في الأسماء للحقائق[٥] الموجودة في الدنيا، وليست مماثلة لها، بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى — فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من[٦] مباينة المخلوق للمخلوق، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق. وهذا بيّنٌ واضح.

افتراق الناس فيما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر

ولهذا[٧] افترق الناس في هذا المقام ثلاث فرق :

فالسلف والأئمة وأتباعهم : آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة، وأن مباينة الله لخلقه أعظم.

والفريق الثاني : الذين أثبتوا ما أخبر الله[٨] به في الآخرة من

---

(١) ح : فأخبر، ت : وأخبر.

(٢) في (ت ، ح) وقعت « وفاكهة » بعد «وفضة»، وفي (ت) وقعت « وحريرا » بعد «وخمرا».

(٣) أورد ابن جرير الطبري ١/٣٩١—٣٩٢ (ط. دار المعارف) هذا الأثر في تفسير قول الله تعالى : (وأتوا به متشابها) « البقرة : ٢٥ » من ثلاثة طرق عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس، وأخرجه آخرون، انظر الدر المنثور ١/٣٨.

(٤) ح : وإذا.

(٥) ب : هي موافقة للأسماء في الحقائق.

(٦) ب : فالخالق سبحانه مباين للمخلوقات أعظم من.

(٧) غ : فلهذا.

(٨) الله : في (غ ، ت) فقط.

الثواب والعقاب، ونفوا كثيرا مما أخبر به من الصفات، مثل طوائف من أهل الكلام : [المعتزلة] ومن وافقهم[١].

والفريق الثالث : نفوا هذا وهذا، كالقرامطة الباطنية[٢] والفلاسفة أتباع المشائين، ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر.

تأويل الباطنية للأمر والنهي

ثم إن كثيرا منهم يجعلون الأمر والنهي من هذا الباب، فيجعلون الشرائع المأمور بها، والمحظورات المنهي عنها، لها تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون منها، كما يتأولون الصلوات[٣] الخمس، وصيام شهر رمضان، وحج البيت، فيقولون : إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم، وإن صيام شهر[٤] رمضان كتمان أسرارهم، وإن حج البيت السفر إلى شيوخهم، ونحو ذلك من التأويلات التي يعلم[٥] بالاضطرار أنها كذب وافتراء على الرسل صلوات الله عليهم، وتحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه، وإلحاد في آيات الله.

وقد يقولون : إن[٦] الشرائع تلزم العامة دون الخاصة، فإذا صار الرجل من عارفيهم ومحققيهم وموحديهم[٧] رفعوا عنه الواجبات، وأباحوا له المحظورات.

---

(١) كذا في (م)، وفي (غ) : من أهل الكلام ومن وافقهم، وفي النسخ الأخرى : ... من أهل الكلام. فقط.

(٢) ح : كالقرامطة والباطنية.

(٣) كذا في (غ) وفي النسخ الأخرى : من الصلوات.

(٤) شهر : في (غ ، ب) فقط.

(٥) غ : تعلم.

(٦) إن : في (غ) فقط.

(٧) غ : وموجديهم.

وقد يوجد[١] في المنتسبين إلى التصوف والسلوك من يدخل في بعض هذه المذاهب(٢).

وهؤلاء الباطنية الملاحدة أجمع[٣] المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى.

وما يحتج به أهل الإيمان والإثبات على هؤلاء الملاحدة[٤]، يحتج (٥ به كل من كان من أهل الإيمان والإثبات٥) على من يَشرك هؤلاء في بعض إلحادهم، فإذا أثبت لله تعالى الصفات، ونفى عنه مماثلة المخلوقات، كما دل على ذلك الآيات البينات ــ كان ذلك هو الحق الذي يوافق المنقول والمعقول[٦]، ويهدم أساس الإلحاد والضلالات.

---

(١) يوجد : كذا في (ت) وفي النسخ الأخرى : يدخل.

(٢) في كتاب بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ١/٢٥٩ـ٢٦٠ يذكر الشيخ ما ملخصه : أن اسم « الباطنية » يقال في كلام الناس على صنفين :

أحدهما من يقول : إن للكتاب والسنة باطنا يخالف ظاهرها فهؤلاء هم المشهورون عند الناس باسم « الباطنية» من القرامطة وسائر أنواع الملاحدة، وهؤلاء قسمان : قسم يرون ذلك في الأعمال الظاهرة. ويمثل لتأويلهم الباطني للصلاة والصوم والحج كما هنا، ويقول : ثم خواصهم يقولون برفع هذه الظواهر عن الخاصة دون الجمهور وهذا الصنف يقع في القرامطة المظهرين للرفض ويقع في زنادقة الصوفية من الاتحادية الحلولية ويقع في غالية المتكلمة. وأما عقلاء هذه الطائفة الباطنية فإنهم يقولون بالباطن المخالف للظاهر في العلميات وأما العمليات فيقرونها على ظاهرها وهذا قول عقلاء الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام.

وأما الثاني فالذين يتكلمون في الأمور الباطنة من الأعمال والعلوم لكن مع قولهم : إنها توافق الظاهر وهؤلاء هم المشهورون بالتصوف.

(٣) كذا في (غ)، وفي (ب) : وهؤلاء الباطنية الملاحدة هم الذين أجمع، وفي النسخ الأخرى : وهؤلاء الباطنية هم الملاحدة الذين أجمع.

(٤) كذا في (ب ، ر) ، النسخ الأخرى : وما يحتج به على الملاحدة أهل الإيمان والإثبات.

(٥ــ٥) ما بينهما سقط من (ب).

(٦) كذا في (ب ، ر)، وفي النسخ الأخرى : المعقول والمنقول.

والله سبحانه وتعالى لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه، فإن الله لا مثل له، بل له المثل الأعلى، فلا يجوز أن يشترك[١] هو والمخلوق[٢] في قياس تمثيل، ولا في قياس شمول تستوي[٣] أفراده، ولكن يُستعمل في حقه المثل الأعلى، وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أَوْلَى به، وكل ما تنزه[٤] عنه المخلوق من نقص فالخالق أَوْلَى بالتنزيه عنه[٥]، فإذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم[٦]، فالخالق أَوْلَى أن يُنزه عن مماثلة المخلوق وإن حصلت موافقة في الاسم.

قيـــاس الأولى

وهكذا القول في **المثل الثاني — وهو الروح**[٧] التي فينا، فإنها[٨] قد وصفت بصفات ثبوتية وسلبية، وقد أخبرت النصوص أنها تَعرج وتَصعد من سماء إلى سماء، وأنها تُقبض[٩] من البدن، وتُسل منه كما تُسل الشعرة من العجين[١٠].

المثل الثاني — الروح

والناس مضطربون فيها :

فمنهم طوائف من أهل الكلام يجعلونها جزءاً من البدن، أو

اضطراب الناس في ماهية الروح

---

(١) ح : يشرك.

(٢) ت ، ح : والمخلوقات. وكذا كتبت في هامش (غ) وفوقها حرف (خـ).

(٣) ب : يستوي.

(٤) ب ، ت ، ح : ينزه.

(٥) غ : أولى به التنزيه عنه.

(٦) غ : وإن حصلت موافقة في الاسم.

(٧) ت : وهو أن الروح، ح : وهي أن الروح.

(٨) فانها : سقطت من (ت). والروح يذكَّر ويؤنث (انظر مختار الصحاح للرازي مادة « روح »).

(٩) م : نقيض.

(١٠) ح : العجينه. وسيأتي بعض من هذه النصوص بعد قليل.

صفة من صفاته، كقول[1] بعضهم : إنها النفس أو الريح التي تتردد[2] في البدن، وقول بعضهم : إنها الحياة، أو المزاج، أو نفس البدن.

ومنهم طوائف من أهل الفلسفة يصفونها بما يصفون به واجب الوجود عندهم[3]، وهي أمور لا يتصف بها إلا ممتنع الوجود[4]، فيقولون : لا هي داخل البدن[5] ولا خارجه، ولا مباينة له ولا مداخلة له[6]، ولا متحركة ولا ساكنة، ولا تصعد ولا تهبط، ولا هي[7] جسم ولا عَرَض[8]. وقد يقولون : إنها لا تدرك (٩ [الأمور المعينة، والحقائق الموجودة في الخارج، وإنما تدرك ٩)] الأمور الكلية المطلقة. وقد يقولون : إنها لا داخل العالم[10] ولا خارجه[11]، ولا مباينة له[12] ولا مداخلة. وربما قالوا : ليست داخلة في أجسام[13] العالم ولا خارجة عنها، مع تفسيرهم للجسم بما يقبل الإشارة الحسية، فيصفونها بأنها[14] لا يمكن الإشارة إليها ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تلحقها[15] بالمعدوم والممتنع.

---

(١) م : كما قال.

(٢) كذا في (غ) ، ر : تترد ، ب ، ت ، ح : تردد. م : الذي يتردد.

(٣) عندهم : ليست في (ت ، ح).

(٤) كذا في (ر ، ح) وفي النسخ الأخرى : الممتنع الوجود.

(٥) غ : لا هي داخلة في البدن.

(٦) له : في (غ) فقط.

(٧) هي : ساقطة من (ب).

(٨) ت ، ر : ولا هي عرض.

(٩ ـــ ٩) ما بينهما سقط من (غ).

(١٠) غ : لا داخلة في العالم، م ، ر : لا داخلة العالم.

(١١) ولا خارجه : سقطت من (ت).

(١٢) له : سقطت من (ت).

(١٣) غ : ليست داخل أجسام العالم ، ب : ليست داخلة في آحاد العالم.

(١٤) بأنها : كذا في (ت ، ح) وفي النسخ الأخرى : بأنه.

(١٥) غ : يلحقها ، م : تلحقه.

وإذا قيل لهم : إثبات مثل هذا ممتنع في ضرورة العقل.

قالوا : بل هذا ممكن، بدليل أن الكليات ممكنة[1] موجودة، وهي غير مشار إليها.

وقد غفلوا عن كون الكليات لا توجد كلية[2] إلا في الأذهان لا في الأعيان، فيعتمدون فيما يقولونه[3] في المبدأ والمعاد على مثل هذا الخيال الذي لا يخفى فساده على غالب الجهال.

سبب الاضطراب

واضطراب[4] النفاة والمثبتة في الروح[5] كثير، وسبب ذلك أن الروح — التي تسمى بالنفس الناطقة[6] عند الفلاسفة — ليست هي من جنس هذا البدن، ولا من جنس العناصر والمولدات منها، بل هي من جنس آخر مخالف لهذه الأجناس، فصار[7] هؤلاء لا يعرِّفونها إلا بالسلوب التي توجب[8] مخالفتها للأجسام[9] المشهودة، وأولئك[10] يجعلونها من جنس الأجسام المشهودة، وكلا القولين خطأ.

---

(١) ممكنة : في (غ) فقط.

(٢) ت : هيئة.

(٣) ب : يقولون. ت ، ح : يقولون به.

(٤) ت : واضطرابات.

(٥) ب : للروح.

(٦) عرف الجرجاني (التعريفات، ص ١٢٧) النفس الناطقة، والنفس الفلكية بأنها « الجوهر المجرد عن المادة في ذواتها مقارنة لها في أفعالها » وكذا التهانوي (كشاف اصطلاحات الفنون ١٣٩٧/٦)، ثم خص التهانوي الناطقة بأنها : « كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الأمور الكلية والجزئية المجردة ويفعل الأفعال الفكرية والحدسية ».

(٧) غ ، ت : وصار.

(٨) غ : يوجب، ح : توجد.

(٩) ب : الأجسام.

(١٠) الإشارة ب « هؤلاء » إلى النفاة وهم الفلاسفة، وبـ « أولئك » إلى المثبتة وهم طوائف المتكلمين وقد سبقت أقوالهم.

أقوال الناس في لفظ « الجسم » :

وإطلاق القول[1] عليها بأنها جسم، أو ليست بجسم، يحتاج إلى تفصيل، فإن لفظ « الجسم » للناس فيه[2] أقوال متعددة اصطلاحية غير معناه اللغوي.

فأهل اللغة[3] يقولون : الجسم هو الجسد والبدن(٤). وبهذا الاعتبار فالروح ليست جسما، ولهذا يقولون : الروح والجسم[5]، كما قال تعالى : ﴿ وإذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وإن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِم ﴾(٦)، وقال تعالى : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ والجِسْمِ ﴾(٧).

وأما أهل الكلام، فمنهم من يقول : الجسم هو الموجود، ومنهم من يقول : هو[8] القائم بنفسه، ومنهم من يقول : هو المركب من الجواهر المنفردة(٩).

---

(١) ت : القولين.

(٢) ت : فيه للناس.

(٣) ت ، ح : فإن أهل اللغة.

(٤) في الصحاح مادة « جسم » « قال أبو زيد : الجسم : الجسد، وكذلك الجُسْمان والجُثْمان، وقال الأصمعي : الجسم والجُسْمان : الجسد، والجُثْمان : الشخص ». وفي لسان العرب « الجسم : جماعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب وغيرهم من الأنواع العظيمة الخلق ».

(٥) غ : الروح في الجسم.

(٦) سورة المنافقون : ٤.

(٧) سورة البقرة : ٢٤٧.

(٨) ب : هذا.

(٩) ب ، ر ، ح : المفردة. وهذا قول جمهور المعتزلة والأشاعرة، ويعبرون عنها أيضا بالأجزاء التي لا تتجزأ، وعرف الجرجاني (التعريفات، ص ٤١) الجزء الذي لا يتجزأ بأنه : « جوهر ذو وضع لا يقبل الانقسام أصلا لا بحسب الخارج، ولا بحسب الوهم أو الفرض العقلي، تتألف الأجسام من أفراده بانضمام بعضها إلى بعض كما هو مذهب المتكلمين ».

ومنهم من يقول : هو المركب من المادة والصورة(١). وكل هؤلاء يقولون : إنه مشار إليه إشارة حسية.

ومنهم من يقول : ليس بمركب[٢] لا من هذا ولا من هذا، بل[٣] هو ما[٤] يشار إليه (*ويقال : إنه هنا أو هناك.

وانظر كشاف اصطلاحات الفنون مادة : « الجزء ».

وانظر عن مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين : مقالات الاسلاميين ٢/٤ــ٨، أصول الدين للبغدادي، ص ٣٥ــ٣٦، التمهيد للباقلاني، ص ١٧ــ١٨، الفصل لابن حزم ٥/٩٢ــ١٦، الإرشاد للجويني، ص ١٧، الشامل للجويني أيضا، ص ١٤٣ ــ ١٤٨ ، ١٥٨ ــ ١٥٩ ، ٤٠١، مقاصد الفلاسفة للغزالي، ص ١٤٧ــ١٦٢، نهاية الإقدام للشهرستاني، ص ٥٠٥ ــ ٥١٤، الأربعين في أصول الدين للرازي، ص ٢٥٣ــ٢٦٤، مذهب الذرة عند المسلمين للدكتور س. بينيس Dr. S. Pines نقله عن الألمانية محمد عبد الهادي أبوريدة.

(١) القائلون بأنه مركب من المادة أو الهيولى والصورة هم الفلاسفة، في التعريفات للجرجاني، ص ١٣٥ « الهيولى : لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح : هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية » وفي ، ص ٧١ « الصورة الجسمية : جوهر متصل بسيط لا وجود لمحله دونه قابل للأبعاد الثلاثة المدركة من الجسم في باديء النظر » « الصورة النوعية : جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حلّ فيه ».

وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمي، ص ١١١ ــ ١١٢، معيار العلم للغزالي، ص ٢٩٧ ــ ٢٩٨، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي المواد « الصورة » « الهيولى » « الحال» « المحل ».

وانظر أيضا لابن سينا كتاب « الشفاء » (الالهيات (١)) القاهرة، ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م) ٣/٦١ حيث يعقد فصلا بعنوان : « فصل في تحقيق الجوهر الجسماني وما يتركب منه » ثم يعقد فصلا آخر (٣/٧٢) بعنوان : « فصل في أن المادة الجسمانية لا تتعرى عن الصورة ».

وانظر في بيان معاني لفظ « الجسم » ومناقشة قولي المتكلمين والفلاسفة فيه منهاج السنة لابن تيمية ١/٢٤١ــ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٦٤ــ٢٦٨، ٣٣٠ــ٣٣٣.

(٢) ت ، ح : مركبا.

(٣) ح : ليس مركبا من هذا بل...

(٤) ت ، ح : مما.

(* ــ *) ما بينهما سقط من (ب).

فعلى هذا إذا[1] كانت الروح مما يشار إليه*) ويتبعه[2] بصر الميّت - كما قال النبي[3] صلى الله عليه وسلم : (إن الروح إذا خرج تبعه[4] البصر)(٥) ، وإنها تقبض ويعرج[6] بها إلى السماء(٧) -

(١) ت ، ح : إن.
(٢) ت ، ح : مما يشار إليها ويتبعها.
(٣) النبي : ليست في (م ، ت ، ح).
(٤) ت ، ح : إذا خرجت تبعها.
(٥) عن أم سلمة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : (إن الروح إذا قبض تبعه البصر...). صحيح مسلم ٦٣٤/٢ (رقم ٩٢٠) كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر، سنن ابن ماجه ٤٦٧/١ (رقم ١٤٥٤) كتاب الجنائز، باب ما جاء في تغميض الميت، مسند أحمد (ط، دار صادر) ٢٩٧/٦.
(٦) غ : تعرج.
(٧) روى الإمام أحمد في مسنده (ط. دار صادر) ٢٨٧/٤-٢٨٨ من ثلاثة طرق عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب حديثا طويلا فيه قوله ﷺ : (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيء السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال : فيصعدون بها... قال : وإن العبد الكافر...).

وفي مسلم ٢٢٠٢/٤ (رقم ٢٨٧٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، عن أبي هريرة وفيه (إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها).

وأخرج النسائي ٧/٤-٨ كتاب الجنائز باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، ابن حبان، ص ١٨٧، الحاكم ٣٥٢/١-٣٥٣، عن أبي هريرة أن

كانت الروح جسماً بهذا الاصطلاح .

المقصود بضرب المثل بالروح

والمقصود، أن الروح إذا كانت موجودة حية عالمة قادرة، سميعة بصيرة، تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء[١]، ونحو ذلك من الصفات، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها، لأنهم لم يشاهدوا لها نظيرا، والشيء إنما تدرك حقيقته[٢] إما[٣] بمشاهدته أو بمشاهدة[٤] نظيره، فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات، فالخالق أَوْلَى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته، وأهل العقول هم أعجز [عن[٥]] أن يحدّوه أو يكيّفوه ([٦]منهم عن أن يحدّوا الروح أو يكيفوها[٧] [٦]).

فإذا كان من نفى صفات الروح جاحدا معطلا لها[٨]، ومن مثّلها بما يشاهده[٩] من المخلوقات جاهلا ممثلا لها بغير شكلها، وهي

النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا حُضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح من الله وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا...). وأخرج ابن ماجه ٢/١٤٢٣-١٤٢٤ (رقم ٤٢٦٢) كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل صالحا قالوا : اخرجي أيتها النفس الطيبة... فلا يزال يقال لها حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء).

(١) ب : وتجيء وتذهب ، م ، ر : وتروح وتذهب وتجيء.

(٢) ر : يدرك حقيقة.

(٣) إما : ليست في (ت ، ح).

(٤) ح : أو مشاهدة.

(٥) عن : سقطت من (غ).

(٦-٦) ما بينهما سقط من (ر).

(٧) كذا في (ت ، ح) وفي النسخ الأخرى : أو يكيفوه.

(٨) ت : جاحدا لها معطلا.

(٩) م : بما شاهده.

مع ذلك ثابتة[١] بحقيقة الإثبات[٢]، مستحقة لما لها من الصفات — فالخالق سبحانه وتعالى أَوْلَى أن يكون من نفى صفاته جاحدا معطلا، ومن قاسه بخلقه جاهلا به ممثلا، وهو سبحانه[٣] ثابت بحقيقة الإثبات، مستحق لما له من الأسماء والصفات.

فصل

وأما الخاتمة الجامعة ففيها قواعد نافعة :

القاعدة الأولى

صفات الله سبحانه إثبات ونفي

القاعدة الأولى — أن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي فالإثبات كإخباره أنه[٤] بكل شيء عليم، وعلى[٥] كل شيء قدير، وأن سميع بصير، ونحو ذلك، والنفي كقوله : ﴿ **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ** ﴾(٦).

صفات النفي تتضمن إثبات الكمال .

وينبغي أن يُعلم[٧] أن النفي ليس فيه[٨] مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو[٩] كما قيل ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحا أو كمالا. ولأن النفي المحض

---

(١) م : باينة.
(٢) الإثبات : سقطت من (ب).
(٣) ت ، ح : سبحانه وتعالى.
(٤) ح : بأنه.
(٥) ر : وهو على.
(٦) سورة البقرة : ٢٥٥.
(٧) أن يعلم : ساقطة من (ت) ، ر : أن تعلم.
(٨) فيه : ساقطة من (ر).
(٩) ح : فهو.

يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف[1] بمدح ولا كمال.

آيات قرآنية في ذلك

فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنا لإثبات مدح كقوله : ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا** ﴾(٢).

فنفي السِنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبيِّن لكمال أنه الحي القيوم.

وكذلك[3] قوله : ﴿**وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾ أي لا يكرثه[4] ولا يثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها. بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص في قدرته، وعيب في قوته.

وكذلك قوله تعالى[5] : ﴿ **لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ** ﴾(٦) (٧ فإنّ نَفْي العزوب مستلزم[8] لعلمه بكل ذرة في السموات والأرض٧).

وكذلك قوله تعالى[9] : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴾(١٠)، فإنّ نَفْي مس

---

(١) ت : لا يوصفا.
(٢) سورة البقرة : ٢٥٥.
(٣) وكذلك : ليست في (ب ، ر).
(٤) لا يكرثه : كذا في (ر ، ح) ، ب : ولا يكرثه ، غ ، م : لا يكربه ، ت : لا يكرهه.
(٥) تعالى : في (غ ، م) فقط.
(٦) سورة سبأ : ٣.
(٧—٧) ما بينهما سقط من (م).
(٨) غ : مستلزمة.
(٩) تعالى : ليست في (ت ، ح).
(١٠) سورة ق : ٣٨.

اللغوب الذي هو التعب والإعياء دل على كمال القدرة، ونهاية القوة. بخلاف المخلوق الذي يلحقه من النصب[1] والكلال ما يلحقه.

وكذلك قوله : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾(٢) ، إنما[3] نفى الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء. ولم ينف مجرد الرؤية(٤) ، لأن المعدوم لا يُرى، وليس في كونه لا يُرى مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحا، وإنما المدح في كونه لا يُحاط به وإن رُئي، كما أنه لا يُحاط به وإن عُلم، فكما أنه إذا عُلم لا يحاط به علما، فكذلك إذا رُئي لا يحاط به رؤية.

فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون[5] مدحا وصفة كمال، وكان ذلك دليلا على إثبات الرؤية لا على نفيها، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها.

وإذا تأملت ذلك وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتا هو مما لم يصف[6] الله به نفسه، فالذين[7] لا يصفونه إلا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة إلـٰها محمودا، بل ولا موجودا.

وكذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا : إنه[8] لا يتكلم، أو لا يُرى[9]، أو ليس فوق العالم، أو لم يستو على العرش،

(١) ت ، ح : التعب.
(٢) سورة الأنعام : ١٠٣. في (ت) زاد : (وهو يدرك الأبصار).
(٣) ر : وإنما.
(٤) أي كما هو تفسير أصحاب الأقوال الأخر.
(٥) ر : ما يكون فيه.
(٦) هو مما : سقطت من (ب)، ت : هو مما لا يصف.
(٧) ت : والذين.
(٨) إنه : في (غ) فقط.
(٩) غ ، م ، ت : ولا يُرى.

ويقولون : ليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا مباين للعالم ولا محايث له[1] ؛ إذ هذه[2] الصفات يمكن أن يوصف بها المعدوم، وليست هي مستلزمة[3] صفة ثبوت[4]، ولهذا قال محمود بن سُبكتكين(٥) لمن ادّعى ذلك في الخالق : ميِّز لنا بين هذا الرب الذي تثبته[6] وبين المعدوم(٧).

---

(١) كذا في (غ) ، م : ولا محاذيا له. وكتب في الهامش : محايث، وفي النسخ الأخرى : ولا مجانب له.

(٢) غ : فهذه.

(٣) ح : وليست هي صفة مستلزمة.

(٤) م : ثبوتية.

(٥) السلطان الغزنوي أبو القاسم محمود بن سبكتكين (٣٦١ــ٤٢١ هـ) امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور، عاش مجاهدا في سبيل الله محبا للعلم والعلماء، وله سيرة حسنة.

انظر : المنتظم لابن الجوزي ٨/٥٢، وفيات الأعيان ٥/١٧٥ــ١٨٢، البداية والنهاية ١٢/٢٧ــ٣١، تاريخ ابن خلدون ٤/٣٦٣ وما بعدها، شذرات الذهب ٣/٢٢٠، الأعلام ٨/٤٧.

(٦) ت : أثبته.

(٧) في هامش (م) كتب التعليق التالي : « هذا الكلام قاله محمود رحمه الله لأبي بكر بن فُورَك المتكلم لما تناظر هو ومحمد بن الهيصم في مسألة العلو فظهر عليه ابن الهيصم وغلبه بالحجة وعرف محمود أن ابن فورك مبتدع، حتى قيل : إنه سقاه السم فمات اهـ » قلت : وقد اشتهر أمر المناظرات التي دارت في حضرة السلطان محمود بين ابن الهيصم وهو كرامي وابن فورك وهو أشعري، ومنها كما يقول ابن كثير (البداية والنهاية ١٢/٣٠) « مسألة العرش ذكرها ابن الهيصم في مصنف له فمال السلطان محمود إلى قول ابن الهيصم ونقم على ابن فورك كلامه وأمر بطرده وإخراجه لموافقته لرأي الجهمية »، أما القول بأن السلطان قتله بالسم فقد رأيته في النجوم الزاهرة ٤/٢٤٠ وجاء في ذكر السبب : « لكونه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا في حياته فقط وأن روحه قد بطل وتلاشى » لكن السبكي (طبقات الشافعية ٣/٥٤) ينفي هذه التهمة عن ابن فورك ويذكر أنه مات مسموما بتدبير أعدائه من الكرامية، والقضية تحتاج إلى تحقيق ليس هذا محله.

وكذلك كونه لا يتكلم، أو لا ينزل[١]، ليس في ذلك صفة مدح ولا كمال، بل هذه الصفات فيها تشبيه[٢] له بالمنقوصات أو المعدومات[٣]، فهذه الصفات منها ما لا يتصف به [إلا[٤]] المعدوم، ومنها ما لا يتصف به إلا الجماد[٥] أو الناقص[٦].

فمن قال : لا هو مباين للعالم ولا مداخل للعالم، فهو بمنزلة من قال : لا هو قائم بنفسه ولا بغيره، ولا قديم ولا محدَث، ولا متقدم على العالم ولا مقارن له[٧].

يلزم من نفى صفة الكمال عن الله وصفه بما يقابلها

ومن قال : إنه ليس بحي ولا سميع[٨] ولا بصير ولا متكلم، لزمه أن يكون ميتا أصم أعمى أبكم.

اعتراض

فإن قال : العمى عدم البصر عمّا[٩] من شأنه أن يقبل البصر، ([١٠]وما لا[١١] يقبل البصر[١٠]) كالحائط لا يقال له : أعمى ولا بصير.

الرد عليه من وجوه الوجه الأول

قيل له : هذا اصطلاح اصطلحتموه، وإلا فما يوصف بعدم الحياة والسمع والبصر والكلام يمكن وصفه بالموت والصمم[١٢] والعمى والخرس والعجمة.

---

(١) غ ، ت : ولا ينزل.
(٢) غ : تشبيها.
(٣) ب ، ت : والمعدومات.
(٤) إلا : سقطت من (غ).
(٥) ح : الجمادات.
(٦) م ، ح : والناقص.
(٧) م : ولا مقارب له.
(٨) غ : ولا ميت سميع.
(٩) غ : العمى عدم فما.
(١٠ـ١٠) ما بينهما سقط من (ب).
(١١) كذا في (ت) ، وفي النسخ الأخرى : وما لم.
(١٢) والصمم : في (غ ، م) فقط.

الوجه الثاني

وأيضا : فكل موجود يقبل الاتصاف بهذه الأمور ونقائضها، فإن الله قادر على جعل الجماد حيا، كما جعل عصا موسى حيّة، ابتلعت الحبال والعصي.

الوجه الثالث

وأيضا : فالذي[1] لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات أعظم نقصا ممن[2] يقبل الاتصاف بها مع اتصافه بنقائضها، فالجماد الذي لا يوصف بالبصر ولا العمى، ولا الكلام ولا الخرس، أعظم نقصا من الحي الأعمى[3] الأخرس.

فإذا[4] قيل : إن الباري — [عز وجل[5]] — لا يمكن اتصافه بذلك، كان في ذلك من وصفه بالنقص أعظم مما إذا وصف بالخرس والعمى والصمم ونحو ذلك، مع أنه إذا جُعل غير قابل لهما[6] كان تشبيها له بالجماد الذي لا يقبل الاتصاف بواحد منهما[7]، وهذا تشبيه[8] بالجمادات لا بالحيوانات، فكيف ينكر من قال ذلك على غيره ما[9] يزعم أنه تشبيه بالحي !

الوجه الرابع

وأيضا فنفس [نفي[10]] هذه الصفات نقص، كما أن إثباتها كمال، فالحياة من حيث هي، هي — مع قطع النظر عن تعيين الموصوف بها — صفة كمال. وكذلك العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام

---

(١) ت : فإن الذي.
(٢) ممن : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : مما.
(٣) ب ، ر ، ح : من الأعمى الحي.
(٤) ب ، ر : فإن.
(٥) عز وجل : زيادة من (ب ، ر).
(٦) ت ، ح : لها.
(٧) ت ، ح : منها.
(٨) ب ، ت : التشبيه.
(٩) ح : مما.
(١٠) نفي : سقطت من (غ ، ب).

والفعل[١] ونحو ذلك. وما كان صفة كمال فهو ــ سبحانه وتعالى[٢] ــ أحق بأن[٣] يتصف به من المخلوقات، (٤فلو لم يتصف به مع اتصاف المخلوق به لكان المخلوق٤) أكمل منه.

مقارنة بين من ينفون عن الله النقيضين ومن يصفونه بالنفي فقط.

واعلم أن الجهمية المحضة كالقرامطة[٥] ومن ضاهاهم ينفون عنه تعالى اتصافه بالنقيضين حتى يقولوا : ليس بموجود ولا ليس بموجود، ولا حي ولا ليس بحي.

ومعلوم أن الخلو[٦] عن النقيضين [ممتنع[٧]] في بدائه[٨] العقول، كالجمع بين النقيضين.

وآخرون وصفوه بالنفي فقط، فقالوا : ليس بحي ولا سميع ولا بصير.

وهؤلاء أعظم كفرا من أولئك من وجه، (٩وأولئك أعظم كفرا من هؤلاء من وجه٩).

فإذا قيل لهؤلاء : هذا يستلزم[١٠] وصفه بنقيض ذلك كالموت والصمم والبكم(١١).

---

(١) ب ، ت ، ح : والعقل.
(٢) وتعالى : ليست في (ح).
(٣) ت ، ح : أن.
(٤ ــ ٤) ما بينهما سقط من (ب).
(٥) غ : القرامطة.
(٦) ب : الخلق.
(٧) ممتنع : سقطت من (غ).
(٨) في هامش (ب) كتب : بداهة. وفوقها حرف (خـ).
(٩ــ٩) ما بينهما سقط من (ح).
(١٠) ت ، ح : مستلزم.
(١١) والبكم : كذا في جميع النسخ، والسياق يقتضي أن تكون : والعمى، فهي نقيض وصفه بالبصر.

قالوا : إنما يلزم ذلك لو كان قابلا لذلك.

وهذا الاعتذار يزيد قولهم فسادا.

وكذلك من ضاهى هؤلاء، وهم الذين يقولون : ليس بداخل العالم ولا خارجه[١] — [إذا[٢]] **قيل** لهم[٣] : هذا ممتنع في ضرورة العقل، كما إذا قيل : ليس بقديم ولا محدث، ولا واجب ولا ممكن، ولا قائم بنفسه ولا قائم بغيره.

قالوا : هذا إنما يكون إذا كان قابلا لذلك، والقبول إنما يكون[٤] من المتحيز[٥]، فإذا انتفى التحيز[٦] انتفى قبول هذين النقيضين[٧].

فيقال لهم : علمُ الخلق بامتناع الخلو من[٨] هذين النقيضين هو علم مطلق، لا يستثنى منه موجود. والتحيز المذكور إن أريد به كون الأحياز الموجودة تحيط به، فهذا هو الداخل في العالم، وإن أريد به أنه منحاز[٩] عن المخلوقات، أي : مباين لها، متميز[١٠] عنها، فهذا[١١] هو الخروج.

فالمتحيز[١٢] يراد به تارة ما هو داخل العالم، وتارة ما هو خارج

---

(١) كذا في (ت ، ح)، وفي النسخ الأخرى : ولا بخارجه.
(٢) إذا : سقطت من (غ).
(٣) لهم : في (غ) فقط.
(٤) غ : والعقول إنما تكون.
(٥) ت : التحيز.
(٦) ر : التحييز.
(٧) كذا في (ت)، وفي النسخ الأخرى : المتناقضين.
(٨) الخلو من : ساقطة من (ب) ، غ : بامتناع الخلق به من.
(٩) ب : محتاز.
(١٠) ت : أي متميز.
(١١) م ، ب ، ر : وهذا.
(١٢) م : والمتحيز ، ب : والتحييز.

العالم، فإذا قيل : ليس بمتحيز، كان معناه ليس بداخل العالم ولا خارجه.

فهم[١] غيّروا العبارة ليوهموا[٢] من لا يفهم حقيقة قولهم أن هذا معنى آخر، وهو المعنى[٣] الذي عُلم فساده بضرورة العقل. كما فعل أولئك في قولهم[٤] : ليس بحي ولا ميت، ولا موجود ولا معدوم، ولا عالم ولا جاهل.

القاعدة الثانية
الألفاظ نوعان :
١ ـ لفظ ورد به دليل شرعي حكمه

القاعدة الثانية ـ أن ما أخبر به الرسول عن ربه ـ عز وجل[٥] ـ فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف، لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في[٦] الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها. مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصا في الكتاب والسنة، متفقا[٧] عليه بين سلف الأمة.

٢ ـ لفظ لم يرد به دليل شرعي حكمه

وما تنازع فيه المتأخرون، نفيا وإثباتا، فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدا على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن[٨] أراد[٩] حقا قُبل، وإن أراد باطلا رُدّ، وإن اشتمل كلامه على حق

(١) ب : منهم.
(٢) ت : فيوهموا ، م : ليوهموا على.
(٣) المعنى : سقطت من (ب).
(٤) ت ، ح : بقولهم.
(٥) عز وجل : في (غ ، م) فقط.
(٦) م : به (بدلا من في).
(٧) ت ، ح : متفق.
(٨) غ : فإذا.
(٩) ت : فإن رآه.

وباطل لم يُقبل مطلقا ولم يُرد جميع معناه، بل يُوقف[١] اللفظ ويُفسّر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك.

لفظ « الجهة »

فلفظ[٢] « **الجهة** » قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا، كما إذا[٣] أريد بالجهة نفس العرش أو نفس[٤] السموات. وقد يراد به[٥] ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم.

ومعلوم[٦] أنه ليس في النص إثبات لفظ « الجهة » ولا نفيه، كما فيه إثبات « العلو » و « الاستواء » و « الفوقية » و « العروج إليه » ونحو ذلك.

وقد عُلم أنه[٧] ما ثمّ موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس[٨] في [مخلوقاته[٩]] شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

فيقال لمن نفى الجهة[١٠] : أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق، فالله ليس داخلا في المخلوقات؛ أم تريد بالجهة ما وراء العالم، فلا ريب أن الله فوق العالَم، بائن من المخلوقات[١١].

---

(١) غ : توقف.
(٢) ت : فلفظة.
(٣) ت : كما إن.
(٤) غ ، ت : ونفس.
(٥) م : بها، غ : بالجهة.
(٦) ر : معلوم (بسقوط الواو).
(٧) ت ، ح : أن.
(٨) ت : وليس.
(٩) مخلوقاته : سقطت من (غ).
(١٠) الجهة : في (غ) فقط.
(١١) ب ، ت ، ح : مباين للمخلوقات.

وكذلك يقال لمن قال : إن[1] الله في جهة : أتريد بذلك أن الله فوق العالم، أو تريد به[2] أن الله داخل في شيء من المخلوقات[3]. فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل.

لفظ « المتحيز »

وكذلك لفظ « المتحيز »[4]، إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر[5]، بل قد[6] وسع كرسيه السموات والأرض، وقد قال تعالى[7] : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾(٨). وقد ثبت في الصحاح[9] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يقبض الله[10] الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول : أنا الملك، أين ملوك الأرض)(١١).

---

(١) إن : في (غ) فقط.
(٢) به : سقطت من (ت).
(٣) ت : مخلوقات.
(٤) ب ، ر، ح : التحيز.
(٥) ت : أكبر وأعظم.
(٦) قد : سقطت من (ب ، ر).
(٧) م ، ب ، ح : الله تعالى.
(٨) سورة الزمر : ٦٧.
(٩) ب ، ر : الصحيح.
(١٠) غ : إن الله يقبض.
(١١) وردت مجموعة أحاديث بهذا المعنى، لكن هذا اللفظ هو نص الحديث المروي من عدة طرق عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ.

انظره في : صحيح البخاري (فتح الباري) ٨/٥٥١ (رقم ٤٨١٢) كتاب تفسير القرآن، باب قوله : (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) [سورة الزمر : ٦٧]، ١١/٣٧٢ (رقم ٦٥١٩) كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض، ١٣/٣٦٧ (رقم ٧٣٨٢) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى :

=

وفي حديث آخر : (وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة)(١) وفي حديث ابن عباس[٢] : ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم(٣).

وإن[٤] أراد به أنه منحاز عن المخلوقات، أي مباين لها، منفصل عنها ، ليس حالا فيها. فهو سبحانه كما قال أئمة السنة : فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.

(ملك الناس)، ١٣/٣٩٣ (رقم ٧٤١٣) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : (لما خلقت بيديّ [سورة ص :٧٥]، صحيح مسلم ٤/٢١٤٨ (رقم ٢٧٨٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، في فاتحته، سنن ابن ماجه ١/٦٨ـــ٦٩ (رقم ١٩٢) المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، مسند أحمد (ط. دار صادر) ٢/٣٧٤، الدارمي ٢/٣٢٥ كتاب الرقاق، باب في شأن الساعة ونزول الرب تعالى، كتاب التوحيد لابن خزيمة، ص ٤٨، كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، ص ٢٩، ٣٢٣.

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره ٢٤/١٧ [سورة الزمر : ٦٧] عن ابن وهب أخبرني أسامة بن زيد عن أبي حازم عن عبد الله بن عمر أنه رأى رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس فمر بهذه الآية : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) فقال رسول الله ﷺ : (يأخذ السموات والأرضين السبع فيجعلها في كفه ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة...).

وأورد ابن القيم (مختصر الصواعق المرسلة ١/٤٢ـــ٤٣) قال وهب عن أسامة عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قرأ على المنبر (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) قال : (مطوية بيمينه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة). وساقه ابن حجر (فتح الباري ١٣/٣٩٦) عن ابن وهب عن أسامة بن زيد عن نافع وأبي حازم عن ابن عمر.

(٢) في (غ ، م ، ب ، ر) جاء قول ابن عباس قبل حديث (وانه ليدحوها..).

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٤/١٧ [سورة الزمر : ٦٧] قولا لابن عباس، حدثنا ابن بشار قال : ثنا معاذ بن هشام قال : ثني أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : ما السموات السبع والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم.

ونقله عن ابن جرير السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٣٦.

(٤) غ : فإن.

القاعدة الثالثة
القول بأن ظاهر نصوص الصفات مراد أو ليس بمراد يحتاج إلى تفصيل

القاعدة الثالثة ـ إذا قال القائل : ظاهر النصوص مراد، أو ظاهرها[١] ليس بمراد.

فإنه يقال : لفظ « الظاهر » فيه إجمال واشتراك، فإن كان القائل يعتقد[٢] أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين، أو ما هو من خصائصهم، فلا ريب أن هذا غير مراد.

ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمّون هذا ظاهرا[٣]، ولا يرتضون[٤] أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفرا وباطلا، والله ـ سبحانه وتعالى[٥] ـ أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال[٦].

غلط من يجعل ظاهر النصوص يقتضي التمثيل

والذين يجعلون ظاهرها[٧] ذلك يغلطون[٨] من وجهين :

تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ، حتى يجعلوه محتاجا إلى تأويل يخالف الظاهر، ولا يكون كذلك.

وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ، لاعتقادهم أنه باطل.

أمثلة

فالأول : كما قالوا في قوله : (عبدي جعت فلم تطعمني...) الحديث(٩)، وفي الأثر الآخر : (الحجر الأسود يمين الله في الأرض،

---

(١) ب ، ر : وظاهرها.
(٢) ب ، ر : معتقدا.
(٣) ب ، ر ، ح : ظاهرها.
(٤) ح : ولا يرضون.
(٥) سبحانه وتعالى : في (غ) فقط.
(٦) وضلال : كذا في (غ) ، ح : أو ضلال ، م ، ب ، ر : واضلال، ت : إلا ما كان كفرا وضلالا.
(٧) ظاهرها : سقطت من (ب).
(٨) كذا في (ت ، ح) وفي (ر) : يعطون، وفي النسخ الأخرى : يعطلون.
(٩) ستأتي ـ إن شاء الله ـ بقية الحديث قريبا ومعها تخريجه.

فمن صافحه وقبَّله[١] فكأنما صافح الله وقبَّل يمينه)(٢)، وقوله : (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن)(٣).

---

(١) ب ، ر ، ح : أو قبله.

(٢) أورد السيوطي في « الجامع الصغير » من رواية الخطيب وابن عساكر في تاريخ دمشق عن جابر مرفوعا : (الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها عباده). قال المناوي في شرحه فيض القدير ٤٠٩/٣ : « أي : هو بمنزلة يمينه ومصافحته فمن قبله وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه. قال ابن الجوزي : حديث لا يصح، فيه إسحاق بن بشير كذبه ابن أبي شيبة وغيره. وقال الدارقطني : هو في عداد من يضع. وقال ابن العربي : هذا حديث باطل فلا يلتفت إليه ».

وأورد السيوطي أيضا (الحجر يمين الله تعالى فمن مسحه فقد بايع الله) ونسبه للديلمي في مسند الفردوس عن أنس، وللأزرقي في تاريخ مكة عن عكرمة مولى ابن عباس موقوفا.

وقال المناوي ٤١٠/٣ عن حديث أنس « فيه على بن عمر العسكري، أورده الذهبي في الضعفاء وقال : صدوق ضعفه البرقاني. والعلاء بن سلمة الرواس، قال الذهبي : متهم بالوضع ».

وفي كشف الخفا للعجلوني ٤١٧/١ : « الحجر الأسود يمين الله في أرضه). رواه الطبراني في معجمه وأبو عبيد القاسم بن سلام عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه... ورواه القضاعي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه... وله شواهد ــ فالحديث حسن وإن كان ضعيفا بحسب أصله كما قال بعضهم ــ منها ما رواه الديلمي عن أنس... وما رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن جابر » وذكر نصهما كما في الجامع.

وأورده ابن الديبع (تمييز الطيب من الخبيث، ص ٨٢) من رواية الطبراني والقاسم بن سلام عن ابن عباس مرفوعا، وقال : « وقد روي موقوفا على ابن عباس، قال شيخنا : هو موقوف صحيح »، وكذا ابن تيمية رده مرفوعا وارتضاه موقوفا على ابن عباس، فقال عنه (مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ط. الرياض) ٣٩٧/٦) : « ... فقد روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت، والمشهور إنما هو عن ابن عباس » وقد أشار إلى هذا هنا بعد أسطر.

(٣) في صحيح مسلم ٢٠٤٥/٤ (رقم ٢٦٥٤) كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، مسند أحمد (ط. دار المعارف) ١٠/١٠٢ــ١٠٣ (رقم ٦٥٦٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرّفه حيث شاء).

فقالوا : قد عُلم أن[١] ليس في قلوبنا أصابع الحق[٢].

فيقال لهم : لو أعطيتم النصوص حقها من الدلالة لعلمتم أنها لا تدل[٣] إلا على حق[٤].

أما الحديث[٥] الواحد فقوله : (الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبَّله فكأنما صافح الله وقبَّل يمينه) صريح في أن الحجر [الأسود[٦]] ليس هو صفة لله[٧]، ولا هو[٨] نفس يمينه، لأنه قال : (يمين الله في الأرض)، وقال : (فمن قبَّله وصافحه فكأنما صافح

وفي مسند أحمد (ط. دار صادر) ١٨٢/٤، سنن ابن ماجه ٧٢/١ (رقم ١٩٩) في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، مستدرك الحاكم ٥٢٥/١ عن النواس بن سمعان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه...) وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعند الترمذي ٣٤٩/٦ أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن، أحمد (ط. دار صادر) ١١٢/٣، ٢٥٧ عن أنس عن رسول الله ﷺ قال : (... إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء). وقال عنه الترمذي ٣٥٠/٦ : « حديث حسن صحيح ».

وفي مسند أحمد (ط. دار صادر) ٢٥٠/٦ــ٢٥١ عن عائشة، ٣٠٢/٦، ٣١٥ عن أم سلمة. وأشار الترمذي ٣٤٩/٦ إلى أن في الباب ــ بالإضافة إلى ما ذكرت ــ حديثا عن أبي ذر.

(١) ب : أنه.
(٢) في هامش (م) كتب : صوابه : أنه ليس قلوبنا في أصابع الحق.
(٣) لا تدل : كذا في (غ ، ب)، وفي النسخ الأخرى : لم تدل.
(٤) غ ، ر : على الحق.
(٥) الحديث : زيادة من (غ).
(٦) الأسود : سقطت من (غ ، م ، ت).
(٧) م : الله.
(٨) هو : سقطت من (ب ، ر).

الله وقبَّل يمينه) ومعلوم أن المشبّه غير[1] المشبّه به، ففي نص[2] الحديث بيان أن مستلمه [ليس[3]] مصافحا لله، وأنه ليس هو[4] نفس يمينه، فكيف يجعل[5] ظاهره كفرا، وأنه[6] محتاج[7] إلى التأويل ! مع أن هذا الحديث إنما يعرف عن ابن عباس.

وأما الحديث الآخر فهو في الصحيح مفسَّرا : (يقول[8] الله : عبدي جعت فلم تطعمني. فيقول : ربِّ كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟!. فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا جاع، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي. عبدي مرضت فلم تعدني. فيقول : ربِّ كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟!. فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا مرض، فلو عدته لوجدتني عنده)[9].

---

(١) أن المشبه غير : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : أن المشبه ليس هو.

(٢) نص : كذا في (ر)، وفي النسخ الأخرى : نفس.

(٣) ليس : سقطت من (غ).

(٤) هو : سقطت من (ت).

(٥) ت : تجعل.

(٦) ح : لأنه.

(٧) ب : يحتاج.

(٨) غ ، ب، ت : بقول.

(٩) في صحيح مسلم ١٩٩٠/٤ (رقم ٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال : يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟!. قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال : يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟! قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني. قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟! قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي).

وروى الإمام أحمد في مسنده (ط. دار صادر) ٤٠٤/٢ من طريق آخر عن أبي هريرة نحو هذا مختصرا.

وهذا صريح في [أن[1]] الله سبحانه وتعالى[2] لم يمرض ولم يجع، ولكن مرض عبده وجاع عبده[3]، فجعل جوعه جوعه، ومرضه مرضه[4]، مفسرًا ذلك بأنك (لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، ولو عدته لوجدتني عنده). فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج إلى تأويل.

وأما قوله : (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن)، فإنه ليس في ظاهره[5] أن القلب متصل بالأصابع[6]، ولا مماس لها، ولا أنها في جوفه. ولا في قول القائل : هذا بين يدَيّ. ما يقتضي مباشرته ليديه[7]. وإذا قيل : ﴿ **والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأرْضِ** ﴾(٨) لم يقتض أن يكون مماسا[9] للسماء والأرض. ونظائر هذا كثيرة[10].

فرق ما بين قوله تعالى (لما خلقت بيدي) وقوله (مما عملت أيدينا)

ومما يشبه هذا [القول[11]] أن يُجعل[12] اللفظ نظيرا لما ليس مثله، كما قيل في قوله : ﴿ **مَا مَنَعَكَ أن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾(١٣) فقيل : هو مثل قوله : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا** ﴾(١٤).

---

(١) أن : سقطت من (غ).
(٢) وتعالى : ليست في (ت ، ر، ح).
(٣) عبده : سقطت من (م ، ت).
(٤) ب ، ر : فجعل مرضه مرضه، وجوعه جوعه.
(٥) غ : بظاهره.
(٦) غ ، م ، ت : بالإصبع.
(٧) غ : مباشرته ليديه بيديه، ب : مباشرته له.
(٨) سورة البقرة : ١٦٤.
(٩) ب : لم يقتض أنه مماسا.
(١٠) ب ، ر : كثير.
(١١) القول : زيادة من (ت ، ح).
(١٢) غ : ان تجعل.
(١٣) سورة ص : ٧٥.
(١٤) سورة يس : ٧١. في (ب ، ر) أُكملت الآية (فهم لها مالكون).

فهذا ليس مثل هذا، لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي فصار شبيها[1] بقوله : ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾(٢) ، وهناك أضاف الفعل إليه، فقال : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ ﴾ ثم قال : ﴿ بِيَدَيَّ ﴾.

وأيضا فإنه هناك[3] ذكر نفسه المقدسة بصيغة المفرد، وفي اليدين ذكر لفظ[4] التثنية، كما[5] في قوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾(٦)، وهنا(٧) أضاف الأيدي إلى صيغة الجمع، فصار كقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾(٨).

وهذا في الجمع نظير قوله : ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾(٩) و ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾(١٠) في المفرد.

قال ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن، ص ٣٦٨ : « خلقنا لهم مما عملت أيدينا : يجوز أن يكون مما عملناه بقدرتنا وقوتنا، وفي اليد القوة والقدرة على العمل، فتستعار اليد فتوضع موضعها. هذا مجاز للعرب يحتمله هذا الحرف والله أعلم بما أراد » اهـ.

وابن تيمية يبرز دلالة الآيتين على إثبات اليدين لله سبحانه، كما يذكر أيضا ما بينهما من فروق تبين أنه لو أمكن التأويل في آية (يس) فلا يمكن في آية (ص)، لأنها لا تحتمل من المجاز ــ عند من يقول به ــ ما تحتمله آية (يس).

(١) غ : تشبيها.

(٢) سورة الشورى : ٣٠. في (م) : مما كسبت أيديهم، وفي النسخ الأخرى : بما كسبت أيديهم. وكلاهما خطأ.

(٣) م ، ب ، ر : هنا.

(٤) غ : بلفظ.

(٥) ت : بل (بدلا من كما).

(٦) سورة المائدة : ٦٤.

(٧) في جميع النسخ : وهناك. ووضعتُ : وهنا، ليتناسب مع ابتداء الكلام، فالإشارة بـ « هنا » لآية (يس)، وبـ « هناك » لآية (ص).

(٨) سورة القمر : ١٤.

(٩) سورة الملك : ١.

(١٠) سورة آل عمران : ٢٦. في جميع النسخ : (بيده الخير) فهي إذاً جملة في مجموعة أحاديث، انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادة « يدي ».

فالله ـــ سبحانه وتعالى ـــ يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد، مظهرا أو مضمرا[١]، وتارة بصيغة الجمع، كقوله : ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾(٢) وأمثال ذلك. ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط، لأن صيغة الجمع تقتضي[٣] التعظيم الذي يستحقه، وربما تدل[٤] على معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور، وهو مقدس عن ذلك.

فلو قال : ما منعك أن تسجد لما خلقتْ يدي. كان كقوله[٥] : ﴿ **مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا** ﴾، وهو نظير قوله : ﴿ **بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾ و﴿ **بِيَدِكَ الْخَيْرُ** ﴾(٦)، ولو قال : خلقتُ بيدي[٧]. بصيغة الإفراد، لكان مفارقا له، فكيف إذا قال : ﴿ **خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ بصيغة التثنية.

هذا، مع دلالة[٨] الأحاديث المستفيضة بل المتواترة، وإجماع سلف الأمة[٩] على مثل ما دل عليه القرآن، كما هو مبسوط في موضعه(١٠)، مثل قوله : (المقسطون عند الله على منابر من نور عن

---

(١) ب ، ر : ومضمرا.
(٢) سورة الفتح : ١.
(٣) غ : يقتضي.
(٤) غ ، ب : يدل.
(٥) ب : لما خلقت بيدي كقوله، ح : لما خلقت بيدي لما كان كقوله.
(٦) في جميع النسخ : (بيده الخير).
(٧) بيدي : سقطت من (ح).
(٨) ح : دلالات.
(٩) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : السلف.
(١٠) انظر مثلا آخر الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز في الصفات ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط. الرياض) ٦/٣٧٠ ـــ ٣٧٢.

يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا).(١) وأمثال ذلك.

من يقول في بعض الصفات : الظاهر مراد أو ليس بمراد، يلزمه ذلك في سائرها لأن جنسها واحد

وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع[٢] في معناها[٣] من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها، والظاهر هو المراد في الجميع، فإن الله تعالى[٤] لما أخبر أنه[٥] بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق[٦] أهل السنة وأئمة المسلمين [على[٧]] أن هذا على ظاهره، وأن ظاهر ذلك[٨] مراد ـــ كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا.

وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم حقيقة، قادر حقيقة، لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير.

فكذلك إذا قالوا في قوله[٩] : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾(١٠)،

---

(١) الحديث في صحيح مسلم ١٤٥٨/٣ (رقم ١٨٢٧) كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، سنن النسائي ١٩٥/٨ــ١٩٦، كتاب آداب القضاة، فضل الحاكم العادل في حكمه، مسند أحمد (ط. دار المعارف) ٢٥٤/٩، (رقم ٦٤٩٢)، وانظر (رقم ٦٤٨٥)، الأسماء والصفات للبيهقي، ص ٣٢٤ كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ.

(٢) ب : التنازع.

(٣) ت : ظاهر النص المتنازع في معناه.

(٤) تعالى : في (غ ، ت) فقط.

(٥) م ، ر : بأنه.

(٦) غ : فاتفق.

(٧) على : سقطت من (غ).

(٨) ب ، ر : وأن ظاهره ذلك.

(٩) ح : في قوله تعالى.

(١٠) سورة المائدة : ٥٤.

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(١)، وقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾(٢) : إنه على ظاهره. لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق، ولا حبّا كحبه، ولا رضا كرضاه[٣].

فإن كان المستمع[٤] يظن أن ظاهر الصفات تماثل[٥] صفات المخلوقين، لزمه أن لا يكون شيء من ظاهر ذلك مرادا، وإن[٦] كان يعتقد أن ظاهرها هو[٧] ما يليق بالخالق ويختص به، لم يكن له نفي هذا الظاهر، ونفي أن يكون مرادا إلا بدليل يدل على النفي. وليس في العقل ولا في[٨] السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به[٩] سائر الصفات، فيكون الكلام في الجميع واحدا.

وبيان هذا، أن صفاتنا منها ما هي أعيان وأجسام[١٠]، وهي أبعاض لنا، كالوجه واليد ؛ ومنها ما هي[١١] معان وأعراض، وهي قائمة بنا، كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة.

ثم [إن[١٢]] من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير، لم يقل المسلمون : إن ظاهر هذا غير مراد، لأن مفهوم ذلك في

---

(١) سورة المائدة : ١١٩.
(٢) سورة الأعراف : ٥٤.
(٣) ر : ولا حبه كحبه ولا رضاه كرضاه.
(٤) المستمع : سقطت من (ت).
(٥) ت : مماثل.
(٦) غ : فإن.
(٧) هو : في (غ) فقط.
(٨) في : ليست في (ب ، ت ، ح).
(٩) به : سقطت من (ب).
(١٠) م : أعيان أجسام.
(١١) كذا في (م)، وفي النسخ الأخرى : ما هو.
(١٢) إن : في (ت ، ح) فقط.

حقه مثل مفهومه[1] في حقنا ؛ فكذلك[2] لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه[3]، لم[4] يوجب ذلك أن يكون[5] ظاهره غير مراد، لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا، بل صفة الموصوف تناسبه.

فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين، فصفاته كذاته[6] ليست مثل صفات[7] المخلوقين، ونسبة صفة المخلوق[8] إليه، كنسبة صفة الخالق إليه، وليس[9] المنسوب كالمنسوب، ولا المنسوب إليه كالمنسوب إليه، كما قال النبي[10] صلى الله عليه وسلم : (ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر) ، فشبّه الرؤية بالرؤية ، لا المرئي بالمرئي[11].

(١) غ : كمفهومه. وكتب في الهامش : مثل، وفوقها حرف (خـ).

(٢) غ : فلذلك.

(٣) ت : بيده.

(٤) ح ولم.

(٥) يكون : سقطت من (ب).

(٦) كذاته : سقطت من (ت).

(٧) ليست مثل صفات : كذا في (غ). وفي النسخ الأخرى : ليست كصفات.

(٨) غ : المخلوقين.

(٩) غ : فليس.

(١٠) النبي : في (غ) فقط، ت : كما قال رسول الله.

(١١) ت، ح : ولم يشبه المرئي بالمرئي .

أحاديث الرؤية التي ورد فيها هذا التشبيه كثيرة برواياتها وطرقها، منها ما رواه البخاري ٢/٣٣ (رقم ٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ٢/٥٢ (رقم ٥٧٣) كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، ٨/٥٩٧ (رقم ٤٨٥١) كتاب التفسير، باب (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) [سورة ق : ٣٩]، ١٣/٤١٩ (رقم ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [سورة القيامة : ٢٢، ٢٣]، أبو داود ١٣/٥١ـــ٥٣ كتاب السنة، باب في الرؤية، الترمذي ٧/٢٦٥ـــ٢٦٦ صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، ابن ماجه

=

القاعدة الرابعة
المحاذير التي يقع فيها من يتوهم أن مدلول نصوص الصفات هو التمثيل

وهذا يتبين **بالقاعدة الرابعة** — وهي[1] أن كثيرا من الناس يتوهم في بعض الصفات، أو في[2] كثير منها، أو أكثرها، أو كلها، أنها تماثل صفات المخلوقين؛ ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع [من المحاذير[3]] :

أحدها — كونه مثّل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن[4] أن مدلول النصوص هو التمثيل.

=

٦٣/١ (رقم ١٧٧) المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، أحمد (ط. دار صادر) ٣٦٥/٤—٣٦٦ من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال : (أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامون — أو لا تضاهون — في رؤيته...).

وما رواه البخاري ٢٩٢/٢—٢٩٣ (رقم ٨٠٦) كتاب الأذان، باب فضل السجود، ٤٤٤/١١—٤٤٥ (رقم ٦٥٧٣) كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ٤١٩/١٣—٤٢٠ (رقم ٧٤٣٧)، مسلم ١٦٣/١—١٦٤، ١٦٧ (رقم ١٨٢) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، أبو داود ٥٤/١٣—٥٥، الترمذي ٢٧٠/٧، ابن ماجه ٦٣/١ (رقم ١٧٨)، أحمد (ط. دار صادر) ٣٦٨/٢ من عدة طرق عن أبي هريرة حديثه الطويل وفيه : أن ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل تضارون « وفي بعض الروايات تُمارون » في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟). قالوا : لا يا رسول الله. قال : (هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟) قالوا : لا يا رسول الله. قال : (فإنكم ترونه كذلك...).

(١) وهي : كذا في (ت) ، النسخ الأخرى : وهو.
(٢) في : زيادة من (غ ، م).
(٣) من المحاذير : سقطت من (غ).
(٤) غ : فيظن.

الثاني[١] — أنه إذا[٢] جعل ذلك هو[٣] مفهومها وعطّله[٤] بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص، وظنه[٥] السيء[٦] الذي ظنه بالله ورسوله — حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل — قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله، والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله سبحانه[٧].

الثالث — أنه[٨] ينفي تلك الصفات[٩] عن الله[١٠] بغير علم، فيكون معطلا لما يستحقه الرب تعالى[١١].

الرابع — أنه[١٢] يصف [الرب[١٣]] بنقيض تلك الصفات من صفات الموات والجمادات، أو صفات المعدومات.

فيكون قد عطّل[١٤] صفات الكمال التي[١٥] يستحقها الرب تعالى[١٦]، ومثّله بالمنقوصات والمعدومات، وعطّل النصوص عما دلت

(١) م : والثاني.
(٢) إذا : سقطت من (ت).
(٣) هو : سقطت من (ت).
(٤) ب : وعطل.
(٥) غ : فظنه.
(٦) غ ، ب : الشيء.
(٧) سبحانه : في (غ) فقط، ت ، ح : بجلال الله تعالى.
(٨) غ ، ت : أن.
(٩) الصفات : سقطت من (ت).
(١٠) ح : عن الله عز وجل.
(١١) تعالى : في (غ) فقط.
(١٢) ب : أن.
(١٣) الرب : سقطت من (غ).
(١٤) ح : عطل به.
(١٥) ت : الذي.
(١٦) تعالى : في (غ) فقط.

عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات، فيجمع في الله وفي كلام الله[1] بين التعطيل والتمثيل، فيكون ملحدا[2] في أسمائه وآياته[3].

توضيح ذلك في صفتي «الاستواء» و «العلو»

مثال ذلك أن النصوص كلها[4] دلّت على وصف الإله[5] بالعلو والفوقية على المخلوقات، واستوائه على العرش؛ فأما علوه ومباينته للمخلوقات فيُعلم بالعقل الموافق للسمع، وأما الاستواء على العرش فطريق[6] العلم به هو السمع، وليس في الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباينه ولا مداخله.

صفة «الاستواء»

فيظن المتوهم أنه إذا وصف بالاستواء [على العرش[7]] كان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهور[8] الفلك والأنعام، كقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾(٩) فيتخيل[10] أنه إذا كان مستويا على العرش كان محتاجا إليه كحاجة[11] المستوي على الفلك والأنعام، فلو انخرقت[12] السفينة لسقط المستوي عليها[13]، ولو عثرت الدّابة لخر المستوي عليها. فقياس

(١) ت، ح: فيجمع في كلام الله وفي الله.
(٢) ر: لمحمدا.
(٣) كذا في (غ، م)، وفي النسخ الأخرى: في أسماء الله وآياته.
(٤) ب: كا.
(٥) ت: الله.
(٦) ب: وطريق.
(٧) على العرش: سقطت من (غ).
(٨) ت: ظهر.
(٩) سورة الزخرف: ١٢، ١٣. في جميع النسخ: وسخر لكم من الفلك... وهو خطأ.
(١٠) ح: فيتخيل له، ت: فيخيل له.
(١١) م: كاحتياج.
(١٢) ت، ح: غرقت.
(١٣) عليها: سقطت من (ت).

هذا أنه لو عدم العرش لسقط الرب تبارك وتعالى[١]، ثم يريد ـــ بزعمه ـــ أن ينفي هذا فيقول : ليس استواؤه بقعود ولا استقرار.

ولا يعلم[٢] أن مسمى « القعود » و « الاستقرار » يقال فيه ما يقال في مسمى « الاستواء » !، فإن كانت الحاجة داخلة في ذلك[٣] فلا فرق بين الاستواء والقعود والاستقرار، وليس هو بهذا[٤] المعنى مستويا ولا مستقرا ولا قاعدا، وإن لم يدخل في مسمى ذلك إلا ما يدخل في مسمى « الاستواء » فإثبات أحدهما[٥] ونفي الآخر تحكُّم.

وقد عُلم أن بين مسمى « الاستواء » و « الاستقرار » و « القعود »[٦] فروقا معروفة[٧]، ولكن المقصود هنا أن يُعلم خطأ من ينفي الشيء مع إثبات[٨] نظيره.

وكان هذا الخطأ من خطئه في[٩] مفهوم استوائه على العرش، حيث ظن أنه مثل استواء الإنسان على ظهور الأنعام والفلك.

وليس في اللفظ[١٠] ما يدل على ذلك، لأنه أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة، كما أضاف إليها[١١] سائر أفعاله وصفاته[١٢]، فذكر أنه خلق

---

(١) ت : لسقط الرب سبحانه، ح : لسقط الرب سبحانه وتعالى.
(٢) ت : أولا يعلم.
(٣) ب ، ر : تلك.
(٤) ت : هو هذا.
(٥) ر : إحداهما.
(٦) م : والقعود والاستقرار.
(٧) غ : فرقا معرفة.
(٨) غ : ثبوت.
(٩) غ : وكان هذا من خطابه من.
(١٠) ب ، ت ، ح : في هذا اللفظ.
(١١) إليها : كذا في (ت)، وفي النسخ الأخرى : إليه.
(١٢) ب ، ر : سائر صفاته وأفعاله.

ثم استوى، كما ذكر[١] أنه قدر فهدى، وأنه بنى السماء بأيد، وكما ذكر أنه مع موسى وهارون يسمع ويرى، وأمثال ذلك. فلم[٢] يذكر[٣] استواءً مطلقا يصلح للمخلوق، ولا عاما يتناول المخلوق، كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته، وإنما ذكر استواءً أضافه إلى نفسه الكريمة.

فلو قُدِّر — على وجه الفرض الممتنع — أنه هو مثل خلقه — تعالى الله[٤] عن ذلك — لكان استواؤه مثل استواء خلقه. أما إذا كان هو ليس مماثلا لخلقه[٥]، بل قد عُلم أنه الغني عن الخلق، وأنه الخالق للعرش ولغيره، وأن كل ما سواه مفتقر إليه، وهو الغني عن كل ما سواه، وهو لم يذكر إلا استواءً يخصه، لم[٦] يذكر استواءً يتناول غيره ولا يصلح له، كما لم يذكر في علمه وقدرته ورؤيته وسمعه وخلقه إلا ما يختص به — فكيف يجوز أن يُتوهم أنه إذا كان مستويا على العرش كان محتاجا إليه، وأنه لو سقط العرش لخرّ من عليه ! سبحانه وتعالى عما يقول[٧] الظالمون والجاحدون[٨] علوا كبيرا.

هل هذا إلا جهل محض وضلال ممن[٩] فهم ذلك، أو توهمه[١٠]، أو ظنه ظاهر اللفظ ومدلوله، أو جوّز ذلك على رب العالمين الغني عن

---

(١) ب ، ر : كما أنه ذكر.
(٢) ت : ولم.
(٣) غ : فلم يذكر مثل ذلك فلم يذكر.
(٤) الله : في (غ ، ت) فقط.
(٥) ر : بخلقه.
(٦) م : ولم.
(٧) ت : يقوله.
(٨) والجاحدون : زيادة من (غ).
(٩) م : فمن.
(١٠) أو توهمه : كذا في (م)، وفي النسخ الأخرى : وتوهمه.

الخلق[١]. بل لو قُدِّر أن جاهلا فهم مثل هذا، أو توهمه[٢] لبُيِّن[٣] له أن هذا لا يجوز، وأنه لم[٤] يدل اللفظ عليه أصلا، كما لم يدل على نظائره في سائر ما وصف به الرب نفسه[٥].

فلما قال سبحانه وتعالى[٦] : ﴿ والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بأييدٍ ﴾(٧) فهل يتوهم متوهم[٨] أن بناءه مثل بناء الآدمي المحتاج، الذي يحتاج إلى زُبُل(٩) ومجارف(١٠) وأعوان وضرب لبن(١١) وجَبْل طين(١٢)

ثم قد عُلم أن الله تعالى[١٣] خلق العالَم بعضه فوق بعض، ولم

---

(١) ت : عن خلقه.
(٢) ح : وتوهمه.
(٣) ب : لتبين.
(٤) ت : وأنه لا.
(٥) غ : نفسه سبحانه.
(٦) كذا في (غ)، وفي (م) : فلما قال الله تعالى، وفي النسخ الأخرى : فلما قال تعالى.
(٧) سورة الذاريات : ٤٧.
(٨) متوهم : في (غ) فقط.
(٩) زبل : كذا في (غ) ، وفي النسخ الأخرى : زنبيل. جاء في لسان العرب مادة (زبل) « والزَّبيل والزنبيل : الجِراب، وقيل الوعاء يُحمل فيه. فإذا جمعوا قالوا : زنابيل، وقيل : الزِّنبيل خطأ وإنما هو زبيل، وجمعه : زُبُل وزُبْلان... والزبيل : القُفَّة والجمع زُبُل ».
(١٠) ب : ومجازف. في لسان العرب مادة (جرف) « والمجرف والمجرَفة : ما جُرف به. وجرَفت الشيء أجرُفه، بالضم جَرْفاً أي ذهبت به كله أو جله، وجرَفتُ الطين : كسحته، ومنه سمي المجرفة ».
(١١) ت ، ح : وضرب لبن وأعوان. في لسان العرب مادة (لبن) « واللَّبِنة واللِّبِنة : التي يُبْنى بها، وهو المضروب من الطين مربعا، والجمع لَبِن ولِبْن على فَعِل وفِعْل ».
(١٢) وجبل طين : كذا في (غ ، ر)، وفي (م) : وجبل وطين، وفي (ب) : وجعل طين، وسقطت الجملة من (ت ، ح). وجَبْل الطين : التأثير فيه.
(١٣) تعالى : ليست في (ت ، ح).

يجعل عاليه مفتقرا إلى سافله، فالهواء فوق الأرض، وليس مفتقرا إلى أن تحمله الأرض[١]، والسحاب أيضا[٢] فوق الأرض، وليس مفتقرا إلى أن تحمله، والسموات فوق الأرض، وليست مفتقرة إلى حمل الأرض لها — فالعلي الأعلى رب كل شيء ومليكه إذا كان فوق جميع خلقه كيف[٣] يجب أن يكون محتاجا إلى خلقه، أو عرشه ! أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار وهو ليس بمستلزم في المخلوقات ! وقد عُلم أن ما ثبت[٤] لمخلوق من الغنى عن غيره فالخالق سبحانه[٥] أحق به[٦] وأَوْلَى.

صفة « العلو » وكذلك قوله : ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ** ﴾(٧) من توهم[٨] أن مقتضى هذه الآية أن[٩] يكون الله في داخل السموات، فهو جاهل ضال بالاتفاق، وإن كنا إذا قلنا : إن الشمس والقمر في السماء، يقتضي[١٠] ذلك، فإن حرف « في » متعلق[١١] بما قبله وما[١٢] بعده[١٣]، فهو بحسب المضاف والمضاف إليه[١٤].

---

(١) ت ، ح : إلى حمل الأرض له.
(٢) أيضا : ليست في (ت ، ح).
(٣) ب : فكيف.
(٤) م ، ر : ما يثبت.
(٥) ت ، ح : سبحانه وتعالى.
(٦) به : سقطت من (ب).
(٧) سورة الملك : ١٦.
(٨) ب : من قولهم.
(٩) أن : سقطت من (ر).
(١٠) م ، ب ، ر : تقتضي.
(١١) م : يتعلق.
(١٢) ت ، ح : وبما.
(١٣) ب : بما قبله وما قبله.
(١٤) غ : فهو بحسب المضاف إليه والمضاف إليه، ح : فهو بحسب المضاف إليه.

ولهذا يُفرَّق بين كون الشيء في المكان، وكون الجسم في الحَيِّز، وكون العَرَض في الجسم، وكون الوجه في المرآة، وكون الكلام في الورق، فإن لكل نوع من هذه الأنواع خاصية[١] يتميز[٢] بها عن غيره، وإن كان حرف «في»[٣] مستعملا في ذلك كله[٤].

فلو قال قائل : العرش في السماء أم[٥] في الأرض ؟ لقيل : في السماء. ولو قيل : الجنة في السماء أم[٦] في الأرض ؟. لقيل : الجنة في السماء. ولا[٧] يلزم من ذلك أن يكون العرش داخل السموات، بل ولا الجنة[٨].

وقد[٩] ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا سألتم الله الجنة فسلوه[١٠] الفردوس[١١]، فإنها[١٢] أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفها عرش الرحمن)[١٣] .

---

(١) خاصية : كذا في (ب ، ر) ، وفي النسخ الأخرى : خاصة.
(٢) غ : تتميز.
(٣) في : سقطت من (م ، ر) لكن في (م) وقعت (حرف) منصوبة : وان كان حرفا مستعملا.
(٤) كله : في (غ) فقط.
(٥) أم : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : أو.
(٦) ب : أو.
(٧) غ ، م : ولم ، ب : لم (بسقوط الواو).
(٨) ب ، ر : بل ولا في الجنة.
(٩) ت ، ح : فقد.
(١٠) ت ، ر ، ح : فاسألوه. واللفظان في صحيح البخاري.
(١١) ت : الفردوس الأعلى.
(١٢) ت ، ح : فإنه.
(١٣) الحديث رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري ٦/١١ (رقم ٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ١٣/٤٠٤ (رقم ٧٤٢٣) كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) [سورة هود : ٧]، أحمد (ط. دار صادر) ٢/٣٣٥.

فهذه الجنة، سقفها الذي هو العرش[١] فوق الأفلاك، مع أن الجنة في السماء، والسماء[٢] يراد به[٣] العلو، سواء كان فوق الأفلاك أو تحتها، قال تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾(٤) وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾(٥).

ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين[٦] أن الله هو العلي الأعلى، وأنه فوق كل شيء، كان المفهوم من قوله : ﴿مَّن فِي السَّمَاءِ﴾[٧] : أنه في السماء، أنه في العلو وأنه فوق[٨] كل شيء.

وكذلك الجارية لما قال لها : (أين الله ؟). قالت : في السماء(٩)،

---

(١) م : فهذه الجنة التي سقفها هو العرش، ر : فهذه الجنة التي سقفها الذي هو العرش .

(٢) والسماء : سقطت من (ح).

(٣) ت : بها.

(٤) سورة الحج : ١٥.

(٥) سورة الفرقان : ٤٨.

(٦) غ، م، ر : في نفوس المخاطبين في العلو. والزيادة مكتوبة في (غ)، في الهامش وفوقها حرف (خـ).

(٧) من في السماء : في (غ) فقط.

(٨) كذا في (ت ، ح)، غ : وانه كان فوق. النسخ الأخرى : وإن كان فوق.

(٩) هذا جزء من حديث معاوية بن الحكم السلمي الطويل وفي آخره : ... وكانت لي جارية ترعى غنما لي قِبَلَ أُحُدٍ والجَوَّانِيَّة فاطلعتُ ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك علي. قلت يا رسول الله ! أفلا أعتقها ؟. قال : (إئتني بها). فأتيته بها فقال لها : (أين الله ؟). قالت : في السماء. قال : (من أنا ؟). قالت : أنت رسول الله. قال : (اعتقها فإنها مؤمنة) انظره في صحيح مسلم ١/٣٨١ــ٣٨٢ (رقم ٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع

═

إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه[1] بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها[2].

وإذا قيل: « العلو »، فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها، فما فوقها كلها هو في السماء، ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به[3]، إذ ليس[4] فوق العالم شيء[5] موجود إلا الله، كما [لو[6]] قيل: إن[7] العرش في السماء، فإنه لا يقتضي أن يكون العرش في شيء آخر موجود مخلوق.

وإذا[8] قُدِّر أن «السماء» المراد بها الأفلاك كان المراد أنه عليها، كما قال[9]: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[10] وكما قال:

الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، سنن أبي داود ٣/١٩٨ـــ٢٠٣ كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة ٩/١٠٦ـــ١٠٧، كتاب الأيمان والنذور، باب في الرقبة المؤمنة، سنن النسائي ٣/١٣ـــ١٤ كتاب السهو، الكلام في الصلاة، الموطأ ٢/١٤٠ كتاب العتاقة والولاء، ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة. غير أنه انفرد بتسمية راوي الحديث عمر بن الحكم.

(١) غ: مع عدم التخصيص.
(٢) ب، ر: وخلوه فيها.
(٣) م، ب: محيط به.
(٤) ب: أو ليس.
(٥) شيء: سقطت من (ت).
(٦) لو: سقطت من (غ).
(٧) إن: في (غ) فقط.
(٨) وإذا: كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى: وإن.
(٩) ب: كما قيل.
(١٠) سورة طه: ٧١.

﴿ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾(١)، وكما قال : ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ ﴾(٢)، ويقال : فلان في الجبل، وفي السطح. وإن كان [على][٣] أعلى شيء فيه[٤].

القاعدة الخامسة
نعلم ما أُخبرنا به من وجه دون وجه

القاعدة الخامسة ـ أنّا نعلم ما[٥] أُخبرنا به من وجه دون وجه، فإن[٦] الله تعالى[٧] قال : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾(٨)، وقال : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ ﴾(٩)، وقال : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الأَلْبَابِ ﴾(١٠)، وقال : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(١١)، فأمر بتدبر الكتاب كله.

وقد قال[١٢] : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٧.
(٢) سورة التوبة : ٢.
(٣) على : سقطت من (غ).
(٤) ت : شيء منه.
(٥) ح : لما.
(٦) غ : وإن.
(٧) تعالى : سقطت من (ح).
(٨) سورة النساء : ٨٢.
(٩) سورة المؤمنون : ٦٨.
(١٠) سورة ص : ٢٩.
(١١) سورة محمد : ٢٤.
(١٢) كذا في (غ) ، ح : وقد قال تعالى، النسخ الأخرى : وقال.

إلا اللَّهُ والرَّاسِخُونَ في العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُوْلُو الألْبَابِ ﴾(١).

الخلاف في إمكان معرفة تأويل المتشابه

وجمهور[٢] سلف الأمة وخلفها على أن الوقف عند[٣] قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللَّهُ ﴾، وهذا هو المأثور عن أُبَيّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم[٤]، ورُوي عن ابن عباس أنه قال : التفسير على أربعة أوجه، تفسير تعرفه العرب من كلامها[٥]، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه[٦] العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله من[٧] ادعى علمه فهو كاذب(٨).

وقد رُوي عن مجاهد(٩) وطائفة أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله(١٠)، وقد قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس من

---

(١) سورة آل عمران : ٧.

(٢) غ : وجماهير. وكتب في الهامش : وجمهور، وفوقها حرف (خـ).

(٣) ت ، ح : على.

(٤) غ : وغيرهما.

(٥) ب : وكلامها.

(٦) يعلمه : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : تعلمه.

(٧) ت : ومن.

(٨) هذا الأثر عن ابن عباس ذكره بسنده الطبري في مقدمة تفسيره (ط. دار المعارف) ٧٥/١، وقال ٧٦/١ : وقد رُوي نحوه عن رسول الله ﷺ خبر في إسناده نظر. وذكره. انظر ما قاله أحمد شاكر في هامش تلك الصفحة، وانظر تفسير ابن كثير ١٥/١ـ١٦.

(٩) أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي. إمام المفسرين، ولد سنة ٢١ هـ وتراوحت الأقوال في وفاته ما بين سنة ١٠٠ إلى سنة ١٠٤ هـ ترجمته في :
طبقات ابن سعد ٤٦٦/٥ـ٤٦٧، حلية الأولياء ٢٧٩/٣ـ٣١٠، تذكرة الحفاظ ٨٦/١ـ٨٧، ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣ـ٤٤٠، تهذيب التهذيب ٤٢/١٠ـ٤٤، الأعلام ١٦١/٦.

(١٠) غ : أن الراسخين يعلمون تفسيره، وانظر في هذا الخلاف تفسير الطبري (ط. دار المعارف) ٢٠١/٦ـ٢٠٤، وتفسير ابن كثير ٩٩/٢ـ١٠٠.

فاتحته إلى خاتمته أقف[١] عند كل آية وأسأله عن تفسيرها(٢).

التوفيق بين القولين بيان معاني لفظ « التأويل »

ولا منافاة بين القولين عند التحقيق، فإن لفظ « التأويل » قد صار بتعدد[٣] الاصطلاحات مستعملا في ثلاثة[٤] معان :

أحدها — وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين[٥] في الفقه وأصوله — أن التأويل[٦] هو صرف اللفظ عن[٧] الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل[٨] يقترن به ؛ وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم[٩] من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها، وهل هذا[١٠] محمود أو[١١] مذموم، وحق[١٢] أو باطل ؟

---

(١) أقف : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : أقفه.

(٢) روى الطبري في مقدمة تفسيره (ط. دار المعارف) ٩٠/١ بسنده عن مجاهد قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها. وأورده جل من ترجم لمجاهد لكن في خلاف حول عدد العرضات.

(٣) ت : متعدد.

(٤) غ : ثلاث.

(٥) ح : من المتكلمين.

(٦) أن التأويل : سقطت من (ب).

(٧) ب : من.

(٨) غ : بدليل.

(٩) م : يتكلم.

(١٠) هذا : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : ذلك.

(١١) ر : أم.

(١٢) ب ، ت ، ح : أو حق.

والثاني ــ أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن[١]، كما يقول ابن جرير(٢) وأمثاله من المصنِّفين في التفسير : « واختلف علماء التأويل ». ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري(٣) : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به(٤). وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري وغيرهم[٥] ــ فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد[٦] به[٧] معرفة تفسيره.

الثالث ــ من معاني التأويل ــ هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى[٨] : ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ** ﴾(٩).

---

(١) مفسري القرآن : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : المفسرين للقرآن.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤ــ٣١٠ هـ) أحد الأئمة المجتهدين وصاحب كتابي التفسير والتاريخ المشهورين وغيرهما، ترجمته في :
تاريخ بغداد ٢/١٦٢ــ١٦٩، وفيات الأعيان ٤/١٩١ــ١٩٢، تذكرة الحفاظ ٢/٢٥١ــ٢٥٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢/١٣٥ــ١٤٠، البداية والنهاية ١١/١٤٥ــ١٤٧، شذرات الذهب ٢/٢٦٠ــ٢٦١، إرشاد الأريب ٦/٤٢٣ــ٤٦٢، الأعلام ٦/٢٩٤.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (٩٧ــ١٦١ هـ) إمام في الحديث وغيره من العلوم، انظر في ترجمته : طبقات ابن سعد ٦/٣٧١ــ٣٧٤، تاريخ بغداد ٩/١٥١ــ١٧٤، وفيات الأعيان ٢/٣٨٦ــ٣٩١، تذكرة الحفاظ ١/١٩٠ــ١٩٣، البداية والنهاية ١٠/١٣٤، تهذيب التهذيب ٤/١١١ــ١١٥، الأعلام ٣/١٥٨.

(٤) ذكره الطبري في مقدمة تفسيره (ط. دار المعارف) ١/٩١.

(٥) غ ، م ، ت : الشافعي والبخاري وغيرهما.

(٦) ب : والمراد.

(٧) به : سقطت من (ت).

(٨) تعالى : سقطت من (ح)، م : كما قال الله تعالى.

(٩) سورة الأعراف : ٥٣.

فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد[1] هو[2] ما أخبر الله تعالى[3] به فيه، مما يكون من[4] القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك، كما قال[5] في قصة يوسف لما سجد أبواه وأخوته : ﴿ **وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ** ﴾(٦) فجعل عين (٧ [ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا.

فالتأويل[8] الثاني هو تفسير الكلام، وهو] ٧) الكلام الذي يُفسَّر به اللفظ حتى يُفهم معناه أو تُعرف[9] علته أو دليله، وهذا[10] التأويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج، ومنه قول عائشة [رضي الله عنها[11]] : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده : (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي) يتأول

---

(١) ر : المعان.

(٢) ت : وهو.

(٣) تعالى : في (غ ، م) فقط.

(٤) غ : مما يكون في ، ت : مما يكون من ما يكون في.

(٥) ت : كما قال تعالى.

(٦) سورة يوسف : ١٠٠.

(٧ — ٧) ما بينهما سقط من (غ).

(٨) فالتأويل : سقطت من (ح).

(٩) غ ، ب : يعرف.

(١٠) غ : وهذا هو.

(١١) رضي الله عنها : زيادة في (ب ، ر).

القرآن(١). تعني[٢] قوله تعالى[٣] : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ ﴾(٤) وقول سفيان بن عيينه(٥) : السُّنة هي تأويل الأمر والنهي.

فإن نفس الفعل المأمور به ([٦]هو تأويل الأمر به[٦])، ونفس الموجود المخبَر عنه هو تأويل الخبر، والكلام خبر وأمر، ولهذا يقول[٧] أبو عبيد(٨) وغيره : الفقهاء[٩] أعلم بالتأويل من أهل اللغة. كما

---

(١) رواه البخاري ٢٩٩/٢ (رقم ٨١٧) كتاب الأذان باب التسبيح والدعاء في السجود، ٧٣٣/٨ (رقم ٤٩٦٨)، كتاب تفسير القرآن (سورة إذا جاء نصر الله)، مسلم ٣٥٠/١ (رقم ٤٨٤) كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود، أبو داود ١٣٠/٣ــ١٣١ كتاب الصلاة باب الدعاء في الركوع والسجود، النسائي ١٧٣/٢ــ١٧٤ في التطبيق، باب الدعاء في السجود، ابن ماجه ٢٨٧/١ (رقم ٨٨٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب التسبيح في الركوع والسجود، أحمد ٤٣/٦، ٤٩، ١٩٠.

(٢) تعني : كذا في (م)، ت : معنى، النسخ الأخرى : يعني.

(٣) تعالى : في (غ ، ب) فقط.

(٤) سورة النصر : ٣.

(٥) سفيان بن عيينه بن ميمون الهلالي (١٠٧ــ١٩٨ هـ) محدِّث واسع العلم. ترجمته في : حلية الأولياء ٢٧٠/٧ــ٣١٨، تاريخ بغداد ١٧٤/٩ــ١٨٤، صفة الصفوة ١٣٠/٢ــ١٣٤، وفيات الأعيان ٣٩١/٢ــ٣٩٣، تذكرة الحفاظ ٢٤٢/١ــ٢٤٤، ميزان الاعتدال ١٧٠/٢ــ١٧١، الأعلام ١٥٩/٣.

(٦ــ٦) ما بينهما سقط من (ت).

(٧) ت : قال.

(٨) أبو عبيد : كذا في (م ، ح)، النسخ الأخرى : أبو عبيدة. وأبو عبيد هو القاسم بن سلّام (ت ٢٢٤ هـ) إمام في الحديث والفقه والأدب ترجمته في : تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ــ٤١٦، طبقات الحنابلة ٢٥٩/١ــ٢٦٢، وفيات الأعيان ٦٠/٤ــ٦٣، تذكرة الحفاظ ٥/٢ــ٦، طبقات الشافعية للسبكي ٢٧٠/١ــ٢٧٤، البداية والنهاية ٢٩١/١٠ــ٢٩٢، تهذيب التهذيب ٣١٥/٨ــ٣١٨، معجم الأدباء ٢٥٤/١٦ــ٢٦١، الأعلام ١٠/٦.

(٩) ت : ان الفقهاء.

ذكروا ذلك في تفسير اشتمال الصمّاء(١)، لأن الفقهاء يعلمون نفس(٢) ما أُمر به ونفس ما نُهي عنه(٣)، لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يعلم أتباع أبقراط(٤) وسيبويه(٥) ونحوهما من

---

(١) هي اللبسة المنهي عنها في عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ، في صحيح البخاري ٤٧٦/١ـ٤٧٧ كتاب الصلاة باب ما يستر العورة عن أبي سعيد الخدري (رقم ٣٦٧) وأبي هريرة (رقم ٣٦٨) وكررا في مواضع، وفي صحيح مسلم ١٦٦١/٣ (رقم ٢٠٩٩)، كتاب اللباس والزينة باب النهي عن اشتمال الصماء عن جابر، وفي مسند أحمد (ط. دار صادر) ٤٣٢/٢ عن أبي هريرة ، و ٦/٣ عن أبي سعيد، و ٢٩٣/٣ عن جابر، وكررت الثلاثة بعد هذه المواضع في أُخر، وعند أبي داود أحاديث أبي سعيد وأبي هريرة وجابر، وعند النسائي حديثا أبي سعيد وجابر، وعند الترمذي حديث أبي هريرة، وعند ابن ماجه أحاديث أبي سعيد وأبي هريرة وعائشة، وفي الموطأ حديثا أبي هريرة وجابر.

وجاء في غريب الحديث لأبي عبيد ١١٧/٢ـ١١٨ ما نصه « قال الأصمعي : اشتمال الصماء عند العرب أن يشتمل الرجل بثوبه فيجلل به جسده كله ولا يرفع منه جانبا فيخرج منه يده.. قال أبو عبيد : كأنه يذهب إلى أنه لا يدري لعله يصيبه شيء يريد الاحتراس منه وأن يقيه بيديه فلا يقدر على ذلك لإدخاله إياهما في ثيابه فهذا كلام العرب، وأما تفسير الفقهاء، فإنهم يقولون : هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فيبدو منه فرجه. والفقهاء أعلم بالتأويل في هذا، وذاك أصح معنى الكلام والله أعلم ».

(٢) ت ، ح : تفسير.

(٣) كذا في (غ ، م) وفي (ت) : ما أمر به وما نهي عنه. وفي النسخ الأخرى : ما أمر به ونهى عنه.

(٤) ت ، ر : بقراط. Hippocrates انتهت إليه رئاسة الأطباء في عصره، وتوفي سنة ٣٥٧ ق. م.

انظر : الفهرست لابن النديم ص ٢٨٧، تاريخ الحكماء للقفطي ص ٩٠، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٣ـ٥٧، طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ١٦ـ١٧، دائرة المعارف الاسلامية مادة « بقراط ».

(٥) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بسيبويه (١٤٨ـ١٨٠ هـ) شيخ النحاة. انظر : طبقات النحويين واللغويين ص ٦٦ـ٧٢، تاريخ بغداد ١٩٥/١٢ـ١٩٩، وفيات الأعيان ٤٦٣/٣ـ٤٦٥، البداية والنهاية ١٧٦/١٠ـ١٧٧، الأعلام ٢٥٢/٥.

مقاصدهم[١] ما لا يُعلم بمجرد اللغة. ولكن تأويل الأمر والنهي لابد من معرفته بخلاف تأويل (٢الخبر.

إذا عرف ذلك، فتأويل٢) ما أخبر الله[٣] به عن نفسه المقدَّسة [الغنية[٤]] بما لها من [حقائق[٥]] الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه[٦] المقدَّسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به[٧] من الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد[٨].

ما جاء في القرآن أو الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه

ولهذا ما يجيء[٩] في الحديث[(١٠)] نعمل بمحكمه ونؤمن[١١] بمتشابهه، لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة، تشبه[١٢] معانيها ما نعلمه في الدنيا[١٣]، كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا وعسلا وماء[١٤] وخمرا ونحو ذلك، وهذا يشبه[١٥] ما في الدنيا لفظا ومعنى، ولكن ليس هو مثله، ولا حقيقته[١٦] كحقيقته[١٧].

---

(١) م ، ت ، ح : مقاصدهما.
(٢-٢) ما بينهما سقط من (ت).
(٣) ت ، ح : الله تعالى.
(٤) الغنية : في (م) فقط وقد كتبت في الهامش وكتب فوقها : صح، ت ، ح : المقدسة المتصفة.
(٥) حقائق : سقطت من (غ).
(٦) ح : لنفسه.
(٧) ت : ما أخبر الله تعالى به، ح : ما أخبر الله به تعالى.
(٨) والوعيد : سقطت من (ب) ، ر : من الوعيد والوعيد.
(٩) غ ، م : ولهذا يجيء.
(١٠) كذا في جميع النسخ ولعل المراد : ما يجيء في القرآن أو الحديث.
(١١) غ : يعمل بمحكمه ويؤمن.
(١٢) غ ، ت ، ح : يشبه.
(١٣) ب ، ر : ما يعلمه الناس في الدنيا، غ : ما يعلمه الناس في الناس.
(١٤) وماء : في (غ) فقط.
(١٥) غ : تشبيه.
(١٦) ر : ولا حقيقة.
(١٧) كحقيقته : سقطت من (ح).

فأسماء[١] الله تعالى وصفاته أَوْلى[٢] — وإن كان بينها[٣] وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه[٤] — أن[٥] لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق، ولا حقيقته كحقيقته[٦].

يُخبر عن الغائب بالمعنى المعلوم في الشاهد وإن كانت الحقيقة مختلفة

والإخبار عن الغائب لا يُفهم إن لم يُعبَّر عنه[٧] بالأسماء[٨] المعلومة[٩] معانيها في الشاهد[١٠]، ويُعلم بها ما[١١] في الغائب بواسطة العلم بما في[١٢] الشاهد، مع العلم بالفارق[١٣] المميِّز، وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يُعلم في الشاهد.

وفي الغائب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على

---

(١) غ : وأسماء.

(٢) ت : أولى بذلك.

(٣) ت ، ر ، ح : بينهما.

(٤) ر : مشابه.

(٥) أن : سقطت من (ت) ، ب : فلا يكون.

(٦) كحقيقته : سقطت من (ر).

(٧) غ : إن لم يعبر به عنه.

(٨) ب : بأسماء.

(٩) كذا في (ت ، ح)، وفي النسخ الأخرى : المعلوم.

(١٠) غ : المشاهد.

(١١) ما : سقطت من (ب).

(١٢) ت : بها في.

(١٣) ب ، ر : بالفرق.

قلب بشر(١). فنحن إذا أخبرنا الله[٢] بالغيب الذي اختص به من الجنة[٣] والنار، علمنا معنى ذلك، وفهمنا ما أريد منّا فهمه[٤] بذلك الخطاب، وفسّرنا ذلك. وأما نفس الحقيقة المخبَر عنها، مثل التي لم تكن بعد، وإنما تكون يوم القيامة، فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله [تعالى[٥]] ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(٦) قالوا : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله[٧] البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان(٨). فبيّن[٩] أن

---

(١) في الحديث القدسي المروي من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (قال الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).

رواه البخاري ٨/٥١٥ـ٥١٦ (رقم ٤٧٧٩، ٤٧٨٠) كتاب التفسير باب (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) [سورة السجدة : ١٧]، ١٣/٤٦٥ (رقم ٨٤٩٨) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) [سورة الفتح : ١٥]، مسلم ٤/٢١٧٤ـ٢١٧٥ (رقم ٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، في فاتحته، الترمذي ٩/٥٦ أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ (سورة السجدة)، ابن ماجة ٢/١٤٤٧ (رقم ٤٣٢٨) كتاب الزهد، صفة الجنة، أحمد ٢/٣١٣، ٤٣٨، ٤٦٦، ٤٩٥.

(٢) ب ، ر : الله تعالى.

(٣) غ : في الجنة.

(٤) ت : من فهمه.

(٥) تعالى : في (ر) فقط.

(٦) سورة طه : ٥.

(٧) ب : وعلى الله.

(٨) تقدم تخريج هذين القولين ص ٤٣ ت ٨.

(٩) ب ، ر : فتبين.

الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهولة[١].

ومثل هذا يوجد كثيرا[٢] في كلام السلف والأئمة[٣]، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله، وأنه لا يعلم كيف الله إلا الله، فلا يعلم ما هو إلا هو. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك) وهذا في صحيح مسلم وغيره(٤)، وقال في الحديث الآخر : (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو

---

(١) ح : مجهول.

(٢) ب ، ر : ومثل هذا كثيرا يوجد.

(٣) غ : في كلام الأئمة والسلف.

(٤) هذا الثناء جاء في حديثين عن رسول الله ﷺ، فقد روي من غير وجه عن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : (اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك).

انظره في صحيح مسلم ١/٣٥٢ (رقم ٤٨٦) كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود، سنن أبي داود ٣/١٣٢ كتاب الصلاة باب الدعاء في الركوع والسجود، جامع الترمذي ٩/٤٦٩ أبواب الدعوات باب رقم (٧٨)، سنن النسائي ٢/١٦٦ التطبيق، باب نصب القدمين في السجود، ٢/١٧٦ التطبيق باب الدعاء في السجود، سنن ابن ماجه ٢/١٢٦٢–١٢٦٣ (رقم ٣٨٤١) كتاب الدعاء باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ، الموطأ ١/١٦٧ في الصلاة، ما جاء في الدعاء، مسند الإمام أحمد (ط. دار صادر) ٦/٥٨.

وعن علي بن أبي طالب : أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره... نحو حديث عائشة.

انظره في سنن أبي داود ٤/٣٠٢–٣٠٣ كتاب الصلاة باب القنوت في الوتر، سنن النسائي ٣/٢٦ قيام الليل باب الدعاء في الوتر، سنن الترمذي ١٠/١١–١٢ أبواب الدعوات باب في دعاء الوتر، سنن ابن ماجه ١/٣٧٣ (رقم ١١٧٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في القنوت في الوتر، مسند أحمد (ط. دار المعارف) ٢/١٠٩ (رقم ٧٥١).

استأثرت به في علم الغيب عندك). وهذا[1] الحديث في المسند وصحيح[2] أبي حاتم(٣). وقد أخبر فيه أن لله[4] من الأسماء ما استأثر به في علم الغيب عنده، فمعاني هذه الأسماء التي[5] استأثر الله بها[6] في علم الغيب عنده لا[7] يعلمها غيره[8].

أسماء الله وصفاته متنوعة في معانيها متفقة في دلالتها على ذات الله

والله سبحانه وتعالى[9] أخبرنا[10] أنه عليم، قدير، سميع، بصير[11]، غفور، رحيم، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته ؛ فنحن نفهم معنى ذلك، ونميّز بين العلم والقدرة، وبين الرحمة والسمع والبصر، ونعلم أن الأسماء كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله، مع تنوع معانيها[12]، فهي

(١) هذا : في (غ) فقط.
(٢) غ : وفي صحيح.
(٣) هذا بعض من حديث رواه ـ من طريق فضيل بن مرزوق حدثنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ وذكره. ـ الإمام أحمد في مسنده (ط. دار المعارف) ٥/٢٦٦ـ٢٦٨ (رقم ٣٧١٢)، ٦/١٥٣ـ١٥٤، (رقم ٤٣١٨)، الحاكم في مستدركه ١/٥٠٩، ابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان) ص ٥٨٩، (رقم ٢٣٧٢)، البيهقي في الأسماء والصفات ص ٦ ومن طريق أخرى ص ٦ـ٧. وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٢/٦١٦ـ٦١٧ : « رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم... وروى هذا الحديث الطبراني من حديث أبي موسى الأشعري » قلت : وكذا أورده عن أبي موسى النووي في الأذكار، ص ١٠٤. وقد صحح الحديث في بحثين عنه الاستاذان أحمد شاكر في شرحه للمسند ٥/٢٦٦ـ٢٦٨ ومحمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/١٧٦ـ١٨١ (رقم ١٩٩).
(٤) ر : الله.
(٥) غ : الذي.
(٦) ب ، ر ، ح : استأثر بها.
(٧) ت : ولا.
(٨) ب ، ر : لا يعلم بها غيره.
(٩) وتعالى : في (غ ، م) فقط.
(١٠) م ، ب ، ر : أخبر.
(١١) ب ، ر : عليم سميع بصير قدير.
(١٢) ت : مع تنوعها.

متفقة متواطئة من حيث الذات، متباينة من جهة الصفات.

وكذلك أسماء النبي ﷺ مثل[1] محمد، وأحمد، والماحي، والحاشر، والعاقب(٢). وكذلك أسماء القرآن [مثل القرآن][3]، والفرقان، والهدى، والنور، والتنزيل، والشفاء، وغير ذلك(٤). ومثل هذه الأسماء تنازع الناس فيها ؛ هل هي من قبيل المترادفة لاتحاد الذات، أو من قبيل المتباينة لتعدد الصفات، كما إذا قيل : السيف، والصَّارِم،

(١) مثل : سقطت من (ب ، ر).

(٢) وقع له صلى الله عليه وسلم أسماء كثيرة في القرآن والحديث وهذه الخمسة التي مثَّل بها المصنف جمعها الحديث المروي من غير طريق عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب). وفي بعض رواياته جاء تفسير العاقب بأنه (الذي ليس بعده نبي). وذكر ابن حجر [فتح الباري ٥٥٧/٦] بأن هذا التفسير محتمل للرفع والوقف.

أخرج الحديث البخاري ٥٥٤/٦ (رقم ٣٥٣٢) كتاب المناقب باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ٦٤٠/٨ـ٦٤١ (رقم ٤٨٩٦) كتاب التفسير باب (يأتي من بعدي اسمه أحمد) [سورة الصف : ٦]، مسلم ١٨٢٨/٤ (رقم ٢٣٥٤) كتاب الفضائل باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، الترمذي ١٢٨/٨ـ١٢٩ (في الأدب باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، أحمد ٨٠/٤، ٨٤، مالك في الموطأ ٢٦٢/٢ـ٢٦٣ كتاب الجامع، أسماء النبي، لكن أورده مرسلا فقال : عن محمد ابن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال...)

(٣) عبارة « مثل القرآن » ساقطةمن (غ).

(٤) سمى الله ـ جل ثناؤه ـ وحيه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأسماء كثيرة، وهذه شواهد ما مثل به الشيخ : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) [سورة يوسف : ٣]، (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ) [سورة الفرقان : ١]، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) [سورة يونس : ٥٧]، (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة الأعراف : ١٥٧]، (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [سورة الشعراء : ١٩٢].

والمُهَنَّد[1] ؛ وقصد بالصّارم معنى الصّرم، وفي المهند النسبة إلى الهند ؟. والتحقيق أنها مترادفة في الذات متباينة في الصفات.

ومما يوضح هذا أن الله وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه[2] متشابه، وفي موضع آخر جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه، فينبغي أن يُعرف[3] الإحكام والتشابه[4] الذي يعمه، والإحكام[5] والتشابه الذي يخص[6] بعضه.

قال تعالى[7] : ﴿ آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾[8] فأخبر أنه أحكم آياته كلها، وقال [تعالى[9]] : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ ﴾[10] فأخبر أنه كله متشابه.

معنى « الإحكام »

والحكم هو الفصل بين الشيئين، والحاكم[11] يفصل بين الخصمين، والحكمة[12] فصل بين المشتبهات[13] علما وعملا[14]، إذا مُيِّز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والنافع والضار، وذلك يتضمن

---

(١) ب ، ر : والمهند والصارم.
(٢) ح : وأنه.
(٣) غ : نعرف ، ب ، ر : تعرف.
(٤) ر : والمتشابه.
(٥) غ : الذي تعمه الأحكام.
(٦) ب : التي تخص.
(٧) م ، ح : قال الله تعالى.
(٨) سورة هود : ١.
(٩) تعالى : ليست في (غ ، م).
(١٠) سورة الزمر : ٢٣.
(١١) والحاكم : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : فالحاكم.
(١٢) ح : والحكم.
(١٣) ب ، ت ، ح : المتشابهات.
(١٤) غ : علما وعلما.

فعل النافع وترك الضار، فيقال : حَكَمْت السَّفيه[1] وأحْكَمْته إذا أخذت على يده[2]، وحَكَمْت الدَّابَّة وأحْكَمْتها إذا جعلت لها حَكَمَة وهو[3] ما أحاط بالحنك[4] من اللجام، وإحكام الشيء إتقانه، فإحكام[5] الكلام إتقانه بتمييز[6] الصدق من الكذب في أخباره، وتمييز[7] الرشد[8] من الغي في أوامره.

والقرآن كله محكم بمعنى الإتقان[9] ، فقد سماه الله حكيما[10] بقوله : ﴿ **آلر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ** ﴾(١١) فالحكيم بمعنى الحاكم، كما جعله يقص بقوله : ﴿ **إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾(١٢)، وجعله مفتيا في قوله : ﴿ **قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ** ﴾(١٣) أي ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن، وجعله هاديا ومبشرا في قوله : ﴿ **إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ** ﴾(١٤).

---

(١) السفيه : سقطت من (ت).
(٢) ح : يديه.
(٣) ت : وهي.
(٤) م : ما أحاط بالخيل، ب : ما أحاط بالحنط.
(٥) م : وإحكام.
(٦) ب ، ر : بتميز ، ت : يتميز.
(٧) ت : وتميز.
(٨) ر : الرشاد.
(٩) ر : الاتفاق.
(١٠) ت : حكما.
(١١) سورة يونس : ١.
(١٢) سورة النمل : ٧٦.
(١٣) سورة النساء : ١٢٧.
(١٤) سورة الإسراء : ٩.

معنى «التشابه»

وأما التشابه[١] الذي يعمه فهو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله : ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيرًا** ﴾(٢)، وهو الاختلاف المذكور في قوله : ﴿ **إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ** ﴾(٣).

فالتشابه[٤] هنا هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدِّق بعضه بعضا، فإذا أمر[٥] بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر به، أو بنظيره، أو بملزوماته، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل ينهى عنه، أو عن نظيره، أو عن لوازمه[٦]، إذا لم يكن هناك نسخ.

وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك، بل يخبر بثبوته، أو بثبوت[٧] ملزوماته، وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبته، بل ينفيه، أو ينفي لوازمه، بخلاف القول المختلف[٨] الذي ينقض بعضه بعضا، فيُثبت الشيء تارة وينفيه أخرى، أو يأمر به وينهى عنه في وقت واحد، أو يفرق[٩] بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر، فالأقوال المختلفة هنا هي المتضادة، والمتشابهة هي المتوافقة.

وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ، فإذا[١٠] كانت المعاني يوافق[١١] بعضها بعضا، ويعضد بعضها بعضا،

---

(١) كذا في (ت ، ح) ، النسخ الأخرى : وأما المتشابه.
(٢) سورة النساء : ٨٢.
(٣) سورة الذاريات : ٨، ٩.
(٤) غ ، ب : فالمشابه، م ، ر : فالمتشابه.
(٥) م ، ب ر : فإذا أمرنا.
(٦) ت ، ح : ملزوماته.
(٧) ب ، ر : أو ثبوت.
(٨) المختلف : سقطت من (ر).
(٩) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : ويفرق.
(١٠) ب ، ر : وإذا.
(١١) ت : توافق.

ويناسب بعضها بعضا، ويشهد بعضها لبعض، ويقتضي[١] بعضها بعضا — كان الكلام متشابها، بخلاف الكلام المتناقض الذي يضاد بعضه بعضا[٢].

وهذا[٣] التشابه[٤] العام لا ينافي الإحكام العام[٥]، بل هو مصدق له، فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضا، لا يناقض بعضه بعضا.

بخلاف الإحكام الخاص، فإنه ضد التشابه[٦] الخاص، فالتشابه[٧] الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله[٨]، وليس كذلك، والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه[٩] أحدهما بالآخر. وهذا التشابه إنما يكون لقدر[١٠] مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما.

التشابه قد يكون أمرا نسبيا

ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما، فيكون مشتبها عليه، ومنهم من يهتدي إلى ذلك، فالتشابه[١١] الذي لا تمييز معه[١٢] قد يكون من الأمور النِّسبيّة الإضافية، بحيث يشتبه على بعض الناس دون

---

(١) ب : أو يقتضي.
(٢) ح : بعضها.
(٣) ت ، ح : فهذا.
(٤) ب ، ر : المتشابه.
(٥) ب : والعام.
(٦) ب : المتشابه.
(٧) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : والتشابه.
(٨) ت : أو مثله.
(٩) ب : بحيث يشتبه.
(١٠) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : بقدر.
(١١) ب ، ر : فالمتشابه.
(١٢) ح : الذي لا يتميز معه، ب : الذي لا تبيين معه.

بعض، ومثل هذا يعرف[١] منه أهل[٢] العلم ما يزيل عنهم[٣] هذا الاشتباه، كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه في الدنيا فظن[٤] أنه مثله، فعلم[٥] العلماء أنه ليس هو[٦] مثله وإن كان مشبها له من بعض الوجوه.

ومن هذا الباب الشُّبه التي[٧] يضل بها بعض الناس، وهي ما يشتبه[٨] فيها الحق بالباطل[٩]، حتى يشتبه[١٠] (١١[على بعض الناس، ومن أوتي العلم بالفصل بين هذا وهذا[١٢] لم[١٣] يشتبه١١)] عليه الحق بالباطل.

والقياس الفاسد إنما هو من باب الشبهات، لأنه تشبيه[١٤] للشيء في بعض الأمور بما لا يشبهه فيه، فمن عرف الفصل بين الشيئين اهتدى[١٥] للفرق الذي يزول به الاشتباه والقياس الفاسد.

---

(١) ر : تعرف.
(٢) غ : يعرف من هو أهل.
(٣) م : عنه.
(٤) فظن : كذا في (م ، ح) ، ب ، ر : وظن، غ ، ت : فيظن.
(٥) غ : فعلمه ، ت : فيعلم.
(٦) هو : ليست في (ت ، ح).
(٧) ب : الذي.
(٨) ر : ولهذا ما يشبه.
(٩) ح : الحق والباطل.
(١٠) ت : تشبه، ر : يشبه.
(١١—١١) ما بينهما سقط من (غ).
(١٢) ب ، ر : بين هذا من هذا.
(١٣) ت ، ر : ولم.
(١٤) ب : لا تشبيه.
(١٥) ر : اهدى ، ب : هدي.

عامـة الضلال من جهة التشابه

وما من شيئين إلا ويجتمعان في شيء، ويفترقان في شيء، فبينهما[١] اشتباه من وجه وافتراق من وجه، ولهذا[٢] كان ضلال[٣] بني آدم من قبل التشابه ــ والقياس الفاسد لا ينضبط[٤] ــ كما قال الإمام أحمد [رحمه الله][٥] : أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل والقياس، فالتأويل[٦] في الأدلة السمعية، والقياس في الأدلة العقلية، وهو كما قال، والتأويل الخطأ إنما يكون في الألفاظ المتشابهة، والقياس الخطأ إنما يكون في المعاني المتشابهة.

مذاهب طوائف ضلت من هذه الجهة

وقد وقع بنو آدم في عامة ما يتناوله[٧] هذا الكلام من أنواع الضلالات، حتى آل الأمر بمن[٨] يدعي التحقيق والتوحيد والعرفان[٩] منهم إلى أن اشتبه[١٠] عليهم وجود الرب بوجود كل موجود فظنوا أنه هو، فجعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق، مع أنه لا شيء أبعد عن[١١] مماثلة شيء، أو أن يكون[١٢] إياه، أو متحدا به، أو حالا فيه من الخالق مع المخلوق.

---

(١) ب : وبينهما.
(٢) كذا في (م)، وفي النسخ الأخرى : فلهذا.
(٣) في هامش (م) كتب : لعله سقط هنا كان من ضلال.
(٤) م ، ر : ما لا ينضبط.
(٥) رحمه الله : زيادة من (ر).
(٦) غ : كالتأويل ، ب : في التأويل.
(٧) ر : ما تناول.
(٨) غ : لمن، ت ، ح : إلى من.
(٩) غ : يدعي تحقيق التوحيد والعرفان، ت : يدعي التحقيق في التوحيد والعرفان.
(١٠) ب : إلى أن أثبته.
(١١) ر : من.
(١٢) م : أو يكون ، ح : وأن يكون.

فمن اشتبه[١] عليهم[٢] وجود الخالق بوجود المخلوقات[٣] — حتى ظنوا وجودها وجوده — فهم أعظم الناس ضلالاً من جهة الاشتباه، وذلك أن الموجودات تشترك في مسمى « الوجود » فرأوا الوجود[٤] واحداً، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع.

وآخرون توهموا أنه إذا قيل : الموجودات تشترك في مسمى « الوجود »، لزم التشبيه والتركيب، فقالوا : لفظ « الوجود » مقول[٥] بالاشتراك اللفظي، فخالفوا ما اتفق عليه العقلاء مع اختلاف أصنافهم من أن الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث، ونحو ذلك من أقسام الموجودات.

وطائفة ظنت أنه[٦] إذا كانت الموجودات تشترك في مسمى « الوجود » لزم أن يكون[٧] في الخارج عن الأذهان موجود مشترك فيه، وزعموا أن في الخارج عن الأذهان كليات مطلقة : مثل وجود مطلق، وحيوان مطلق، وجسم مطلق، ونحو ذلك ؛ فخالفوا الحس والعقل والشرع، وجعلوا ما في الأذهان ثابتا في الأعيان، وهذا كله من أنواع الاشتباه[٨].

---

(١) ت : فمن هنا اشتبه.
(٢) ح : عليه.
(٣) كذا في (ب)، وفي النسخ الأخرى : بوجود المخلوقات كلها.
(٤) فرأوا الوجود : سقطت من (ر).
(٥) م : منقول ، ب ، ر : لفظ الوجود مشترك. لكن في (ر) وضع فوق مشترك حرف (خـ) وكتب أمامه في الهامش : مقول.
(٦) ب : أنها، غ : فطائفة قالت إنه.
(٧) غ : تكون.
(٨) كذا في (ب)، غ : وهذا كله نوع من الاشتباه، النسخ الأخرى : وهذا كله من نوع الاشتباه.

ومن هداه الله سبحانه[1] فرّق بين الأمور وإن اشتركت من بعض الوجوه، وعلم ما بينها[2] من الجمع والفرق[3]، والتشابه والاختلاف، وهؤلاء لا يضلون[4] بالمتشابه من الكلام لأنهم يجمعون[5] بينه وبين المحكم — الفارق[6] الذي يبين ما بينهما من الفصل والافتراق.

وهذا[7] كما أن لفظ « إنّا » و « نحن » وغيرهما من صيغ الجمع (٨يتكلم بها الواحد٨) الذي[9] له شركاء[10] في الفعل[11]، ويتكلم بها الواحد العظيم، الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد، وله أعوان تابعون له، لا شركاء له. فإذا تمسك النصراني بقوله ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ** ﴾(١٢) ونحوه على تعدد الآلهة، كان المحكم كقوله[13] : ﴿ **وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ** ﴾(١٤)

---

(١) سبحانه : في (غ) فقط.

(٢) كذا في (ت) ، النسخ الأخرى : ما بينهما.

(٣) والفرق : سقطت من (ر).

(٤) غ ، م : وهؤلاء يضلون.

(٥) م : لأنهم لا يجمعون. وفي الهامش كتب : خ يجمعون بإسقاط «لا».

(٦) ب : المفارق.

(٧) ب : وهكذا.

(٨—٨) ما بينهما سقط من (ت).

(٩) الذي : سقطت من (ح).

(١٠) ب : شريكا، م ، ر : مشتركا. وكتب في هامش (م) : صوابه مشارك، ت : الذي ليس له شريك.

(١١) غ : في القول.

(١٢) سورة الحجر : ٩.

(١٣) م : لقوله.

(١٤) سورة البقرة : ١٦٣. المثبت في (ت)، وفي النسخ الأخرى : (وإلهكم إله واحد). فقط.

ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحدا — يزيل[1] ما هناك من الاشتباه، وكان ما ذكره من صيغ[2] الجمع مبينا[3] لما يستحقه من العظمة والأسماء والصفات وطاعة المخلوقات من الملائكة وغيرهم[4].

حقائق الأسماء والصفات من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله

وأما حقيقة ما دل عليه ذلك من حقائق الأسماء والصفات، وما له من الجنود الذين[5] يستعملهم[6] في أفعاله، فلا يعلمه[7] إلا هو ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ** ﴾(٨)، وهذا من تأويل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

بخلاف الملك من البشر إذا قال : قد أمرنا لك بعطاء. فقد عُلم أنه هو وأعوانه — مثل كاتبه، وحاجبه، وخادمه، ونحو ذلك — (٩أمروا به، وقد يُعلم ما صدر عنه ذلك الفعل من اعتقاداته وإراداته[10] ونحو ذلك٩).

والله [سبحانه و] تعالى[11] لا يعلم[12] عباده الحقائق التي أخبر عنها[13] من صفاته وصفات اليوم الآخر، ولا يعلمون حقائق ما أراد

---

(١) غ : تزيل.
(٢) كذا في (ت)، النسخ الأخرى : صيغة.
(٣) غ : مثبتا.
(٤) وغيرهم : سقطت من (ب).
(٥) كذا في (ح)، النسخ الأخرى : الذي.
(٦) ب : يسخرهم، ر : سيخرهم.
(٧) ب ، ر ، ح : فلا يعلمهم.
(٨) سورة المدثر : ٣١.
(٩—٩) ما بينهما سقط من (ت).
(١٠) غ ، م ت : وإرادته.
(١١) كذا في (ت ، ح)، وفي النسخ الأخرى : والله تعالى.
(١٢) ب ، ر : لا تعلم.
(١٣) م : أخبر بها.

بخلقه وأمره من الحكمة، ولا حقائق ما صدرت عنه [من[1]] المشيئة والقدرة.

وبهذا يتبين أن التشابه يكون في الألفاظ المتواطئة، كما يكون في الألفاظ المشتركة التي ليست بمتواطئة(٢)، وإن زال الاشتباه بما يميّز أحد المعنيين[3] من إضافة أو تعريف[4]، كما إذا قيل: ﴿ **فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ** ﴾(٥) فهنا[6] قد خص هذا الماء بالجنة[7]، فظهر الفرق بينه وبين ماء الدنيا، لكن حقيقة[8] ما امتاز به ذلك الماء غير معلوم لنا، وهو ــ مع ما أعد الله[9] لعباده الصالحين مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ــ من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

وكذلك مدلول أسمائه[10] وصفاته[11] التي[12] يختص بها[13]، التي هي حقيقته[14]، لا يعلمها إلا هو.

---

(١) من : سقطت من (غ).
(٢) انظر فيما سيأتي ص ١٣٠ ت ٧.
(٣) كذا في (غ ، ت)، م : أحد النوعين المعنيين، ب : أحد المتعينين، ر : أحد النوعين المعينين، ح : أحد النوعين.
(٤) ر : من أصنافه أو تعريفه.
(٥) سورة محمد : ١٥.
(٦) م ، ر ، ح : فهناك.
(٧) ب : لما بالجنة.
(٨) غ : إلى حقيقة.
(٩) كذا في (غ)، وفي (ب ، ر) : وهو مع ما أوعده الله، وفي (م، ح) : وهو ما أعده الله، وفي (ت) : وهو مما أعده الله تعالى.
(١٠) ر : مدلول في أسمائه.
(١١) وصفاته : سقطت من (ب).
(١٢) التي : سقطت من (ت)، ب ، ر ، ح : الذي.
(١٣) ت : تختص بها.
(١٤) حقيقته : كذا في (غ) ، وفي النسخ الأخرى : حقيقة.

ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد وغيره ينكرون على الجهمية وأمثالهم من الذين يحرّفون الكلم عن مواضعه — تأويل ما تشابه عليهم من القرآن على غير تأويله، كما قال الإمام[١] أحمد في كتابه الذي صنفه في « الرد على الزنادقة والجهمية[٢] فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولتـه[٣] على غير تأويله(٤) ».

وإنما[٥] ذمهم لكونهم تأوّلوه على غير تأويله، وذكر في ذلك ما يشتبه عليهم معناه، وإن كان لا يشتبه على غيرهم، وذمهم على أنهم تأولوه على غير تأويله، ولم ينف[٦] مطلق التأويل[٧]، كما تقدم من أن لفظ « التأويل » يراد به التفسير المبيِّن لمراد الله تعالى[٨] به، فذلك[٩] لا يعاب بل يحمد[١٠]، ويراد بالتأويل الحقيقة التي استأثر الله بعلمها، فذاك لا يعلمه إلا هو[١١]، وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع.

غلط من ينفي التأويل مطلقا

ومن لم يعرف هذا اضطربت أقواله، مثل طائفة يقولون : [إن[١٢]] التأويل باطل، وإنه يجب إجراء اللفظ على ظاهره؛ ويحتجون بقوله :

---

(١) الإمام : في (غ) فقط.
(٢) ت : الجهمية والزنادقة.
(٣) ت : وتأويله.
(٤) انظر هذا الكتاب ضمن مجموعة من الرسائل السلفية جمعها علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي في مجلد عنوانه : « عقائد السلف » نشرته منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ م.
(٥) ر : فإن ما.
(٦) كذا في (ت) ، ح : ولم ينفوا، النسخ الأخرى : لم ينف [بسقوط الواو].
(٧) كذا في (غ ، ت) ، النسخ الأخرى : مطلق لفظ التأويل.
(٨) تعالى : في (غ ، ت) فقط.
(٩) ب ، ر : فذاك، غ : فكذلك.
(١٠) ت : لا يعاب ويحمد.
(١١) ر : لا يعلمه إلا الله.
(١٢) إن : سقطت من (غ).

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(١) ويحتجون بهذه الآية على إبطال التأويل.

وهذا تناقض منهم، لأن هذه الآية تقتضي[٢] أن هناك تأويلا لا يعلمه إلا الله، وهم ينفون التأويل مطلقا.

وجهة[٣] الغلط أن التأويل الذي استأثر الله بعلمه هو الحقيقة التي[٤] لا يعلمها إلا هو، وأما التأويل المذموم والباطل فهو تأويل أهل التحريف والبدع، الذين[٥] يتأولونه على غير تأويله، ويدّعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك، ويدّعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل ! ويصرفونه إلى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه ! فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإن كان الثابت حقا ممكنا كان المنفي[٦] مثله، وإن كان المنفي[٧] باطلا ممتنعا كان الثابت مثله.

وهؤلاء الذين ينفون التأويل مطلقا، ويحتجون بقوله تعالى[٨] : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ قد يظنون أنّا خوطبنا في القرآن بما لا يفهمه أحد، أو بما[٩] لا معنى له، أو بما[١٠] لا يُفهم منه شيء[١١].

---

(١) سورة آل عمران : ٧.
(٢) م : يقتضي.
(٣) ب : ووجه.
(٤) م : الذي.
(٥) ت : الذي.
(٦) غ ، ب ، ر : النفي.
(٧) ب ، ر : النفي.
(٨) تعالى : في (غ) فقط.
(٩) م : وبما.
(١٠) غ : وبما.
(١١) في (م) وضع هنا ما يدل على وجود سقط، وكتب في الهامش : فإنه لا ظاهر له على قولهم صح.

وهذا مع أنه باطل فهو[١] متناقض، لأنّا إذا لم نفهم منه شيئا[٢] لم يجز أن نقول[٣] : له تأويل يخالف الظاهر ولا يوافقه، لإمكان[٤] أن يكون له معنى صحيح، وذلك المعنى الصحيح لا يخالف الظاهر المعلوم لنا، فإنه لا ظاهر له على قولهم، فلا تكون دلالته[٥] على ذلك المعنى دلالة على خلاف الظاهر فلا يكون تأويلا، ولا يجوز نفي[٦] دلالته على معان لا نعرفها[٧] على هذا التقدير، فإنَّ تلك المعاني التي دلت[٨] عليها قد لا نكون[٩] عارفين بها[١٠]، ولأنّا[١١] إذا لم نفهم اللفظ ومدلوله [المراد[١٢]] فلأن لا نعرف المعاني[١٣] التي لم يدل عليها اللفظ أولى، لأن إشعار اللفظ بما[١٤] يراد به أقوى من إشعاره بما لا يراد به، فإذا كان اللفظ لا إشعار له بمعنى من المعاني، ولا يُفهم منه معنى أصلا، لم[١٥] يكن مشعرا بما أُريد به، فلأن لا يكون[١٦] مشعرا بما لم يرد [به[١٧]] أولى.

(١) م : وهو ، ت : فإنه.
(٢) ت ، ر : شيء ، غ ، م : لأنه إذا لم يفهم منه شيء.
(٣) غ : يقول.
(٤) م ، ر : الإمكان.
(٥) كذا في (م ، ح)، وفي (ت) : فلأن دلالته، وفي النسخ الأخرى : فلا يكون دلالته.
(٦) نفي : سقطت من (ح)، ر : ننفي ، م : ولا يجوز أن ننفي.
(٧) غ : لا يعرفها.
(٨) غ ، ح : دل.
(٩) غ : لا يكونون ، ب : لا يكونوا ، ر : لا تكونوا.
(١٠) م : عارفين لها.
(١١) ب : ولا ما.
(١٢) المراد : في (م) فقط وقد كتبت في الهامش.
(١٣) م : فلأن لا نعرف دلالته على المعاني. لكن « دلالته على » علقت في الهامش.
(١٤) ب : مما.
(١٥) في هامش (ت) : لعله ولم.
(١٦) غ ، م ، ح : فلئلا يكون.
(١٧) به : سقطت من (غ).

فلا يجوز أن يقال : [إن[١]] هذا اللفظ متأوّل، بمعنى أنه مصروف عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، فضلاً عن أن يقال : إن هذا التأويل لا يعلمه إلا الله، اللهم إلا أن يراد بالتأويل ما يخالف الظاهر[٢] المختص[٣] بالمخلوقين[٤] ، فلا ريب أن من أراد بالظاهر هذا فلا بد أن[٥] يكون له تأويل يخالف ظاهره.

لكن إذا قال هؤلاء : إنه ليس لها[٦] تأويل يخالف الظاهر، [(٧) أو إنها[٨] تجرى على المعاني الظاهرة منها، كانوا متناقضين. وإن أرادوا بالظاهر(٧)] هنا معنى وهنا[٩] معنى في سياق واحد من غير بيان كان تلبيسا، وإن[١٠] أرادوا[١١] بالظاهر مجرد اللفظ، (١٢أي تجرى[١٣] على[١٤] مجرَّد اللفظ١٢) الذي يظهر من غير فهم لمعناه كان إبطالهم للتأويل أو إثباته[١٥] تناقضا[١٦]، لأن من أثبت تأويلا أو

---

(١) إن : ليست في (غ).
(٢) كذا في (م) ، ر : الظاهرة، غ : ظاهر، النسخ الأخرى : ظاهره.
(٣) ب ، ت ، ر : اللائق.
(٤) ح : بالخلق.
(٥) ح : لا بد وأن.
(٦) في (م) وضع فوق « لها » سهم يشير للهامش وكتب فيه : له صح.
(٧-٧) ما بينهما سقط من (غ).
(٨) ت : وإنها.
(٩) ت : وهو.
(١٠) ب : وإذا.
(١١) غ ، ت : أراد.
(١٢-١٢) ما بينهما سقط من (ح).
(١٣) كذا في (م) ، ت : الذي يجرى ، النسخ الأخرى : أي يجرى.
(١٤) ب : عن.
(١٥) ت : وإثباته.
(١٦) غ ، ت : متناقضا، ر : أو إثبات تناقضها.

نفاه[١] فقد فهم [منه[٢]] معنى من المعاني. وبهذا التقسيم يتبين[٣] تناقض كثير من الناس من نفاة الصفات ومثبتيها في هذا الباب.

القاعدة السادسة
بيان الضابط الذي تُعرف به الطرق الصحيحة والباطلة في النفي والإثبات

القاعدة السادسة ــ أنّ[٤] لقائل أن يقول: لا بدّ في هذا الباب من ضابط يُعرف به ما يجوز على الله سبحانه وتعالى[٥] مما لا يجوز[٦] في النفي والإثبات، إذ الاعتماد في هذا الباب على مجرد نفي التشبيه أو مطلق الإثبات من غير تشبيه[٧] ليس بسديد، وذلك أنه ما من شيئين إلا وبينهما[٨] قدر مشترك وقدر مميّز.

خطأ الاعتماد في النفي على مجرد ادعاء التشبيه فيما يُنفى

فالنافي إن اعتمد فيما ينفيه على أن هذا تشبيه، قيل له: إن أردت أنه مماثل له من كل وجه فهذا باطل، وإن أردت أنه مشابه[٩] له من وجه دون وجه، أو مشارك له في الاسم، لزمك هذا في سائر ما تثبته[١٠]، وأنتم إنما أقمتم الدليل على إبطال التشبيه والتماثل[١١]، الذي فسرتموه بأنه يجوز على أحدهما[١٢] ما يجوز على الآخر، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، ويجب له ما يجب له[١٣].

---

(١) غ: لأن من أثبته أو نفاه.
(٢) منه: في (م) فقط.
(٣) م: وهذا التقسيم يبين.
(٤) كذا في (م) وهامش (غ)، وفي أصلها والنسخ الأخرى: أنه.
(٥) سبحانه وتعالى: في (غ، م) فقط.
(٦) م: مما لا يجوز عليه.
(٧) ب: شبيه.
(٨) كذا في (غ، ت)، وفي النسخ الأخرى: إلا بينهما.
(٩) م، ر: متشابه.
(١٠) ح: ما نثبته، غ، م: ما أثبته.
(١١) ب: والتماثيل.
(١٢) ب: إحداهما.
(١٣) له: سقطت من (ب)، ر: ما يجب عليه.

ومعلوم أن إثبات التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور ما يقول، فإنه يعلم[١] بضرورة العقل امتناعه، ولا يلزم من نفي[٢] هذا نفي التشابه من بعض الوجوه، [كما[٣]] في الأسماء والصفات المتواطئة.

ولكن من الناس من يجعل التشبيه مفسرا بمعنى من المعاني، ثم إن[٤] كل من أثبت ذلك المعنى قالوا : إنه مشبِّهٌ. ومنازعهم يقول : ذلك المعنى ليس هو من التشبيه.

من شبه المعتزلة أن إثبات الصفات يستلزم تعدد القديم

وقد يفرَّق[٥] بين لفظ « التشبيه » و « التمثيل »، وذلك أن المعتزلة ونحوهم[٦] من نفاة الصفات يقولون : كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبِّه ممثِّل، فمن[٧] قال : إن لله علما قديما، أو قدرة[٨] قديمة، كان عندهم مشبها ممثلا، لأن « القِدم[٩] » عند جمهورهم هو أخص وصف[١٠] الإله، فمن أثبت[١١] لله[١٢] صفة قديمة فقد أثبت له[١٣] مِثْلا قديما[١٤]، فيسمونه[١٥] ممثلا بهذا الاعتبار.

---

(١) ت : ما يقوله إنما يعلم.
(٢) نفي : سقطت من (ب ، ت ، ر).
(٣) كما : سقطت من (غ).
(٤) إن : سقطت من (م ، ب ، ر).
(٥) ب : يعرف.
(٦) ب ، ت ، ر : أن المعتزلة ومن وافقهم.
(٧) م : ومن.
(٨) ب ، ت : وقدرة.
(٩) ح : القديم.
(١٠) ب : أخص من وصف.
(١١) م : ثبت.
(١٢) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : له.
(١٣) ح : لله.
(١٤) م : قديما عندهم.
(١٥) ح : ويسمونه.

جواب المثبتة عن هذه الشبهة

ومثبتة الصفات[١] لا يوافقونهم على هذا، بل يقولون : أخص وصفه [حقيقة] ما لا يتصف[٢] به غيره، مثل كونه رب العالمين، وأنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه إله واحد، ونحو ذلك، والصفة لا توصف بشيء من ذلك.

ثم من هؤلاء الصفاتية(٣) من لا يقول في الصفات : إنها قديمة، بل يقول : الرب بصفاته قديم ؛ ومنهم من يقول : هو قديم وصفته قديمة، ولا يقول : هو وصفاته قديمان ؛ ومنهم من يقول : هو وصفاته قديمان، ولكن يقول : ذلك لا يقتضي مشاركة الصفة له في شيء من خصائصه، فإن القِدم ليس من خصائص الذات المجردة، بل هو[٤] من خصائص الذات الموصوفة بصفات[٥]، وإلا فالذات المجردة لا وجود لها عندهم، فضلاً عن أن تختص[٦] بالقِدم، وقد يقولون : الذات متصفة[٧] بالقدم والصفات متصفة بالقدم وليست الصفات إلـٰهاً ولا ربّاً، كما أن النبي[٨] محدَث وصفاته محدَثة، وليست صفاته نبيا[٩].

---

(١) ب : ومشبهو الصفات.
(٢) كذا في (ر) ب : أخص حقيقة من ما لا يتصف، ت : أخص وصفة بما حقيقتها لا يتصف، النسخ الأخرى : أخص وصفه ما لا يتصف.
(٣) الصفاتية : يطلق هذا الوصف على مثبتي الصفات أو بعضها على اختلاف فرقهم، انظر هنا هذه الصفحة والتي تليها، وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ط. الرياض) ٢٩٥/٥، ٣١٧، ٤٠/٦، ٥٢٠ ، الملل والنحل للشهرستاني ١/١١٦ـــ١١٩ .
(٤) هو : سقطت من (ح).
(٥) غ : بالصفات.
(٦) غ ، ر : يختص.
(٧) ر : متصف.
(٨) ب : الشيء.
(٩) نبيا : سقطت من (ب).

فهؤلاء إذا أطلقوا على الصفاتية اسم « التشبيه » و « التمثيل » كان هذا بحسب اعتقادهم الذي ينازعهم فيه أولئك، ثم يقول[١] لهم أولئك : هب[٢] أن هذا المعنى قد يسمى في اصطلاح بعض الناس تشبيها، فهذا المعنى لم ينفه عقل ولا سمع، وإنما الواجب نفي ما نفته الأدلة الشرعية والعقلية.

والقرآن قد نفى مسمًّى « المثل » و « الكفء » و « الند » ونحو ذلك، ولكن يقولون : الصفة في لغة العرب ليست مثل الموصوف ولا كفأه ولا نده فلا تدخل[٣] في النص[٤]، وأما العقل فلم ينف مسمًّى « التشبيه » في اصطلاح[٥] المعتزلة.

من شبههم أيضا أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم والأجسام متماثلة

وكذلك أيضا يقولون[٦] : إن الصفات لا تقوم إلا بجسم متحيّز، والأجسام متماثلة، فلو قامت به الصفات للزم[٧] أن يكون مماثلا لسائر الأجسام[٨]، وهذا هو التشبيه.

وكذلك يقول هذا كثير من الصفاتية الذين يثبتون الصفات وينفون علوه على العرش وقيام[٩] الأفعال الاختيارية [به[١٠]] ونحو ذلك، ويقولون : الصفات قد تقوم بما ليس بجسم، وأما العلو على العالم فلا

---

(١) ر : نقول، ح : تقول.
(٢) هب : سقطت من (ب).
(٣) م ، ح : يدخل.
(٤) ب ، ت ، ر : النصوص.
(٥) غ : مسمى الشبيه باصطلاح.
(٦) ت : وذلك أيضا أنهم يقولون.
(٧) ب : لزم.
(٨) ب : كسائر الأجسام.
(٩) غ : أو قيام.
(١٠) به : سقطت من (غ ، ب).

يصح إلا إذا كان جسما، فلو أثبتنا علوه للزم أن يكون جسما، وحينئذ فالأجسام متماثلة فيلزم التشبيه.

فلهذا تجد[١] هؤلاء يسمُّون[٢] من أثبت العلو ونحوه[٣] مشبِّها، ولا يسمُّون من أثبت السمع والبصر والكلام ونحوه مشبِّها، كما يقوله[٤] صاحب « الإرشاد »(٥) وأمثاله.

وكذلك قد[٦] يوافقهم على القول بتماثل الأجسام القاضي أبو يعلى(٧) وأمثاله من مثبتة الصفات والعلو، ولكن[٨] هؤلاء قد[٩] يجعلون العلو صفة خبرية[١٠]، كما هو أول قولي القاضي أبي يعلى[١١]، فيكون

---

(١) ر : يجد.

(٢) غ ، م ، ر : لا يسمون.

(٣) ونحوه : سقطت من (م ، ر).

(٤) كذا في (غ ، ب)، وفي النسخ الأخرى : يقول.

(٥) كتاب « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد » نشرته مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م بتحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد. وصاحبه هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الملقب بإمام الحرمين (٤١٩—٤٧٨ هـ) من علماء الشافعية وكبار أئمة الأشاعرة. ترجمته في : تبيين كذب المفتري ص ٢٧٨—٢٨٥، وفيات الأعيان ١٦٧/٣—١٧٠، طبقات الشافعية ٢٤٩/٣—٢٨٢، البداية والنهاية ١٢٨/١٢—١٢٩، شذرات الذهب ٣٥٨/٣—٣٦٢، الأعلام ٣٠٦/٤.

(٦) قد : في (غ) فقط.

(٧) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء (٣٨٠—٤٥٨ هـ) من كبار أئمة الحنابلة.

ترجمته في : تاريخ بغداد ٢٥٦/٢، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٩٣/٢—٢٣٠، البداية والنهاية ٩٤/١٢—٩٥، شذرات الذهب ٣٠٦/٣—٣٠٧، الوافي بالوفيات ٧/٣—٨، الأعلام ٣٣١/٦.

(٨) ب ، ت ، ح : لكن (بدون الواو).

(٩) قد : سقطت من (ت ، ر ، ح).

(١٠) ت : حيزية.

(١١) ب : أول قول القاضي أبو يعلى.

الكلام فيه كالكلام في الوجه، وقد يقولون[١] : إن ما يثبتونه لا ينافي[٢] الجسم، كما يقولونه في سائر الصفات. والعاقل إذا تأمل وجد[٣] الأمر فيما نفوه كالأمر فيما أثبتوه لا فرق[٤] .

جواب المثبتة عن هذه الشبهة

وأصل كلام هؤلاء كلهم على أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم[٥]، والأجسام متماثلة. والمثبتون يجيبون عن هذا تارة بمنع[٦] (٧المقدمة الأولى، وتارة بمنع٧) المقدمة الثانية، وتارة بمنع[٦] كلتا المقدمتين[٨]، وتارة بالاستفصال(٩) .

ولا ريب أن قولهم بتماثل الأجسام قول باطل، سواء فسروا الجسم بما يشار إليه، أو بالقائم بنفسه، أو بالموجود، أو بالمركب من الهيولى والصورة، ونحو ذلك. فأما إذا[١٠] فسروه بالمركب من الجواهر المفردة[١١] على[١٢] أنها متماثلة[١٣]، فهذا يُبنى[١٤] على صحة ذلك[١٥]، وعلى

---

(١) غ : وقد يكون.
(٢) ب : لأننا في.
(٣) م ، ر : وجه.
(٤) ت : ولا فرق، م : لا فوق.
(٥) كذا في (غ)، م : مستلزم الجسم. وفي الهامش كتب « التجسيم » وفوقها حرف (خـ)، ر : مستلزم للجسيم ؛ النسخ الأخرى : مستلزم للتجسيم.
(٦) غ : يمنع.
(٧-٧) ما بينهما سقط من (ر).
(٨) كذا في (غ)، النسخ الأخرى : كل من المقدمتين.
(٩) أي بالاستفصال عن مسمى « الجسم ».
(١٠) م : إن.
(١١) م ، ر : المنفردة.
(١٢) كذا في (ت)، النسخ الأخرى : وعلى.
(١٣) ب : مماثلة.
(١٤) ت : ينبني.
(١٥) في (غ) جاءت العبارة السابقة هكذا : ... ونحو ذلك. أما على أنها متماثلة فهذا إذا فسروه بالمركب من الجواهر المنفردة فهذا يبتنى على صحة ذلك.

إثبات[1] الجواهر المفردة[2] وعلى أنها متماثلة[3]. وجمهور العقلاء يخالفونهم في ذلك.

والمقصود[4] أنهم يطلقون التشبيه على ما يعتقدونه تجسيما بناء على تماثل الأجسام، والمثبتون ينازعونهم في اعتقادهم، كإطلاق الرافضة(٥) لـ « النَصب »(٦) على من تولى أبا بكر وعمر رضي الله

(١) ت : وعلى انبناء.

(٢) غ ، م : الجواهر المنفردة، ر ، ح : الجوهر المفرد.

(٣) كذا في (غ ، م)، وفي النسخ الأخرى : وعلى أنه متماثل.

(٤) ت ، ح : والمقصود هنا.

(٥) يقسم الأشعري [مقالات الإسلاميين ٦٥/١ وما بعدها] الشيعة إلى ثلاثة أصناف : الغالية، الرافضة الإمامية، الزيدية. ويقسم كل صنف إلى مجموعة من الفرق.

وهو يقول ٨٩/١ عن الرافضة : « وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ».

ويقول ١٣٦/١ عن الزيدية : « وإنما سموا زيدية لتمسكهم بقول زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ».

ويذكر خروج زيد في أيام هشام بن عبد الملك وفيه سبب آخر لتسمية الرافضة، يقول ١٣٧/١ « فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم : رفضتموني ؟ فيقال : إنهم سموا الرافضة لقول زيد لهم : رفضتموني ». وانظر : التنبيه والرد للملطي ص ١٨ـــ٣٥، ١٥٦ـــ١٦٥، أصول الدين للبغدادي، ص ١٩، ٣٣١ـــ٣٣٢، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥ـــ٢٧٦، ٢٧٨ـــ٢٧٩، ٢٨١ـــ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦ـــ٢٨٧، ٢٩٨، الفَرق بين الفِرق، ص ٢٢ـــ٥٤، الفصل لابن حزم ١٧٩/٤ـــ١٨٨، التبصير في الدين، ص ٣٢ـــ٤٥، الملل والنحل للشهرستاني ١٩٥/١ـــ٢٢٤، ٢/٢ـــ٣٦، الحور العين، ص ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤ـــ١٧٠، ١٧٨ـــ١٨٩، ٢٧٢، إعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص ٥٢ـــ٦٣، وانظر لابن تيمية كتابه الكبير منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. وبوجه خاص ٢/١ـــ٢٠.

(٦) ح : الرافضة النصب.

في الصحاح : « النَصب مصدر نَصَبْتُ الشيء إذا أقمته، ونَصَبْتُ لفلان نَصبًا إذا عاديته ». والنواصب من يبغضون علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

عنهما، بناء على أن من أحبهما فقد أبغض عليا رضي الله عنه، ومن أبغضه فهو ناصبي ؛ وأهل السنة ينازعونهم في المقدمة الأولى.

ولهذا يقول هؤلاء : إن الشيئين لا يشتبهان من وجه ويختلفان من وجه. وأكثر العقلاء على خلاف ذلك، وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع، وبينّا[١] فيه حجج من يقول بتماثل الأجسام وحجج من نفى ذلك، وبينّا[١] فساد قول من يقول[٢] بتماثلها.

وأيضا، فالاعتماد بهذا الطريق[٣] على نفي التشبيه اعتماد باطل، وذلك أنه إذا ثبت[٤] تماثل الأجسام فهم لا ينفون ذلك إلا بالحجة التي ينفون بها الجسم، وإذا ثبت أن هذا يستلزم الجسم[٥]، وثبت[٦] امتناع الجسم، كان هذا وحده[٧] كافيا في نفي ذلك، لا يحتاج نفي ذلك إلى نفي مسمى « التشبيه »، لكن[٨] نفي الجسم[٩] يكون مبنيا[١٠] على نفي[١١] هذا التشبيه[١٢]، بأن يقال : لو ثبت له كذا وكذا لكان جسما، ثم يقال : والأجسام متماثلة، فيجب اشتراكها[١٣] فيما يجب ويجوز

---

(١) غ ، م ، ر : وبين.
(٢) م ، ت : قال.
(٣) ب ، ر : بهذه الطريق.
(٤) ر ، ح : أثبت.
(٥) كذا في (غ ، ح) ، م : مستلزم الجسم، النسخ الأخرى : مستلزم للجسم.
(٦) ب : وأثبت.
(٧) ب : واحده.
(٨) ب : ولكن.
(٩) كذا في (غ)، النسخ الأخرى : التجسيم.
(١٠) غ ، م : مبينا، ب ، ر : مثبتا.
(١١) نفي : سقطت من (ت).
(١٢) غ : الشبيه.
(١٣) ت ، ح : اشتراكهما.

ويمتنع، وهذا ممتنع عليه. لكن حينئذ يكون من سلك هذا المسلك معتمدا في نفي التشبيه على نفي التجسيم، فيكون أصل نفيه نفي الجسم، وهذا مسلك آخر سنتكلم عليه إن شاء الله تعالى.

الطريق الصحيحة في النفي تتناول :
١ ــ نفي النقص

وإنما المقصود هنا أن مجرد الاعتماد في نفي ما يُنفى على مجرد نفي التشبيه[١] لا يفيد، إذ ما من شيئين إلا ويشتبهان[٢] من وجه ويفترقان من وجه، بخلاف الاعتماد على نفي النقص والعيب، ونحو ذلك مما هو سبحانه وتعالى[٣] مقدس عنه، فإن هذه طريقة صحيحة.

٢ ــ نفي المثل في صفات الكمال.

وكذلك إذا أُثبت[٤] له صفات الكمال، ونُفي مماثلة غيره له فيها، فإن هذا نفي المماثلة فيما هو مستحق له، وهذا حقيقة التوحيد، وهو أن لا يشركه شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه. وكل صفة من صفات الكمال فهو[٥] متصف بها على وجه[٦] لا يماثله فيه[٧] أحد[٨]، ولهذا[٩] كان مذهب سلف الأمة وأئمتها[١٠] إثبات ما وصف به نفسه من الصفات، ونفي مماثلته لشيء[١١] من المخلوقات.

---

(١) غ : الشبيه.
(٢) كذا في (م ، ت)، وفي النسخ الأخرى : يشتبهان (بسقوط الواو).
(٣) وتعالى : زيادة من (غ).
(٤) كذا في (ت ، ح)، ، غ : أثبتت، وفي النسخ الأخرى : ثبت.
(٥) ب ، ت : هو.
(٦) غ : بوجه.
(٧) ت : فيها.
(٨) م : أحد غيره.
(٩) ب : لهذا.
(١٠) ر : مذهب السلف وأئمتها.
(١١) غ : بشيء.

اعتـــراض

فإن قيل : إن الشيء إذا شابه غيره من وجه جاز عليه ما يجوز عليه[١] من ذلك الوجه، ووجب له[٢] ما وجب [له[٣]]، وامتنع عليه[٤] ما امتنع عليه.

الجـواب عنـه

قيل : هب أن الأمر كذلك، ولكن إذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم إثبات ما يمتنع على الرب سبحانه وتعالى[٥]، ولا نفي ما يستحقه لم يكن ممتنعا ؛ كما إذا قيل : إنه موجود حي عليم سميع بصير[٦] وقد سمي بعض المخلوقات[٧] حيا عليما سميعا[٨] بصيرا، (٩ فإذا قيل : يلزم أن[١٠] يجوز عليه ما يجوز على ذلك من جهة كونه موجودا[١١] حيا عليما سميعا بصيرا٩). قيل لازم هذا القدر المشترك ليس ممتنعا على الرب [تعالى[١٢]] ؛ فإن ذلك لا يقتضي حدوثا، ولا إمكانا، ولا نقصا، ولا شيئا مما ينافي صفات الربوبية.

وذلك أن القدر المشترك هو مسمى « الوجـــود » أو « الموجود »[١٣]، أو « الحياة » أو « الحي »، أو « العلم » أو « العليم »،

---

(١) ما يجوز عليه : سقطت من (ح).
(٢) ح : أو وجب له.
(٣) له : سقطت من (غ).
(٤) غ : أو امتنع عليه.
(٥) وتعالى : في (غ) فقط.
(٦) ت : موجود وحي وعليم سميع بصير.
(٧) بعض المخلوقات : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : بعض عباده.
(٨) م ، ح : سميعا عليما.
(٩ـــ٩) ما بينهما سقط من (ح).
(١٠) غ ، م : أنه.
(١١) موجودا : سقطت من (ت).
(١٢) تعالى : زيادة من (ح).
(١٣) ر : والموجود.

أو (١ « السمــــع » و « الـــبصر »[٢] أو « السميـــــع » و « البصير »[٣] ١)، أو « القدرة » أو « القدير »)، والقـدر المشترك مطلق[٤] [كليّ[٥]] لا يختص بأحدهما[٦] دون الآخر، فلم يقع بينهما اشتراك لا فيما يختص[٧] بالممكن المحدَث، ولا فيما يختص بالواجب القديم، فإن ما يختص به أحدهما يمتنع اشتراكهما فيه.

فإذا[٨] كان القدر المشترك الذي اشتركا فيـه صفـة كمال : كالوجود والحياة والعلم والقدرة، ولم[٩] يكن في ذلك ما يدل على شيء من خصائص المخلوقين[١٠]، كما لا يدل على شيء من خصائص الخالق — لم يكن[١١] في إثبات هذا محذور أصلا، بل إثبات هذا من لوازم الوجود، فكل[١٢] موجودَين لا بد بينهما [من[١٣]] مثل هذا، ومن نفى هذا لزمه تعطيل وجود كل موجود.

ولهذا[١٤] لما اطّلع الأئمة على أن هذا حقيقة قول الجهمية سموهم

(١ — ١) ما بينهما سقط من (ب).
(٢) والبصر : كذا في (غ ، ر)، وفي النسخ الأخرى : أو البصر.
(٣) ت ، ح : أو البصير.
(٤) مطلق : سقطت من (ت).
(٥) كلي : سقطت من (غ).
(٦) م ، ب ، ر : بإحداهما.
(٧) ب ، ر : إلا فيما يختص.
(٨) ب ، ر : فإن.
(٩) ب : فلم.
(١٠) ح : ولم يكن في ذلك شيء مما يدل على خصائص المخلوقين.
(١١) ب : فلم يكن، م : لم يكون.
(١٢) غ : وكل.
(١٣) من : سقطت من (غ).
(١٤) غ : لهذا، ر : ولذا.

معطِّلة، وكان جهم(١) ينكر أن يسمّى الله شيئا، وربما[٢] قالت الجهمية : هو شيء لا كالأشياء[٣]، فإذا نفى القدر المشترك مطلقا لزم التعطيل التام[٤].

والمعاني التي يوصف بها الرب سبحانه وتعالى[٥]، كالحياة والعلم والقدرة، بل الوجود والثبوت والحقيقة ونحو ذلك، تجب له[٦] لوازمها ؛ فإن[٧] ثبوت الملزوم[٨] يقتضي ثبوت اللازم، وخصائص المخلوق التي[٩] يجب تنزيه الرب عنها ليست من لوازم ذلك أصلا، بل تلك من لوازم ما يختص بالمخلوق من وجود وحياة وعلم ونحو ذلك، والله سبحانه وتعالى[١٠] منزه[١١] عن خصائص المخلوق[١٢] وملزومات خصائصه[١٣].

معنى « القدر المشترك بين الأشياء »

وهذا الموضع من فهمه فهما جيدا، وتدبره، زالت عنه عامة الشبهات، وانكشف له غلط كثير من الأذكياء[١٤] في هذا المقام، وقد

(١) أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي من موالي بني راسب (ت ١٢٨ هـ) رأس الجهمية. انظر فيما سبق ص ١٤ ت ١.
(٢) ح : ولربما، ب : وبما.
(٣) غ : هو شيء كالأشياء.
(٤) ت ، ح : التعطيل العام.
(٥) كذا في (غ) ، النسخ الأخرى : الرب تعالى.
(٦) له : سقطت من (ر) ، غ : يجب لها، ب : يجب له.
(٧) غ : لأن.
(٨) ب ، ت ، ر : اللزوم.
(٩) غ : الذي.
(١٠) وتعالى : ليست في (م ، ح).
(١١) غ : منزها.
(١٢) ح : المخلوقين.
(١٣) ت ، ح : خصائصهم.
(١٤) ت : وانكشف له كثير من غلط الأذكياء.

بسط هذا في مواضع كثيرة، وبيِّن فيها أن القدر المشترك الكلي لا يوجد في الخارج إلا معيَّناً مقيَّداً، وأن معنى اشتراك الموجودات في أمر من الأمور هو تشابهها من ذلك الوجه، وأن ذلك المعنى العام يطلق على هذا وهذا، لا أن[١] الموجودات في الخارج يشارك[٢] أحدها[٣] الآخر[٤] في شيء موجود فيه[٥] ، بل [كل[٦]] موجود متميِّز عن غيره بذاته وصفاته وأفعاله.

عدم فهم هذا المعنى يوقع في الغلط والتناقض

ولما كان الأمر كذلك كان كثير من الناس يتناقض[٧] في هذا المقام، فتارة يظن أن إثبات[٨] القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل، فيجعل ذلك له حجة فيما يظن نفيه من الصفات، حذرا من ملزومات التشبيه ؛ وتارة يتفطن أنه[٩] لا بد من إثبات هذا على كل[١٠] تقدير، فيجيب[١١] به فيما يثبته من الصفات لمن احتج به من النفاة.

أمثلة ذلك

ولكثرة الاشتباه في هذا المقام وقعت الشبهة في أن وجود الرب هل هو عين ماهيته، (١٢أو زائد على ماهيته١٢)؛ وهل لفظ « الوجود »

---

(١) كذا في (غ)، ت : إلا أن، النسخ الأخرى : لأن.
(٢) غ : يتشارك، ح : لا يشارك.
(٣) كذا في (غ ، ب)، النسخ الأخرى : أحدهما.
(٤) م ، ر : بالآخر. وفي هامش (م) كتب : لعله لا يشارك أحدها الآخر.
(٥) ت : في شيء منه.
(٦) كل : سقطت من (غ).
(٧) ح : متناقضا، ت : متناقض.
(٨) ر : فتارة نظر إلى إثبات.
(٩) ت : أن.
(١٠) كل : سقطت من (ح).
(١١) م : فيجب.
(١٢-١٢) ما بينهما سقط من (ر).

مقول بالاشتراك اللفظي، أو بالتواطيء[١]، أو التشكيك[٢]، كما وقع الاشتباه[٣] في إثبات الأحوال ونفيها ؛ وفي[٤] أن المعدوم هل هو شيء أم لا ؟ ، (٥وفي وجود الموجودات هل هو زائد على ماهيتها أم لا ٥) ؟.

وقد كثر من أئمة النُظَّار الاضطراب والتناقض في هذه المقامات، فتارة يقول أحدهم القولين المتناقضين، ويحكي عن الناس مقالات ما قالوها[٦]،وتارة يبقى في الشك[٧] والتَّحيُّر[٨]، وقد بسطنا من الكلام في هذه المقامات، وما وقع من الاشتباه والغلط والحيرة[٩] فيها لأئمة الكلام والفلسفة، مالا تتسع[١٠] له هذه[١١] الجمل المختصرة.

وبيّنا أن الصواب[١٢] هو [أن[١٣]] وجود كل شيء في الخارج هو ماهيته الموجودة في الخارج، بخلاف الماهية التي في الذهن فإنها مغايرة[١٤] للموجود[١٥] في الخارج، وأن لفظ [«الوجود» كلفظ[١٦]]

---

(١) غ : أو المتواطيء، ح : أو التواطيء، م : وبالتواطيء.
(٢) ت ، ر : والتشكيك.
(٣) ب ، ر : وقع في الاشتباه.
(٤) م : في. (بسقوط الواو).
(٥ ـ ٥) ما بينهما سقط من (ب).
(٦) ر : مقالات قالوها.
(٧) غ : وتارة ينفي الشك.
(٨) ر : والتحيز.
(٩) ر : والحين.
(١٠) كذا في (ت)، النسخ الأخرى : يتسع.
(١١) م : له من هذه.
(١٢) ب ، ت ، ر : وبيان الصواب.
(١٣) أن : سقطت من (غ).
(١٤) ب ، ر : فإنها مكان مغايرة.
(١٥) غ : للوجود.
(١٦) الوجود كلفظ : في (م) فقط وهي مكتوبة في الهامش.

«الذات» و «الشيء» و «الماهية» و «الحقيقة» ونحو ذلك، وهذه[١] الألفاظ كلها متواطئة، وإذا[٢] قيل : إنها مشككة[٣]، لتفاضل معانيها، فالمشكك[٤] نوع من المتواطيء العام الذي يراعى[٥] فيه دلالة اللفظ على القدر المشترك[٦]، سواء كان المعنى متفاضلا في موارده، أو متماثلا(٧).

---

(١) ح : فهذه.

(٢) كذا في (غ) ، النسخ الأخرى : فإذا.

(٣) م ، ب : مشكلة.

(٤) كذا في (ت ، ح)، غ : فالمتشكك، النسخ الأخرى : فالمشكل.

(٥) يراعى : سقطت من (ب) وترك مكانها بياضا.

(٦) ب : قدر المشترك.

(٧) يقسم الغزالي [معيار العلم، ص ٨١] الألفاظ بالنسبة إلى المعاني أربعة أقسام : المشتركة، والمتواطئة، والمترادفة، والمتزايلة، ويعرفها على النحو التالي :

المشتركة : هي اللفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة بالحد والحقيقة، إطلاقا متساويا، كـ «العين» تطلق على العين الباصرة، وينبوع الماء، وقرص الشمس.

المتواطئة : هي التي تدل على أعيان متعدده بمعنى واحد مشترك بينها، كدلالة اسم «الإنسان» على زيد وعمرو.

المترادفة : هي الألفاظ المختلفة الدالة على معنى يندرج تحت حد واحد كـ «الخمر» و «الراح» و «العقار».

المتزايلة : هي الألفاظ المتباينة التي ليست بينها شيء من هذه النسب كـ «الفرس» و «الذهب» و «الثياب».

وفي صفحة ٨٢ـــ٨٣ تحت عنوان : «إرشاد إلى مزلة قدم في الفرق بين المشتركة والمتواطئة والتباس إحداهما بالأخرى ـــ يضيف لفظين آخرين هما : المشككة والمتشابهة، واستخلصت تعريفهما من كلامه كما يلي :

المشككة : هي اللفظ يدل على شيئين بمعنى واحد في نفسه، ولكن يختلف ذلك المعنى بينهما من جهة أخرى كالتقدم والتأخر، والأولى والأحرى، والشدة والضعف، مثل «الوجود» فإنه في الواجب أقدم وأولى منه في الممكن.

المتشابهة : هي اللفظ يدل على معنيين مختلفين، ولكن تكون بينهما مشابهة كـ «الإنسان» على صورة متشكلة من الطين بصورة الإنسان، وعلى الإنسان الحقيقي.

وبيّنا أن المعدوم شيء أيضا في العلم والذهن، لا في الخارج[١]، فلا فرق بين الثبوت والوجود، لكن الفرق ثابت بين الوجود العلمي والعيني، مع أن ما في العلم ليس هو الحقيقة الموجودة، ولكن هو العلم[٢] التابع للعالم[٣] القائم به.

وكذلك الأحوال التي تتماثل فيها الموجودات وتختلف[٤]، لها وجود في الأذهان، وليس[٥] في الأعيان إلا الأعيان الموجودة، وصفاتها القائمة بها المعيَّنة، فتتشابه[٦] بذلك وتختلف به.

وأما هذه الجمل[٧] المختصرة فإن المقصود بها التنبيه على جمل مختصرة[٨] جامعة، من فهمها عَلِمَ قدر نفعها، وانفتح له باب الهدى، وإمكان إغلاق[٩] باب الضلال[١٠]، ثم بسطها وشرحها له مقام آخر، إذ لكل مقام مقال.

والمقصود هنا أن الاعتماد على مثل هذه الحجة فيما يُنفى عن الرب، وينزَّه عنه ــ كما يفعله كثير من المصنفين ــ خطأً لمن تدبَّر ذلك، وهذا من طرق النفي الباطلة.

---

(١) في (م) وضع هنا سهم يشير للهامش وكتب فيه : كما هو موجود في العلم والذهن لا في الخارج صح.
(٢) العلم : سقطت من (ب).
(٣) ح : التابع للعلم.
(٤) غ ، ت ، ر : ويختلف.
(٥) م : فليس.
(٦) كذا في (ب ، ت) ، النسخ الأخرى : فتشابه.
(٧) ت : الجملة.
(٨) ت : مختصة.
(٩) ب : وإغلاق ، ت : وأغلق.
(١٠) ت : الضلالة.

فصـــل

الاحتجاج على نفي النقـــائص بنفـــي التجسيم أو التحيز لا يحصّل المقصود لوجوه :

وأفسد من ذلك ما يسلكه[١] نفاة الصفات أو بعضها، إذا أرادوا (٢أن ينزهوه عما يجب٢) تنزيهه عنه مما هو من أعظم الكفر[٣]، مثل أن يريدوا تنزيهه عن الحزن والبكاء ونحو ذلك، ويريدون الرد على اليهود الذين يقولون : إنه بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة، والذين يقولون بإلـٰهية بعض البشر، وأنه[٤] الله.

فإن كثيرا من الناس يحتج[٥] على هؤلاء بنفـي التـجسيم أو التحيز[٦] ونحو ذلك، ويقولون : لو اتصف بهذه النقائص والآفات لكان جسما أو متحيزا، وذلك ممتنع.

وبسلوكهم مثل هذه[٧] الطريق(٨) استظهر عليهم الملاحدة[٩]، نفاة الأسماء والصفات، فإن هذه الطريق لا يحصل بها[١٠] المقصود لوجوه[١١] :

---

(١) ب ، ر : ما سلكه.
(٢—٢) ما بينهما سقط من (ب).
(٣) غ : مما هو أعظم من الكفر.
(٤) غ ، ب : وبأنه.
(٥) ر : تحتج.
(٦) م ، ت ، ح : والتحيز.
(٧) غ : ولسلوكهم هذه.
(٨) ت : الطرائق. والطريق يذكّر ويؤنّث.
(٩) غ : هؤلاء الملاحدة.
(١٠) م : به.
(١١) م : لوجوده، ب : والوجوه.

أحدها ــ أن وصف الله تعالى بهذه النقائص والآفات أظهر فسادا في العقل والدين من نفي التحيز والتجسيم، فإن هذا [فيه[١]] من الاشتباه والنزاع والخفاء ما ليس في ذلك، وكفر صاحب ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام، والدليل معرِّف للمدلول، ومبين له، فلا يجوز أن يُستدل على الأظهر الأبين بالأخفى، كما لا يُفعل مثل ذلك في الحدود[٢].

الوجه[٣] الثاني ــ أن هؤلاء الذين يصفونه بهذه الآفات[٤] يمكنهم أن يقولوا : نحن لا نقول بالتجسيم والتحيز، كما يقوله من يثبت الصفات وينفي التجسيم، فيصير نزاعهم مثل نزاع مثبتة صفات الكمال[٥]، فيصير كلام[٦] من وصف الله بصفات الكمال وصفات النقص[٧] واحدا، ويبقى[٨] رد النفاة على الطائفتين بطريق واحد، وهذا[٩] في غاية الفساد.

الثالث[١٠] ــ أن هؤلاء ينفون صفات الكمال بمثل هذه الطريقة[١١]، واتصافه بصفات الكمال واجب، ثابت بالعقل والسمع، فيكون ذلك دليلا على فساد هذه الطريقة.

---

(١) فيه : سقطت من (غ).
(٢) ر : لا يفعل ذلك مثل في الحدود.
(٣) كذا في (ح)، وفي النسخ الأخرى : والوجه.
(٤) ح : بهذه الصفات.
(٥) ت ، ح : مثبتة الكلام وصفات الكمال.
(٦) غ : من كلام.
(٧) النقص : سقطت من (ب).
(٨) كذا في (م ، ح)، وفي النسخ الأخرى : وينفى.
(٩) غ : وهم.
(١٠) ب : والثالث.
(١١) ب : الطريق.

الرابع ــ أن سالكي هذه الطريقة متناقضون، فكل من أثبت شيئا منهم[١] ألزمه[٢] الآخر[٣] بما يوافقه فيه[٤] من الإثبات، كما أن كل من نفى شيئا منهم ألزمه الآخر بما يوافقه فيه من النفي، فمثبتة الصفات كالحياة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، إذا قالت لهم النفاة كالمعتزلة[٥] : هذا تجسيم، لأن هذه الصفات أعراض، والعرض لا يقوم إلا بالجسم، فإنا لا نعرف[٦] موصوفا بالصفات إلا جسما ــ قالت لهم[٧] المثبتة : وأنتم[٨] قد قلتم : إنه حي عليم قدير، وقلتم : ليس بجسم، وأنتم لا تعلمون موجودا حيّا عالما قادرا[٩] إلا جسما، فقد[١٠] أثبتموه[١١] على خلاف ما علمتم، فكذلك[١٢] نحن، وقالوا لهم : أنتم أثبتم حيّا عالما قادرا[١٣]، بلا حياة ولا علم ولا قدرة، وهذا تناقض يُعلم بضرورة العقل.

ثم هؤلاء المثبتة[١٤] إذا قالوا لمن أثبت أنه يرضى ويغضب ويحب[١٥]

---

(١) منهم : سقطت من (ت).
(٢) ب : لزمه.
(٣) ت : آخر.
(٤) ت : بما يوافقه عليه.
(٥) ت : إذا قالت لهم المعتزلة والنفاة.
(٦) كذا في (غ)، ر : أولانا لا يعرف، وفي النسخ الأخرى : أولانا لا نعرف.
(٧) لهم : سقطت من (ر).
(٨) غ : فأنتم.
(٩) ب ، ت ، ر : عليما قديرا.
(١٠) م : قد.
(١١) م ، ر : أثبتوه.
(١٢) غ : وكذلك.
(١٣) قادرا : سقطت من (ب).
(١٤) ح : المثبتون.
(١٥) م : يحب (بسقوط الواو).

ويبغض، أو من وصفه بالاستواء والنزول[١] والإتيان والمجيء، أو بالوجه[٢] واليد ونحو ذلك ــ إذا قالوا : هذا يقتضي التجسيم[٣] ، لأنَّا لا نعرف ما يوصف بذلك إلا ما هو جسم، قالت لهم المثبتة : فأنتم قد وصفتموه بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام، وهذا هكذا، فإن[٤] كان هذا لا يوصف به إلا الجسم فالآخر كذلك، وإن[٥] أمكن أن يوصف بأحدهما ما ليس بجسم فالآخر كذلك، فالتفريق بينهما تفريق بين المتماثلين(٦).

ولهذا لما كان الرد على من وصف الله تعالى بالنقائص بهذه الطريق[٧] طريقا فاسدا ــ لم يسلكه أحد من السلف والأئمة، فلم ينطق أحد منهم في حق الله تعالى[٨] بالجسم لا نفيا ولا إثباتا، ولا بالجوهر والتحيز[٩] ونحو ذلك ؛ لأنها عبارات[١٠] مجملة لا تحق حقا ولا تبطل باطلا، ولهذا لم يذكر الله[١١] في كتابه فيما أنكره على اليهود

---

(١) م ، ح : أو بالنزول.

(٢) غ ، ت : وبالوجه.

(٣) ب : التجسم.

(٤) م ، ح : فإذا.

(٥) ب : ان. (بسقوط الواو).

(٦) في قول الشيخ : «فمثبتة الصفاة كالحياة والعلم...) يعني بهم الأشاعرة، وإليهم الإشارة بقوله : « ثم هؤلاء المثبتة » وأما المراد بالمثبتة في قوله بعد هذا : «قالت لهم المثبتة» فأهل السنة، فهو أورد أولا إلزام الأشاعرة للمعتزلة ثم إلزام أهل السنة للأشاعرة.

(٧) بهذه الطريق : كذا في (غ ، ح)، وفي (م) : بهذه الطريقة، وفي النسخ الأخرى : بهذا الطريق.

(٨) تعالى : ليست في (ح).

(٩) م ، ر : والمتحيز. وفي هامش (م) كتب : والتحيز، وفوقها حرف (خـ).

(١٠) غ : عادات.

(١١) ت ، ر : الله تعالى.

وغيرهم من الكفار ما هو من هذا النوع، بل هذا هو من الكلام المبتَدَع الذي أنكره السلف والأئمة[١].

فصل

حطأ الاكتفاء في الإثبات بمجرد نفي التشبيه فيما يُثبت

وأما في[٢] طرق الإثبات فمعلوم أيضا أن المثبت لا يكفي في إثباته مجرد نفي التشبيه، إذ لو كفى في إثباته مجرد نفي التشبيه لجاز أن يوصف الله سبحانه وتعالى[٣] من الأعضاء والأفعال بما[٤] لا يكاد يحصى[٥] مما هو ممتنع عليه مع نفي التشبيه، [٦][وأن يوصف بالنقائص التي لا تجوز عليه مع نفي التشبيه] [٦]، كما لو وصفه مفتر عليه بالبكاء والحزن والجوع والعطش مع نفي التشبيه، وكما لو قال المفتري : يأكل لا كأكل العباد، ويشرب لا كشربهم، ويبكي ويحزن لا كبكائهم ولا حزنهم[٧]، كما يقال : يضحك لا كضحكهم، ويفرح لا كفرحهم، ويتكلم لا ككلامهم، ولجاز أن يقال : له أعضاء كثيرة لا كأعضائهم، كما قيل : [له[٨]] وجه لا كوجوههم، ويدان[٩] لا

(١) ت : والأئمة رضي الله عنهم.
(٢) غ : وأما ما في.
(٣) ت : أن يوصف الله تعالى، ح : أن يوصف سبحانه، ر : أن يوصف لله تعالى.
(٤) غ : ما.
(٥) ر : يحضى.
(٦ ـــ ٦) ما بينهما سقط من (غ).
(٧) ب : ويشرب لا كشربهم، ويحزن لا كحزنهم، ت : ويبكي ويحزن لا كبكائهم وكحزنهم.
(٨) له : سقطت من (غ).
(٩) ت : ويد.

كأيديهم[١]، حتى يذكر المعدة والأمعاء والذكر، وغير ذلك مما يتعالى الله عز وجل عنه[٢]، سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علوا كبيرا.

فإنه يقال لمن نفى ذلك مع إثبات الصفات الخبرية وغيرها من الصفات : ما الفرق بين هذا وبين ما أثبته[٣]، إذا نفيت التشبيه، وجعلت[٤] مجرد نفي التشبيه كافيا في الإثبات، فلا بد من إثبات فرق في نفس الأمر.

خطأ الاعتماد في النفي على عدم مجيء السمع

فإن قال : العمدة في الفرق هو السمع، فما جاء السمع به[٥] أثبته[٦]، دون ما لم يجيء به السمع.

قيل له : أولا السمع هو خبر الصادق[٧] عمّا هو الأمر عليه في نفسه، فما[٨] أخبر به الصادق فهو حق من نفي أو إثبات[٩]، والخبر دليل على المخبَر عنه، والدليل لا ينعكس، فلا يلزم من عدمه عدم المدلول عليه، فما لم يرد به السمع[١٠] يجوز أن يكون ثابتا في نفس الأمر، وإن لم يرد به السمع[١١]، إذا لم يكن قد[١٢] نفاه، ومعلوم أن السمع لم ينف كل[١٣] هذه الأمور بأسمائها الخاصة، فلابد من ذكر ما

---

(١) م : لا كأياديهم.
(٢) ت : مما يتعالى الله عنه عز وجل.
(٣) ح : بين هذا وما أثبته.
(٤) ر : وجعلته.
(٥) م : فما جاء به السمع به، ر : مما جاء به السمع به، ح : فما جاء به السمع.
(٦) ت : أثبتته.
(٧) ت : الخبر الصادق.
(٨) غ : مما.
(٩) ت : وإثبات.
(١٠) ب ، ت ، ر : فما لم يرد بالسمع.
(١١) ت : بالسمع.
(١٢) قد : في (غ) فقط.
(١٣) كل : سقطت من (ح).

ينفيها من السمع، وإلا فلا يجوز حينئذ نفيها، كما لا يجوز إثباتها.

وأيضا[١]، فلا بدّ في نفس الأمر من فرق بين ما يثبت له وينفى عنه[٢]، فإن الأمور المتماثلة[٣] في الجواز والوجوب والامتناع يمتنع اختصاص بعضها دون بعض بالجواز[٤] والوجوب والامتناع، فلا بدّ من اختصاص[٥] المنفي عن المثبَت بما يخصه بالنفي، ولا بد من اختصاص الثابت عن المنفي بما يخصه بالثبوت[٦].

وقد يعبر عن ذلك بأن يقال : لا بد من أمر يوجب نفي ما يجب نفيه عن الله تعالى[٧]، كما أنه لا بد من أمر يُثبت له ما هو ثابت، وإن كان السمع كافيا كان مخبِرا عما هو الأمر عليه في نفسه، فما[٨] الفرق في نفس الأمر بين[٩] هذا وهذا ؟

السمع والعقل يثبتان لله صفات الكمال وينفيان عنه : ١ ـــ ما ضاد صفات كماله.

فيقال كل ما نافى[١٠] صفات الكمال الثابتة لله فهو منزه عنه، فإن ثبوت أحد الضدين يستلزم نفي الآخر، فإذا عُلم أنه موجود واجب الوجود[١١] بنفسه، وأنه قديم واجب القدم ـــ عُلم امتناع العدم

---

(١) وأيضا : سقط من (ت).
(٢) عنه : سقطت من (ح).
(٣) غ : المماثلة.
(٤) ح : في الجواز.
(٥) ب ، ر : خصائص.
(٦) كذا في (غ، ح)، وفي النسخ الأخرى : من الثبوت.
(٧) تعالى : زيادة من (غ).
(٨) غ : كما.
(٩) غ : الأمرين.
(١٠) غ : كلما نافى، وفي النسخ الأخرى : كلما نفى.
(١١) ب : موجود ثابت الوجود.

والحدوث عليه، وعُلم أنه غني عمّا سواه، فالمفتقر إلى ما سواه[١] في بعض[٢] ما يحتاج إليه نفسه[٣] ليس هو[٤] موجودا بنفسه، بل بنفسه وبذلك الآخر الذي أعطاه ما تحتاج إليه نفسه[٥]، فلا يوجد [إلا[٦]] به، وهو سبحانه وتعالى[٧] غني عن كل ما سواه، فكل ما نافى غناه[٨] فهو منزه عنه، وهو سبحانه (٩ وتعالى[١٠] قدير قوي فكل ما نافى قدرته وقوته فهو منزه عنه، وهو سبحانه ٩) حيّ قيوم فكل ما نافى حياته وقيوميته[١١] فهو منزه عنه.

٢ — أن يكون له مثل أو كفؤ في مخلوقاته.

وبالجملة فالسمع قد أثبت له من الأسماء الحسنى وصفات الكمال ما قد ورد، فكل ما ضاد[١٢] ذلك فالسمع ينفيه، كما ينفي عنه المثل والكفؤ، فإن إثبات الشيء نفي لضده ولما يستلزم ضده. والعقل يعرف نفي[١٣] ذلك، كما يعرف إثبات[١٤] ضده، فإثبات أحد الضدين نفي للآخر[١٥] ولما يستلزمه[١٦].

---

(١) فالمفتقر إلى ما سواه : سقطت من (ب).
(٢) ت : في بعض في بعض.
(٣) ت ، ح : لنفسه.
(٤) هو : سقطت من (ب ، ت).
(٥) ب ، ر : ما يحتاج إليه نفسه، غ : ما يحتاج إليه بنفسه.
(٦) إلا : سقطت من (غ).
(٧) وتعالى : في (غ ، ب) فقط.
(٨) ب : عناه.
(٩ — ٩) ما بينهما سقط من (ب).
(١٠) وتعالى : في (غ) فقط.
(١١) م : وقيومته.
(١٢) م : فكلما ضاد.
(١٣) ب : بنفي.
(١٤) ب : بإثبات.
(١٥) ب ، ر : الآخر.
(١٦) غ : ولما يستلزم.

فطرق العلم بنفي[١] ما ينزه الرب عنه[٢] متسعة، لا يحتاج فيها إلى الاقتصار على مجرد نفي التشبيه والتجسيم[٣] كما فعله أهل القصور والتقصير، الذين تناقضوا في ذلك وفرّقوا بين المتماثلين، حتى إن كل من أثبت شيئا احتج عليه من نفاه بأنه يستلزم التشبيه.

وكذلك احتج القرامطة على نفي جميع الأمور حتى نفوا النفي، فقالوا : لا يقال موجود[٤] ولا ليس بموجود[٥]، ولا حي ولا ليس بحي، لأن ذلك تشبيه[٦] بالموجود أو المعدوم[٧]. فلزمهم[٨] نفي النقيضين، وهو أظهر الأشياء امتناعا، ثم إن[٩] هؤلاء يلزمهم من[١٠] تشبيهه بالمعدومات والممتنعات والجمادات أعظم ممّا فروا منه من التشبيه[١١] بالأحياء[١٢] الكاملين، فطرق تنزيهه وتقديسه عمّا هو منزه عنه متسعة لا تحتاج[١٣] إلى هذا.

وقد تقدم(١٤) أن ما يُنفى[١٥] عنه سبحانه وتعالى[١٦] ــ يُنفى

(١) غ : ينفي، ر : تنفي.
(٢) ت ، ح : ما ينزه عنه الرب.
(٣) والتجسيم : سقطت من (ب).
(٤) ب، ح : لا يقال : لا موجود.
(٥) ر : ولا يقال : ليس بموجود.
(٦) غ : تشبيهه.
(٧) غ ، ر : والمعدوم ، ب : والعدم.
(٨) م ، ح : فلزم.
(٩) إن : سقطت من (ت).
(١٠) من : سقطت من (ر) ، ب : يلزمهم عن.
(١١) غ : التشبه.
(١٢) ت : بالأجسام.
(١٣) غ : متسعا لا يحتاج. وفي الهامش كتب : لعل الصواب متسعة.
(١٤) في أول القاعدة الأولى ، ص ٥٧.
(١٥) م : أن ينفى.
(١٦) وتعالى : في (غ) فقط.

لتضمن النفي الإثبات[١]، إذ مجرد النفي لا مدح فيه ولا كمال، فإن المعدوم[٢] يوصف بالنفي، والمعدوم[٣] لا يشبه الموجود[٤]، وليس هذا مدحا له[٥]، لأن مشابهة[٦] الناقص في صفات النقص نقص مطلق[٧]، كما أن مماثلة المخلوق في شيء من الصفات تمثيل وتشبيه[٨]، ينزه[٩] عنه الرب تبارك وتعالى.

والنقص ضد الكمال، وذلك مثل أنه قد عُلم أنه حيّ والموت ضد ذلك فهو منزه عنه، وكذلك النوم والسِنة ضد كمال الحياة، فإن النوم أخو الموت، وكذلك[١٠] اللغوب نقص[١١] في القدرة والقوة، والأكل والشرب ونحو ذلك من الأمور فيه افتقار إلى موجود غيره، كما أن الاستعانة بالغير والاعتضاد به ونحو ذلك[١٢] يتضمن[١٣] الافتقار إليه والاحتياج إليه، وكل من يحتاج إلى من يحمله أو يعينه على قيام ذاته أو

(١) غ : ... ينفي التضمن نفي الإثبات، وقد خط على هذا خط وكتب في الهامش : لعله النفي المتضمن للإثبات، ت : بنفي يتضمن النفي والإثبات، ح : ينفى لمتضمن النفي والإثبات.
(٢) م : فالمعدوم.
(٣) غ : بالمعدوم.
(٤) ح : الموجودات.
(٥) له : ليست في (غ).
(٦) غ ، ب ، ر : بل مشابهة.
(٧) كذا في (م)، وفي النسخ الأخرى : مطلقا.
(٨) م : والتشبيه.
(٩) ب : ينزه ينزه.
(١٠) م : ولذلك.
(١١) ب : بقص.
(١٢) ب : كما أن الاستعانة بالغير والانتصار به ونحو ذلك، ت : كما أن الاستعانة بالغير والاعتضاد به والانتصار به ونحو ذلك من الأمور.
(١٣) ح : تتضمن.

أفعاله[١] فهو مفتقر إليه ليس مستغنيا[٢] بنفسه، فكيف من يأكل ويشرب، والآكل والشارب أجوف، والمُصْمَتُ[٣] الصمد[٤] أكمل من الآكل الشارب[٥]، ولهذا كانت الملائكة صمدا لا تأكل ولا تشرب.

وقد تقدم(٦) أن كل كمال ثبت لمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق[٧] فالخالق أولى بتنزيهه عن ذلك. والسمع قد نفى ذلك في غير موضع كقوله : ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾(٨) والصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب(٩). وهذه السورة هي نسب الرحمن(١٠)،

---

(١) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : وأفعاله.

(٢) ر : مستعينا، ح : مستغنيا عنه.

(٣) والمصمت : سقطت من (ب).

(٤) غ ، ب : والصمد.

(٥) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : والشارب.

(٦) في آخر الكلام في المثل الأول ص ٥٠.

(٧) م ، ر ، ح : المخلوق.

(٨) سورة الإخلاص : ٢.

(٩) هذا أحد الأقوال في معنى الصمد ذكره الطبري ٣٠/٢٢٢–٢٢٣ عن جمع من المفسرين منهم ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي والضحاك وعكرمة وغيرهم.

(١٠) أخرج الإمام أحمد في مسنده (ط. دار صادر) ٥/١٣٣–١٣٤، والترمذي في جامعه ٩/٢٩٩–٣٠٠ تفسير سورة الإخلاص، والطبري ٣٠/٢٢١، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٣٠، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٧٩ عن أبي سعد (عند أحمد والطبري والبيهقي : أبي سعيد) محمد بن مُيسّر الصاغاني (عند الترمذي والطبري : الصنعاني) ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أُبَي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله تبارك وتعالى : (قل هو الله أحد... السورة).

وهي[١] الأصل في هذا الباب. وقال في حق المسيح وأمه : ﴿ مَّا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾(٢) فجعل ذلك دليلا على نفي الألوهية، فدل[٣] ذلك على تنزيهه عن ذلك بطريق الأَوْلَى والأحرى[٤].

والكبد والطحال ونحو ذلك هي أعضاء الأكل والشرب[٥]، فالغني المنزه[٦] عن ذلك منزه عن آلات ذلك، بخلاف اليد فإنها

ورواه الترمذي أيضا ٩/٣١ عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية مرسلا وقال : «وهذا أصح من حديث أبي سعد». وعلل المباركفوري (تحفة الأحوذي ٩/٣١) ذلك بقوله «لأن عبيد الله بن موسى ثقة وأبا سعد ضعيف».

وأورده الحاكم في المستدرك ٢/٥٤٠ من طريق آخر عن محمد بن سابق ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أُبَي بن كعب وصححه ووافقه الذهبي.
وأخرج الطبري ٣٠/٢٢١، والبيهقي ص ٢٧٩ عن شريح بن يونس ثنا اسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال : — عند الطبري : قال المشركون، وعند البيهقي جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : انسب لنا ربك، فأنزل الله قل هو الله أحد.

وأخرج الحديثين آخرون وروي بمعناهما غيرهما. انظر لذلك تفاسير الطبري ٣٠/٢٢١—٢٢٢، وابن كثير ٩/٣٣٧، والدر المنثور ٦/٤٠٩—٤١٠.

(١) ح : أو هي.
(٢) سورة المائدة : ٧٥.
(٣) غ : فدلك.
(٤) ر : والأخرى.
(٥) غ : ونحو ذلك من أعضاء الأكل والشارب.
(٦) ب : المتنزه.

للعمل والفعل، وهو سبحانه وتعالى[١] موصوف بالعمل والفعل، إذ ذلك[٢] من صفات الكمال، فمن يقدر أن يفعل أكمل ممن[٣] لا يقدر على الفعل.

وهو سبحانه منزه عن الصاحبة[٤] والولد وعن آلات ذلك وأسبابه، وكذلك البكاء والحزن هو[٥] مستلزم للضعف[٦] والعجز، الذي ينزه[٧] الله عنه[٨]، بخلاف الفرح والغضب فإنه من صفات الكمال، فكما[٩] يوصف بالقدرة[١٠] دون العجز، وبالعلم دون الجهل، وبالحياة دون الموت، وبالسمع دون الصمم، وبالبصر دون العمى، وبالكلام دون البكم ـــ فكذلك يوصف بالفرح دون الحزن، وبالضحك دون البكاء، ونحو ذلك.

وأيضا فقد ثبت بالعقل ما أثبته[١١] السمع من أنه سبحانه وتعالى لا كفؤ له، ولا سمي له، وليس كمثله[١٢] شيء، فلا يجوز أن تكون[١٣]

---

(١) وتعالى : في (غ) فقط.
(٢) ح : إذ ذاك.
(٣) ر : مما.
(٤) ب : الصاحب.
(٥) ب ، ت ، ر : وهو.
(٦) ر : للضعيف.
(٧) غ : تنزه.
(٨) ت : ينزه عنه، ح : ينزه عنه الله سبحانه.
(٩) غ : فما.
(١٠) ب ، ت ، ر : بالقوة.
(١١) ب ، ت ، ر : ما بينه.
(١٢) غ : ولا كمثله.
(١٣) غ ، ب : أن يكون.

حقيقته كحقيقة[1] شيء من المخلوقات، ([2][ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقات] [2])، فيُعلم قطعا أنه ليس من جنس المخلوقات، لا الملائكة ولا السموات ولا الكواكب، ولا الهواء ولا الماء ولا الأرض، ولا الآدميين ولا أبدانهم ولا أنفسهم، ولا غير ذلك، بل يُعلم[3] أن حقيقته[4] عن مماثلة[5] شيء من الموجودات أبعد من سائر الحقائق، وأن مماثلته لشيء[6] منها[7] أبعد من[8] مماثلة حقيقة[9] شيء من المخلوقات لحقيقة[10] مخلوق آخر.

فإن الحقيقتين إذا تماثلتا جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى[11]، ووجب لها ما وجب لها، ([12]وامتنع عليها ما امتنع عليها[12])فيلزم[13] أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدَث المخلوق[14] من العدم والحاجة، وأن يثبت لهذا ما يثبت لذاك[15] من الوجوب والغنى، فيكون الشيء الواحد[16] واجبا بنفسه غير واجب

---

(١) غ : حقيقته كحقيقته، ر : حقيقة كحقيقة.
(٢ ــ ٢) ما بينهما سقط من (غ).
(٣) ب ، ت ، ر : بل نعلم.
(٤) م : حقيقة.
(٥) ح : مماثلات.
(٦) ب : الشيء.
(٧) م ، ب : منهما.
(٨) ت : عن.
(٩) حقيقة : سقطت من (ب ، ت).
(١٠) ر : كحقيقة.
(١١) م : جاز على كل واحد منهما ما يجوز على الآخر.
(١٢ــ١٢) ما بينهما في (غ ، م) فقط، وسقط من النسخ الأخرى.
(١٣) ب : فوجب.
(١٤) ت : ما يجوز على المخلوق المحدث.
(١٥) لذاك : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : لذلك.
(١٦) م : الواجب.

بنفسه، موجودا معدوما، وذلك جمع بين النقيضين.

وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة الذين يقولون : بصر[١] كبصري، ويد[٢] كيدي[٣] ونحو ذلك، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

نتيجة هذه القاعدة

وليس المقصود هنا استيفاء ما يثبت له، وما ينزه عنه[٤]، واستيفـــاء طرق[٥] ذلك، لأن هذا مبسوط في غير هذا الموضع، وإنما المقصود هنا التنبيه على جوامع ذلك وطرقه، وما سكت عنه السمع نفيا وإثباتا، ولم يكن في العقل ما يثبته ولا ينفيه[٦] سكتنا عنه فلا نثبته ولا ننفيه، فنثبت ما علمنا ثبوته، وننفي ما علمنا نفيه، ونسكت عما لا نعلم[٧] نفيه ولا إثباته، والله سبحانه وتعالى أعلم[٨].

القاعدة السابعة
دلالة العقل على كثير مما دل عليه السمع

القاعدة السابعة(٩) ــ أن يقال : إن كثيرا مما دل عليه السمع يُعلم بالعقل أيضا، والقرآن يبين ما يستدل به العقل، ويرشد إليه،

(١) غ : بصير.
(٢) ح : أو يد.
(٣) ت : بصر كبصر، ويد كيد.
(٤) ح : ولا ما ينزه عنه.
(٥) ب : عنه وطرق.
(٦) ب : ولا تنفيه.
(٧) غ : عما لم نعلم.
(٨) والله سبحانه وتعالى أعلم : كذا في (غ) ، م ، ح : والله أعلم. وسقطت الجملة من باقي النسخ.
(٩) هذه القاعدة بكاملها وهي من هنا حتى قوله في صفحة ١٦٤ : «وبين الآمر بالعدل الذي هو على صراط مستقيم». انفردت بها مخطوطة (غ) وقد كتب في هامشها : «هذه القاعدة السابعة أظنها من زيادات المؤلف رحمه الله تعالى».
وسبقت الإشارة في مقدمة التحقيق إلى أن جامع مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ط. الرياض) ألحق هذه القاعدة بالتدمرية المطبوعة ضمن المجموع المذكور، معتمداً في ذلك على نفس هذه المخطوطة، وأنه صحح بعض أخطائها.
وسأقابل ــ إن شاء الله ــ ما في (ط. الرياض) ج ٣ ص ٨٨ (أ ــ س) على ما هنا، وأبين ما افترقت به، وإذا تابعت المطبوعة المخطوطة اكتفيت في الهامش بذكر المخطوطة فقط.

وينبه عليه، كما ذكر الله ذلك في غير موضع ؛ فإنه سبحانه وتعالى بيّن من الآيات الدالة عليه، وعلى وحدانيته، وقدرته، وعلمه وغير ذلك، ما أرشد العباد إليه ودلهم عليه، كما بيّن أيضا ما دل على نبوة أنبيائه، وما دل على المعاد وإمكانه.

فهذه المطالب هي شرعية من جهتين : من جهة أن الشارع أخبر بها، ومن جهة أنه بيّن الأدلة العقلية التي يستدل بها عليها.

ــ والأمثال المضروبة في القرآن هي أقيسة عقلية، وقد بسط هذا[١] في غير هذا الموضع(٢) ــ

وهي أيضا عقلية من جهة أنها تعلم بالعقل أيضا.

فساد دلائل المتكلمين

وكثير من أهل الكلام يسمي هذه «الأصول العقلية» لاعتقاده أنها لا تعلم إلا بالعقل فقط ؛ فإن السمع هو مجرد إخبار الصادق، وخبر الصادق ــ الذي هو النبي ــ لا يعلم صدقه إلا بعد العلم بهذه الأصول بالعقل.

ثم إنهم قد يتنازعون في الأصول التي يتوقف إثبات النبوة عليها :

فطائفة تزعم أن تحسين العقل وتقبيحه داخل في هذه الأصول، وأنه لا يمكن إثبات النبوة بدون ذلك، ويجعلون التكذيب بالقدر مما ينفيه العقل(٣).

---

(١) هذا : سقطت من (ط. الرياض).

(٢) انظر مثلا كتابه «درء تعارض العقل والنقل» تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم (ط. الأولى) ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م ، ٢٨/١ وما بعدها.

(٣) قوله : ويجعلون التكذيب بالقدر مما ينفيه العقل. كذا في الأصل (غ) وأظن أن فيه تحريفا، والذي بينه الشيخ وهو ينتقد هذا الأصل في إثبات النبوة (شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٣٧ــ١٣٨) أن المعتزلة حينما بنوا دينهم على تحسين العقل وتقبيحه التزموا لوازم خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة ومنها التكذيب بالقدر إذ قالوا : «لا

==

وطائفة تزعم أن حدوث العالم من هذه الأصول، وأن العلم بالصانع لا يمكن إلا بإثبات حدوثه، وإثبات حدوثه لا يمكن إلا بحدوث الأجسام، وحدوثها يُعلم إما بحدوث الصفات، وإما بحدوث الأفعال القائمة بها، فيجعلون نفي أفعال الرب، ونفي صفاته من الأصول التي لا يمكن إثبات النبوة إلا بها.

ثم هؤلاء لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة على نقيض قولهم، لظنهم أن العقل عارض السمع ـــ وهو أصله ـــ فيجب تقديمه عليه، والسمع إما أن يؤوَّل، وإما أن يُفوَّض.

وهم أيضا عند التحقيق لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة على وفق قولهم، لما تقدم.

وهؤلاء يضلون من وجوه :

منها ظنهم أن السمع بطريق الخبر تارة(١)، وليس الأمر كذلك، بل القرآن بيّن من الدلائل العقلية التي تعلم[٢] بها المطالب الدينية ما لا يوجد مثله في كلام أئمة النظر، فتكون هذه المطالب شرعية عقلية.

ومنها ظنهم أن الرسول لا يعلم صدقه إلا بالطريق المعينة[٣] التي سلكوها، وهم مخطئون قطعا في انحصار طريق تصديقه فيما ذكروه،

يجوز أن يشاء خلاف ما أمر به، ولا أن يخلق أفعال عباده، ولا يقدر أن يهدي ضالا، ولا يضل مهتديا لأنه لو كان قادرا على ذلك وقد أمر به ولم يعن عليه لكان قبيحا منه» اهـ.

فلعل أصل العبارة : ويجعلون التكذيب بالقدر مما يقتضيه ـــ أو يثبته ـــ العقل.

(١) تارة : كذا في الأصل (غ)، ولعل الصواب : المجرد.

(٢) كذا في (ط. الرياض) ؛ الأصل (غ) : يَعلم.

(٣) كذا في (ط. الرياض)، الأصل (غ) : المعنية.

فإن طرق العلم بصدق الرسول كثيرة، كما قد بسط في غير هذا الموضع(١).

ومنها ظنهم أن تلك الطريق التي سلكوها صحيحة، وقد تكون باطلة.

ومنها ظنهم أن ما(٢) عارضوا به السمع معلوم بالعقل، ويكونون غالطين في ذلك، فإنه إذا وزن بالميزان الصحيح[٣] وجد(٤) ما يعارض الكتاب والسنة من المجهولات لا من المعقولات، وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع.

من صفات الله ما يعلم بالعقل

والمقصود هنا أن من صفات الله تعالى ما قد يعلم بالعقل، كما يعلم أنه عالم، وأنه قادر، وأنه حي، كما أرشد إلى ذلك قوله: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ** ﴾(٥).

وقد اتفق النُظّار من مثبتة[٦] الصفات على أنه يعلم بالعقل ــ عند المحققين ــ أنه حي عليم قدير مريد، وكذلك السمع والبصر والكلام يثبت بالعقل عند المحققين منهم.

بل وكذلك الحب والرضا والغضب يمكن[٧] إثباته بالعقل.

وكذلك علوه على المخلوقات ومباينته لها مما يعلم بالعقل، كما

---

(١) انظر كتابه «النبوات» وانظر شرح العقيدة الأصفهانية، ص ٧٧ــ٩٢، ١٢٨ــ١٣٧.
(٢) الأصل (غ) : أنما.
(٣) كذا في (ط. الرياض)، الأصل (غ) : الصحيحة.
(٤) كذا في الأصل (غ)، ولعل الصواب : وجد أن.
(٥) سورة الملك : ١٤.
(٦) كذا في (ط. الرياض) ؛ الأصل (غ) : مثبت.
(٧) كذا في (ط. الرياض) ؛ الأصل (غ) : لكن.

أثبتته بذلك الأئمة مثل أحمد بن حنبل وغيره، ومثل [عبد العزيز] المكي[(١)] وعبد الله بن سعيد بن كُلَّاب[(٢)].

بل وكذلك إمكان الرؤية يثبت بالعقل، لكن منهم من أثبتها بأن كل موجود تصح رؤيته، ومنهم من أثبتها بأن كل قائم بنفسه تمكن[(٣)] رؤيته، وهذه الطريق أصح من تلك.

وقد يمكن إثبات الرؤية بغير[٤] هذين الطريقين، بتقسيم دائر بين[٥] النفي والإثبات، كما يقال: إن الرؤية لا تتوقف إلا على أمور وجودية، فإن[(٦)] ما لا يتوقف إلا على أمور وجودية يكون الموجود

---

(١) الأصل (غ): عبد الغني المكي. وكتب في الهامش: العال. وأُثبتَ في (ط. الرياض): عبد العالي. وقد نقل ابن تيمية [مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ط. الرياض) ٣١٠/٥ ـــ ٣٢٠] نصوص هؤلاء الثلاثة في هذه القضية من كتبهم وسماه هناك عبد العزيز المكي.

وهو عبد العزيز بن يحي بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (ت ٢٤٠ هـ) من أصحاب الإمام الشافعي. انظر تاريخ بغداد ٤٤٩/١٠ــ٤٥٠، طبقات الشافعية ٢٦٥/١ــ٢٦٦، ميزان الاعتدال ٦٣٩/٢، تهذيب التهذيب ٣٦٣/٦ــ٣٦٤، الأعلام ١٥٤/٤ــ١٥٥.

(٢) أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان (في طبقات الشافعية: توفي بعد سنة ٢٤٠ هـ بقليل). من أئمة الصفاتية، وعلى طريقته سار الأشعري بعد تركه الاعتزال. انظر في الحديث عنه وعن مذهبه: مقالات الإسلاميين ٢٤٩/١ــ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٥٠ــ٣٥١، ٢٢٥/٢ــ٢٢٦، أصول الدين للبغدادي ص ٨٩، ٩٠، ٩٧، ١٠٤، ١٠٩، ١١٣، ١٢٣، ١٣٢، ١٤٦، ٢٤٩، ٢٥٤، ٣٠٩، الفهرست لابن النديم ص ١٨٠، الفصل لابن حزم ١٢٣/٢، ٢٠٨/٤، الملل والنحل ٣٦/١، ١١٨، طبقات الشافعية ٥١/٢ــ٥٢، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ط. الرياض) ٥٥٥/٥ــ٥٥٨، ٣٦٦/١٢ــ٣٦٧، الخطط للمقريزي ٣٥٨/٢، ٣٥٩، لسان الميزان ٢٩٠/٣ــ٢٩١.

(٣) الأصل (غ): يمكن.

(٤) كذا في ط. الرياض، الأصل (غ): يعني.

(٥) كذا في (ط. الرياض)، الأصل (غ): تنقسم دائرتين.

(٦) كذا في الأصل (غ)، ولعل الصواب: وإن.

الواجب القديم أحق به من الممكن المحدَث. والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع.

من الطرق العقلية في إثبات الصفات أنه سبحانه لو لم يوصف بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم وصفه بالأخرى

والمقصود هنا أن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من نُظَّار السنة في هذا الباب ــ أنه لو لم يكن موصوفا بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصمم والخرس والبَكَم(١).

وطرد ذلك أنه لو لم يوصف بأنه مباين للعالم لكان داخلا فيه، فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرى، وتلك صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات فتنزيه الخالق عنها أولى.

طريقة أخرى في إثبات الصفات

وهذه الطريق غير قولنا : إن هذه صفات كمال يتصف بها المخلوق فالخالق أولى، فإن طريق إثبات صفات الكمال بأنفسها مغاير لطريق إثباتها بنفي ما يناقضها.

اعتراض على الطريقة الأولى

وقد اعترض طائفة من النفاة على هذه الطريقة باعتراض مشهور لبسوا به على الناس، حتى صار كثير من أهل الإثبات يظن صحته ويُضعف الإثبات به، مثل ما فعل من فعل ذلك من النظار حتى [الآمدي وأمثاله](٢)، مع أنه أصل قول القرامطة الباطنية وأمثالهم من الجهمية.

---

(١) أتى بصفتين مقابل صفة الكلام، ولم يأت بما يقابل صفة البصر وهي العمى.

(٢) الأصل (غ) : الأمادي امسى. وكتب أمامه في الهامش : كذا. والآمدي هو أبو الحسن علي بن أبي علي محمد بن سالم التغلبي الملقب سيف الدين الآمدي (ت ٦٣١ هـ) أصولي، متكلّم. انظر عنه :
وفيات الأعيان ٣/٢٩٣ــ٢٩٤، طبقات الشافعية ٥/١٢٩ــ١٣٠، البداية والنهاية ١٣/١٤٠ــ١٤١، ميزان الاعتدال ٢/٢٥٩، لسان الميزان ٣/١٣٤ــ١٣٥، الأعلام ٥/١٥٣.

فقالوا(١) : « القول(٢) بأنه لو لم يكن متصفا بهذه الصفات، (٣كالسمع والبصر والكلام٣)، مع كونه حيًّا لكان متصفا بما يقابلها ـــ فالتحقيق فيه متوقف على بيان حقيقة المتقابلَيْن وبيان أقسامهما.

فنقول : أما المتقابلان فما لا(٤) يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة، وهو إما أن لا يصح اجتماعهما في الصدق ولا في الكذب، أو يصح ذلك في أحد الطرفين.

فالأول هما(٥) المتقابـلان(٦) بالسلب والإيجاب، وهـو تقابـل التناقض، والتناقض هو اختلاف القضيتين بالسلب والإيجاب(٧) على وجه لا يجتمعان في الصدق ولا في الكذب(٨) لذاتيهما كقولنا(٩) : زيد حيوان، زيد ليس بحيوان(١٠)، ومن خاصيته(١١) استحالة اجتماع

---

(١) سيورد الشيخ هنا نص الآمدي من كتابه «أبكار الأفكار» وسأقابل ـــ إن شاء الله ـــ ما هنا على ما في الأبكار الجزء الأول ورقة. رقم ٥٦ من فيلم في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية لجامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم (٣٤ المجموعة الخاصة) مصور عن مخطوط في مكتبة أيا صوفيا بتركيا رقم ٢١٦٥ وأرمز لكتاب الآمدي بـ « أبكار».

(٢) أبكار : والقول.

(٣ــ٣) ما بينهما ليس في (أبكار).

(٤) كذا في (أبكار) ، الأصل (غ) : فلا.

(٥) كذا في (أبكار)، الأصل (غ) : مالا ونهما. وكتب في الهامش : لعله فالأولان هما، (ط. الرياض) : ولأنهما.

(٦) ط. الرياض : متقابلان.

(٧) كذا في الأصل (غ) ، أبكار : بالإيجاب والسلب.

(٨) كذا في الأصل (غ) ، أبكار : ولا الكذب.

(٩) كذا في الأصل (غ) ، أبكار : لقولنا.

(١٠) كذا في الأصل (غ) ، أبكار : ليس حيوانا.

(١١) كذا في (أبكار) ، الأصل (غ) : خاصة.

طرفيه في الصدق والكذب(١)، وأنه(٢) لا واسطة بين الطرفين ولا استحالة لأحد الطرفين [إلى الآخر](٣).

---

(١) كذا في الأصل (غ) ، أبكار : في الصدق أو الكذب.

(٢) كذا في (أبكار) ، الأصل (غ) : أنه [بسقوط الواو].

(٣) ما بين المعكوفين تكميل من (أبكار) يتم به النوع الأول. ثم نلاحظ أنه توقف النقل عن الآمدي ولما تتضح فكرته، وبدأ الرد عليه أيضا بشكل نقطع معه بوقوع سقط كبير من الأصل. وسأعرض هنا ــ بعون الله ــ لبقية كلام الآمدي عن الموضوع كما هي في كتابه «أبكار الأفكار» مستعينا أيضا بكتابه الآخر « غاية المرام في علم الكلام» تحقيق حسن محمود عبد اللطيف (القاهرة ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م) ص ٥٠ــ٥١ الذي لخص فيه كتابه «أبكار الأفكار»، ثم اجتهد بوضع بداية لرد الشيخ عليه والله أسأل التوفيق، أقول : والثاني ثلاثة أقسام :

الأول ــ المتقابلان بالتضايف، وهما اللذان لا تعقّل لكل واحد منهما إلا مع تعقّل الآخر كقولنا : زيد أب ، زيد ابن، وخاصيته توقف كل واحد من طرفيه على الآخر في الفهم.

الثاني ــ المتقابلان بالتضاد، والمتضادان كل أمرين يتصور اجتماعهما في الكذب دون الصدق كالسواد والبياض، ومن خواصه جواز استحالة كل واحد من طرفيه إلى الآخر في بعض صوره، وجواز وجود واسطة بين الطرفين تمر عليه الاستحالة من أحد الطرفين إلى الآخر كالصفرة والحمرة بين السواد والبياض.

الثالث ــ تقابل العدم والمَلَكَة، والمراد بالملكة هنا كل معنى وجودي أمكن أن يكون ثابتا للشيء إما بحق جنسه كالبصر للإنسان، أو بحق نوعه ككتابة زيد، أو بحق شخصه كاللحية للرجل، وأما العدم المقابل لها فهو ارتفاع هذه الملكة.

ولما لم يكن ملكة البصر بالتفسير المذكور ثابتة للحجر لا يقال له : أعمى ولا بصير، ومن خواص هذا التقابل جواز انقلاب الملكة إلى العدم ولا عكس.

فإن أريد بالتقابل ههنا تقابل التناقض بالسلب والإيجاب، وهو أنه لا يخلو من كونه سميعا وبصيرا ومتكلما أو ليس، فهو ما يقوله الخصم ولا يقبل نفيه من غير دليل.

وإن أريد بالتقابل تقابل المتضايفين فهو غير متحقق ههنا، ومع كونه غير متحقق فلا يلزم من نفي أحد المتضايفين ثبوت الآخر، بل ربما انتفيا معا، ولهذا يقال : زيد ليس بأب لعمرو ولا بابن له أيضا.

... من جهة واحدة، ولا يصح اجتماعهما في الصدق ولا في الكذب، إذ كون الموجود واجبا بنفسه وممكنا بنفسه لا يجتمعان ولا يرتفعان.

فإذا جعلتم هذا التقسيم(١)، وهما النقيضان ما لا يجتمعان ولا يرتفعان، فهذان لا يجتمعان ولا يرتفعان، وليس هما السلب والإيجاب، فلا يصح حصر النقيضين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان في السلب والإيجاب.

وحينئذ، فقد ثبت وصفان : شيئان لا يجتمعان ولا يرتفعان، وهو خارج عن الأقسام الأربعة.

وعلى[٢] هذا فمن جعل الموت معنى وجوديا فقد يقول : إن كون الشيء لايخلو من الحياة والموت هو من هذا الباب.

وإن أريد بالتقابل تقابل الضدين فإنما يلزم أن لو كان واجب الوجود قابلا لتوارد الأضداد عليه وهو غير مسلّم، وإن كان قابلا فلا يلزم من نفي أحد الضدين وجود الآخر لجواز اجتماعهما في العدم، ووجود واسطة بينهما، ولهذا يصح أن يقال : الباري تعالى ليس بأسود ولا أبيض.

وإن أريد بالتقابل تقابل العدم والملكة فلا يلزم أيضا من نفي الملكة تحقق العدم ولا بالعكس إلا في محل يكون قابلا لهما ولهذا يصح أن يقال : الحجر لا أعمى ولا بصير.

والقول بكون الباري تعالى قابلا للبصر والعمى دعوى محل النزاع والمصادرة على المطلوب، وعلى هذا فقد امتنع لزوم العمى والخرس والطرش في حق الله تعالى من ضرورة نفي البصر والسمع والكلام عنه. اهـ.

[والرد عليهم من وجوه :

الوجه الأول ــ أن هذا التقسيم غير حاصر، فإنه يقال للموجود : إما أن يكون واجبا بنفسه وإما أن يكون ممكنا بنفسه، وهذان ــ الوجوب والإمكان ــ لا يجتمعان في شيء واحد...]

(١) كذا في الأصل (غ)، ولعل الصواب : القسم.

(٢) ط. الرياض: على [بسقوط الواو].

وكذلك العلم والجهل، والصمم، والبكم(١)، ونحو ذلك.

الوجه الثاني ــ أن يقال : هذا التقسيم(٢) يتداخل، فإن العدم والملكة يدخل في السلب والإيجاب، وغايته أنه نوع منه، والمتضايفان يدخلان في المتضادين، وإنما هو٣ نوع منه.

فإن قال : أعني بالسلب والإيجاب [ما لا] يدخل [فيه](٤) العدم والملكة، وهو أن يسلب عن الشيء ما ليس بقابل له، ولهذا جعل من خواصه أنه لا استحالة لأحد طرفيه إلى الآخر(٥).

قيل له : عن هذا جوابان :

أحدهما ــ أن غاية هذا أن السلب ينقسم إلى نوعين، أحدهما : سلب ما يمكن اتصاف الشيء به، والثاني : سلب ما لا يمكن اتصافه به.

ويقابل٦ الأول إثبات ما يمكن اتصافه ولا يجب، والثاني إثبات ما يجب اتصافه به، فيكون المراد به(٧) سلب الممتنع وإثبات الواجب، كقولنا : زيد حيوان، فإن هذا إثبات واجب، وزيد ليس بحجر، فإن هذا سلب ممتنع.

وعلى هذا التقدير، فالممكنات التي تقبل الوجود والعدم،

---

(١) كذا في الأصل (غ)، ولعل الصواب : والسمع والصمم، والكلام والبكم.

(٢) التقسيم : كذا في الأصل (غ)، وفي (ط. الرياض) : القسيم.
ولعل الصواب : هذا التقسيم فيه تداخل، أو هذه الأقسام تتداخل.

(٣) ط. الرياض : إنما [بسقوط الواو] هما.

(٤) الأصل (غ) : فلا يدخل في.

(٥) كتبت في الأصل (غ) : الآخر. ثم أدخل عليها تعديل بحيث تصبح : آخره. وهو ما أثبت في (ط. الرياض).

(٦) ط. الرياض : فيقال.

(٧) أي بالثاني.

كقولنا : المثلث إما موجود وإما معدوم، يكون من قسم العدم والملكة، وليس كذلك، فإن ذلك القسم يخلو فيه الموصوف الواحد عن(١) المتقابلين جميعا، ولا يخلو شيء من الممكنات عن الوجود والعدم.

وأيضا فإنه على هذا التقدير، فصفات الرب كلها واجبة له، فإذا قيل : إما أن يكون حيا أو عليما أو سميعا أو بصيرا أو متكلما، أو لا يكون ــ كان مثل قولنا : إما أن يكون موجودا وإما أن لا يكون، وهذا متقابل تقابل[٢] السلب والإيجاب، فيكون الآخر مثله، وبهذا يحصل المقصود.

فإن قيل : هذا لا يصح حتى يُعلم إمكان قبوله لهذه الصفات.

قيل له : هذا إنما [اشتُرِط](٣) فيما أمكن أن يثبت له ويزول كالحيوان، فأما الرب تعالى فإنه بتقدير ثبوتها له فهي واجبة، ضرورة أنه[٤] لا يمكن اتصافه بها وبعدمها باتفاق العقلاء، فإن ذلك يوجب أن يكون تارة حيا وتارة ميتا، وتارة أصم وتارة سميعا، وهذا يوجب اتصافه بالنقائص، وذلك منتف قطعا.

بخلاف من نفاها، وقال : إن نفيها ليس بنقص، لظنه أنه لا يقبل الاتصاف بها، فإن من قال هذا لا يمكنه أن يقول : إنه مع إمكان الاتصاف بها لا يكون نفيها نقصا. فإن فساد هذا معلوم بالضرورة.

---

(١) الأصل (غ) : على.

(٢) كذا في (ط. الرياض)، الأصل (غ) : يقابل.

(٣) الأصل (غ) : اشتركا.

(٤) ط. الرياض : فإنه.

وقيل له أيضا : أنت في تقابل السلب والإيجاب، إن اشترطت العلم بإمكان الطرفين لم يصح أن تقول : واجب الوجود[1] إما موجود وإما معدوم، والممتنع الوجود إما موجود وإما معدوم، لأن أحد الطرفين هنا معلوم الوجوب، والآخر معلوم الامتناع.

وإن اشترطت العلم[2] بإمكان أحدهما صح أن تقول[3] : إما أن يكون حيا وإما أن لا يكون، وإما أن يكون سميعا بصيرا وإما أن لا يكون، لأن النفي إن كان ممكنا صح التقسيم، وإن كان ممتنعا كان الإثبات واجبا، وحصل المقصود.

فإن قيل : هذا يفيد أن هذا التأويل يقابل السلب والإيجاب ونحن نسلم ذلك، كما ذكر في الاعتراض، لكن غايته أنه إما سميع وإما ليس بسميع، وإما بصير وإما ليس ببصير، والمنازع يختار النفي.

فيقال له : على هذا التقدير فالمثبَت واجب، والمسلوب ممتنع، فإما أن تكون هذه الصفات واجبة له، وإما أن تكون ممتنعة عليه، والقول بالامتناع لا وجه له إذ لا دليل عليه بوجه.

بل قد يقال : نحن نعلم بالاضطرار بطلان الامتناع، فإنه لا يمكن أن يستدل على امتناع ذلك إلا بما يستدل به على إبطال أصل الصفات، وقد علم فساد ذلك، وحينئذ فيجب القول بوجوب هذه الصفات له.

---

(١) كذا في (ط. الرياض) ، الأصل (غ) : واجب الوجوب.

(٢) كذا في (ط. الرياض) ، الأصل (غ) : بالعلم.

(٣) كذا في (ط. الرياض) ، الأصل (غ) : يقول.

واعلم أن هذا يمكن أن يُجعل طريقة مستقلة في إثبات صفات الكمال له، فإنها إما واجبة له، وإما ممتنعة عليه، والثاني باطل فتعيَّن الأول، لأن كونه قابلا لها خاليا عنها يقتضي أن يكون ممكنا، وذلك ممتنع في حقه، وهذه طريقة معروفة لمن سلكها من النظار.

الجواب الثاني ــ أن يقال فعلى هذا إذا قلنا : زيد إما عاقل وإما غير عاقل، وإما عالم وإما ليس بعالم، وإما حي وإما غير حي، وإما ناطق وإما غير ناطق، وأمثال ذلك مما فيه سلب الصفة عن محل. قابل لها، لم يكن هذا داخلا في قسم تقابل[1] السلب والإيجاب.

ومعلوم أن هذا خلاف المعلوم بالضرورة، وخلاف اتفاق العقلاء، وخلاف ما ذكروه في المنطق وغيره.

ومعلوم أن مثل هذه القضايا تتناقض[2] بالسلب والإيجاب على وجه يلزم من صدق إحداهما كذب الأخرى، فلا يجتمعان في الصدق والكذب، فهذه شروط التناقض موجودة فيها.

وغاية فرقهم أن يقولوا : إذا قلنا : هو إما بصير وإما ليس ببصير، كان إيجابا وسلبا، وإذا قلنا : إما بصير وإما أعمى، كان ملكة وعدما.

وهذا[3] منازعة لفظية، وإلا فالمعنى في الموضعين سواء، فعلم أن ذلك نوع من تقابل السلب والإيجاب، وهذا يبطل قولهم في حد ذلك التقابل : إنه لا استحالة لأحد الطرفين إلى الآخر، فإن الاستحالة هنا ممكنة كإمكانها إذا عبر بلفظ «العمى».

---

(١) كذا في (ط. الرياض)، الأصل (غ) : يقابل.
(٢) كذا في (ط. الرياض)، الأصل (غ) : يتناقض.
(٣) ط. الرياض : وهذه.

الوجه الثالث ــ أن يقال : التقسيم الحاصر أن يقال : المتقابلان إما أن يختلفا بالسلب والإيجاب، وإما أن لا يختلفا بذلك، بل يكونان إيجابين أو سلبين[١]، فالأول هو النقيضان، والثاني : إما[٢] أن يمكن خلو المحل عنهما، وإما أن لا يمكن، والأول هما الضدان كالسواد والبياض، والثاني هما في معنى النقيضين وإن كانا ثبوتَين[٣] كالوجوب والإمكان، والحدوث والقدم، والقيام بالنفس والقيام بالغير، والمباينة والمجانبة، ونحو ذلك.

ومعلوم أن الحياة والموت، والصمم والبكم والسمع[٤]، ليس مما إذا خلا الموصوف عنهما وصف بوصف ثالث بينهما كالحمرة بين السواد والبياض، فعُلم أن الموصوف لا يخلو عن أحدهما فإذا انتفى تعين الآخر.

الوجه الرابع ــ المحل الذي لا يقبل الاتصاف بالحياة والعلم والقدرة والكلام ونحوها، أنقص من المحل الذي يقبل ذلك ويخلو عنها، ولهذا كان الحجر ونحوه أنقص من الحي الأعمى.

وحينئذ، فإذا كان الباري منزها عن نفي هذه الصفات ــ مع قبوله لها ــ فتنزيهه عن امتناع قبوله لها أَوْلَى وأحرى، إذ بتقدير قبوله لها يمتنع منع المتقابلين، واتصافه بالنقائص ممتنع، فيجب اتصافه بصفات الكمال، وبتقدير عدم قبوله لا يمكن اتصافه لا بصفات الكمال ولا بصفات النقص، وهذا أشد امتناعا، فثبت أن اتصافه بذلك ممكن، وأنه واجب له، وهو المطلوب، وهذا في غاية الحسن.

---

(١) ط. الرياض : إجابيين أو سلبيين.
(٢) كذا في (ط. الرياض) ، الأصل (غ) : فإما.
(٣) ط. الرياض : ثبوتيين.
(٤) كذا في الأصل (غ) ولعله سقط من هنا كلمة «والكلام».

الوجه الخامس ــ أن يقال : أنتم جعلتم تقابل العدم والملكة فيما يمكن اتصافه بثبوت، فإن[1] عنيتم بالإمكان الإمكان الخارجي[2]، وهو[3] أن يعلم ثبوت ذلك في الخارج، كان هذا باطلا من وجهين(٤) :

أحدهما ــ أنه يلزمكم[5] أن تكون الجامدات لا توصف بأنها لا حيّة ولا ميتة، ولا ناطقة ولا صامتة، وهو قولكم، لكن هذا اصطلاح محض، وإلا [فالعرب] يصفون[6] هذه الجمادات بالموت والصمت.

وقد جاء القرآن بذلك، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾(٧)، فهذا في الأصنام وهي من الجمادات، وقد وصفت بالموت.

والعرب تقسم الأرض إلى الحيوان والمَوَتان، قال أهل اللغة : المَوَتان، بالتحريك : خلاف الحيوان، يقال : اشْتَرِ المَوَتان ولا تَشْتَر الحيوان، أي : اشتر الأرضين[8] والدّور، ولا تشتر الرقيق[9] والدّواب. وقالوا أيضا : المَوَات : ما لا روح فيه.

(١) ط. الرياض : فإذا.
(٢) كذا في (ط. الرياض) ، الأصل (غ) : الخارج.
(٣) ط. الرياض : هو (بسقوط الواو).
(٤) الأصل (غ) : بوجهين. ثم ادخلت عليها «من» بحيث أصبحت تقرأ : من بوجهين، ط. الرياض : لوجهين.
(٥) كذا في (ط. الرياض) ، الأصل (غ) : أنه لا يلزمكم.
(٦) الأصل (غ) : وإلا يصفون، ط. الرياض : وإلا تصفوا، والصواب ما أثبت.
(٧) سورة النحل : ٢٠ ، ٢١.
(٨) ط. الرياض، الأرض.
(٩) كذا في (ط. الرياض) : الأصل (غ) : الرفيق.

فإن قيل : فهذا إنما سمي مواتا باعتبار قبوله للحياة، التي هي إحياء الأرض.

قيل : وهذا يقتضي أن الحياة أعم من حياة الحيوان، وأن الجماد يوصف بالحياة إذا كان قابلا للزرع والعمارة.

والخرس ضد النطق، والعرب تقول : لبن أخرس، أي خاثر لا صوت له في الإناء، وسحابة خرساء، ليس فيها رعد ولا برق، وعَلَم أخرس، إذا لم يُسمع له في الجبل(١) صوت صدى، ويقال : كتيبة خرساء، قال أبو عبيد[٢] : هي التي صمتت من كثرة الدروع ليس لها قعاقع(٣).

وأبلغ من ذلك الصمت والسكوت، فإنه يوصف به القادر على النطق إذا تركه، بخلاف الخرس، فإنه عجز عن النطق، ومع هذا فالعرب تقول : ما له صامت ولا ناطق، فالصامت الذهب والفضة، والناطق الإبل والغنم، والصامت[٤] من اللبن : الخاثر، والصَمُوت : الدرع التي إذا صُبَّت(٥) لم يسمع لها صوت.

ويقولون : دابة عجماء، وخرساء، لما لا ينطق(٦) ولا يمكن منه[٧] النطق في العادة، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الأصل (غ) : الحبل. وصححتها من كتب اللغة.
(٢) ط. الرياض : أبو عبيدة، والذي في الأصل (غ) وكتب اللغة : أبو عبيد.
(٣) الأصل (غ) : فقاقع. وصححتها من كتب اللغة.
(٤) ط. الرياض : فالصامت.
(٥) الأصل (غ) : التي صبت إذا [كذا بدون نقطة تحت الباء]، ط. الرياض : التي صمت إذا، والتصحيح من كتب اللغة.
(٦) الأصل (غ) تنطق.
(٧) ط. الرياض : منها.

(العجماء جبار).(١).

وكذلك في العمى(٢)، تقول العرب : عَمَى الموجُ يَعْمِي عَمْياً(٣) إذا رمى القذى(٤) والزَبَد، والأعميان : السيل والجمل الهائج، وعَمِيَ عليه الأمر إذا التبس، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ ﴾(٥).

وهذه الأمثلة قد يقال في بعضها : إنه عدم ما يقبل المحل الاتصاف به كالصوت، ولكن فيها ما لا يقبل كموت الأصنام.

الثاني ـــ أن الجامدات يمكن اتصافها بذلك، فإن الله سبحانه قادر أن يخلق في الجمادات حياة، كما جعل عصا موسى حيّة تبلع(٦) الحبال والعصي.

(١) هذا جزء من حديث رواه أبو هريرة، وأخرجه : البخاري ٣/٣٦٤ (رقم ١٤٩٩) كتاب الزكاة، باب في الركاز الخمس، وكرر بـ (الأرقام ٢٣٥٥، ٦٩١٢، ٦٩١٣)، مسلم ٣/١٣٣٤ ـــ ١٣٣٥ (رقم ١٧١٠) كتاب الحدود، باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار، أبو داود ١٢/٣٣٦ كتاب الديات، باب العجماء والمعدن والبئر جبار، النسائي ٥/٣٣ـــ٣٤ كتاب الزكاة، باب المعدن، الترمذي ٣/٣١ في الزكاة، باب ما جاء أن العجماء جرحها جبار، ابن ماجة ٢/٨٩١ (رقم ٢٦٧٣) كتاب الديات، باب الجبار، أحمد في مسنده (ط. دار المعارف) ١٢/٨٧ (رقم ٧١٢٠)، وكرر بعد هذا مرات، مالك في الموطأ ٢/١٩١ كتاب العقول، جامع العقل.

(٢) الأصل (غ) : العمياً.

(٣) الأصل (غ) : عما. وصححتها من كتب اللغة.

(٤) الأصل (غ) : القذف. وصححتها من كتب اللغة.

(٥) سورة القصص : ٦٦.

(٦) ط. الرياض : تبتلع.

وإذا في إمكان العادات كان ذلك مما قد علم بالتواتر(١)، وأنتم أيضا قائلون به في مواضع كثيرة.

وإذا كان الجمادات يمكن اتصافها بالحياة وتوابع الحياة ثبت أن جميع الموجودات يمكن اتصافها بذلك، فيكون الخالق أَوْلَى بهذا الإمكان.

وإن عنيتم الإمكان الذهني، وهو عدم العلم بالامتناع فهذا حاصل في حق الله، فإنه لا يعلم امتناع اتصافه بالسمع والبصر والكلام.

الوجه السادس ــ أن يقال : هب أنه لا بد من العلم بالإمكان الخارجي، فإمكان الوصف للشيء يُعلم تارة بوجوده له، أو بوجوده لنظيره، أو بوجوده لما هو الشيء أَوْلَى بذلك منه.

ومعلوم أن الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام ثابتة(٢) للموجودات المخلوقة، وممكنة(٣) لها، فإمكانها للخالق تعالى أَوْلَى وأحرى، فإنها صفات كمال، وهو قابل للاتصاف بالصفات، وإذا كانت ممكنة في حقه فلو لم يتصف بها لاتصف بأضدادها.

الوجه السابع ــ أن يقال : مجرد سلب هذه الصفات نقص لذاته، سواء سميت عمى وصمما وبكما، أو لم تسم، والعلم بذلك ضروري، فإنا(٤) إذا قدرنا موجودَين، أحدهما يسمع ويبصر ويتكلم،

---

(١) كذا في (الأصل) (غ)، وفي (ط. الرياض) : وإذا كان في إمكان العادات...، ولعل الصواب : وإذا نُفي إمكانه بالعادة... الخ، أي : وإذا نفي إمكان اتصاف الجمادات بهذه الصفات اعتمادا على ما يشاهد من العادة فالذي مثلنا به قد علم بالتواتر. والله أعلم.

(٢) الأصل (غ) : ثابت.

(٣) ط. الرياض : وممكن.

(٤) الأصل (غ) : فأما.

والآخر ليس كذلك — كان الأول أكمل من الثاني.

ولهذا عاب الله سبحانه من عبد ما تنتفي فيه هذه الصفات، فقال تعالى عن إبراهيم الخليل : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾(١)، وقال أيضا في قصته : ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾(٢)، وقال تعالى عنه : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ ﴾(٣).

وكذلك في قصة موسى في العجل : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٥)، فقابل بين الأبكم العاجز وبين الآمر بالعدل الذي هو على صراط مستقيم(٦).

(١) سورة مريم : ٤٢.
(٢) سورة الأنبياء : ٦٣.
(٣) سورة الشعراء : ٧٢—٧٧.
(٤) سورة الأعراف : ١٤٨.
(٥) سورة النحل : ٧٦.
(٦) هنا انتهت القاعدة السابعة التي ابتدأت في ص ١٤٦ وانفردت بها مخطوطة (غ).

فصـــل

الأصل الثـــاني - توحيد العبادة الواجب في شرع الله وقدره اعتقادا

وأما الأصل الثاني، وهو التوحيد في العبادات، المتضمن للإيمان بالشرع والقدر جميعا - فنقول: إنه[١] لا بدّ من الإيمان بخلق الله وأمره، فيجب الإيمان بأن الله[٢] خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه على كل شيء قدير، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا[٣] حول ولا قوة إلا بالله، وقد علم ما سيكون قبل أن يكون، وقدّر المقادير وكتبها حيث[٤] شاء، كما قال تعالى[٥] ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾(٦)، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)(٧).

---

(١) إنه: سقطت من (ح).

(٢) كذا في (م، ح)، وفي النسخ الأخرى: بأنه.

(٣) ت، ح: ولا.

(٤) ب: حين.

(٥) تعالى: ليست في (ت، ر)، وفي (م): كما قال الله تعالى.

(٦) سورة الحج: ٧٠.

(٧) في صحيح مسلم ٤/٢٠٤٤ (رقم ٢٦٥٣) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام،، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء)، والحديث أيضا في جامع الترمذي ٦/٣٧٠ أبواب القدر باب رقم ١٦، ومسند الإمام أحمد (ط. دار المعارف) ١٠/ ١١٤ (رقم ٦٥٧٩) لكن لم يذكرا فيه (وعرشه على الماء).

ويجب الإيمان بأن الله تعالى[1] أمر بعبادته وحده لا شريك له، كما خلق الجن والإنس[2] لعبادته، وبذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه(٣).

العبادة تتضمن كمال الذل والحب وذلك يتضمن كمال الطاعة

وعبادته تتضمن كمال الذّل له[4] والحب له، وذلك يتضمن كمال طاعته، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله، وقد قال تعالى[5] : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(٦) وقال تعالى[7] : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٨).

وقد[9] قال تعالى[10] : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾(١١)، وقال تعالى[12] : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(١٣)، وقال تعالى[14] : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا

---

(١) تعالى : في (غ) فقط.
(٢) م ، ت ، ر : الانس والجن.
(٣) وانظر الواجب في شرع الله وقدره عملا صفحة ٢٢٣، ٢٢٨.
(٤) له : سقطت من (ح).
(٥) م ، ر : الله تعالى.
(٦) سورة النساء : ٦٤.
(٧) م : الله تعالى.
(٨) سورة آل عمران : ٣١.
(٩) قد : في (غ) ، م) فقط.
(١٠) م : الله تعالى.
(١١) سورة الزخرف : ٤٥.
(١٢) وقال تعالى : سقطت من (م ، ح).
(١٣) سورة الأنبياء : ٢٥.
(١٤) تعالى : ليست في (ب ، ت) ، م : الله تعالى.

تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾(١)، وقال تعالى[٢] : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فاتَّقُونِ ﴾(٣)، فأمر الرسل[٤] بإقامة الدين وأن لا يتفرقوا فيه، ولهذا قال النبي[٥] صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (إنّا معاشر الأنبياء ديننا واحد، والأنبياء[٦] إخوة لعَلاَّت[٧]، وأنا أَوْلَى الناس بابن مريم، لأنه[٨] ليس بيني وبينه نبي)(٩).

دين الأنبياء واحد وهو الإسلام

---

(١) سورة الشورى : ١٣.
(٢) م : الله تعالى.
(٣) سورة المؤمنون : ٥١، ٥٢.
(٤) غ : الرسول.
(٥) النبي : ليست في (ب ، ت).
(٦) غ ، ب : الأنبياء (بسقوط الواو)..
(٧) ت : علات.
(٨) كذا في (ت) ، وفي النسخ الأخرى : وإن أولى الناس بابن مريم لأنا إنه.
(٩) الحديث مروى عن أبي هريرة من طرق متعددة وبألفاظ متقاربة، ليس اللفظ الذي أورده الشيخ فيما اطلعت عليه منها، فروى البخاري ٤٧٨/٦ (رقم ٣٤٤٣) كتاب أحاديث الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) سورة مريم : ١٦، بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلاّت،، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد) وروى قبله من طريق آخر حديثا قريبا منه (رقم ٣٤٤٢)، ورواه مسلم ١٨٣٧/٤ (رقم ٢٣٦٥) كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام من ثلاثة طرق، وأبو داود ٤٣١/١٢—٤٣٢ كتاب السنة باب في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام، وأحمد (المسند ط. دار صادر) ٣١٩/٢، ٤٦، ٤٣٧، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٤١.
والعَلاَّت : جمع علّة، وهي الضرّة، وأصله أن الذي تزوج أخرى على أُولى قد كانت قبلها ــ نَاهِل ثم عَلّ من هذه، وإنما سميت علّة لأنها تعل بعد صاحبتها من العللِ، والعَلَلُ : الشرب الثاني أو الشرب بعد الشرب، والنهل : الشرب الأول، وبنو العَلاّتِ : بنو رجل واحد من نسوة شتى، وهو ما بينته رواية البخاري هنا (أمهاتهم شتى ودينهم واحد). وفي معنى الحديث يقول ابن حجر [فتح الباري ٤٨٩/٦] «إنّ أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل : المراد أن أزمنتهم مختلفة». وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٩١/٣، لسان العرب، مختار الصحاح ، مادة «علل» و «نهل».

وهذا الدين هو دين الإسلام، الذي لا يقبل الله دينا غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام[١]، قال تعالى[٢] عن نوح[٣] : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ * فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٤)، وقال[٥] عن إبراهيم : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٦)، وقال عن موسى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾(٧)، وقال في خبر المسيح[٨] : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا واشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾(٩)، وقال فيمن تقدم من

(١) في (م) وضع هنا سهم يشير للهامش وكتب تعليقا : الذي لا يقبل الله دينا غيره صح.

(٢) ب ، ر ، ح : قال الله تعالى.

(٣) ب ، ت ، ر : نوح عليه السلام.

(٤) سورة يونس : ٧١، ٧٢. وقد ورد نص الآيتين في (غ) فقط، وتفاوتت النسخ الأخرى فيما أوردته منهما مشيرة إلى أن الاستشهاد إلى قوله (من المسلمين).

(٥) ب ، ت ، ر : وقال تعالى.

(٦) سورة البقرة : ١٣٠—١٣٢. في (ح) : (... إلا من سفه نفسه) إلى قوله (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) إلى قوله (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

(٧) سورة يونس : ٨٤.

(٨) ب : وقال عن عيسى.

(٩) سورة المائدة : ١١١.

الأنبياء : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾(١)، وقال عن بلقيس أنها قالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾(٢).

معنى الإسلام

فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا[٣] عن عبادته، والمشرك به والمستكبر[٤] عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده[٥].

وهذا[٦] دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت، فإذا أمر[٧] في أول الأمر باستقبال الصخرة، ثم أمر[٨] ثانيا[٩] باستقبال الكعبة، كان كل من الفعلين حين أمر به داخلا في دين[١٠] الإسلام، فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين، وإنما تنوّع بعض صور الفعل وهو وجهة[١١] المصلّي، فكذلك الرسل دينهم واحد[١٢]، وإن تنوعت الشرعة

---

(١) سورة المائدة : ٤٤ في (م ، ب ، ر) : (... الذين اسلموا) فقط.

(٢) سورة النمل : ٤٤.

(٣) ب ، ر : متكبرا.

(٤) ب ، ت : والمشرك والمستكبر ، ر : والمشرك والمستكبر به.

(٥) وطاعته وحده : سقطت من (ت).

(٦) وهذا : كذا في (غ) ، النسخ الأخرى : فهذا.

(٧) ب : وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل ما أمر به ونهى عنه يفعل ما أمر به في ذلك الوقت، ويجتنب ما نهى عنه، فإذ [كذا] أمر.

(٨) ب ، ح : أمرنا.

(٩) ثانيا : سقطت من (ب).

(١٠) دين : سقطت من (ح).

(١١) ر : وهي وجه، غ : وهي وجهة. وفي الهامش كتب : وجه، م ، ح : وهو وجه. لكن في هامش (م) كتب : جهة وفوقها حرف (خ).

(١٢) دينهم واحد : سقطت من (ح).

والمنهاج والوجهة[1] والمنسك، فإن ذلك لا يمنع[2] أن يكون الدِّين واحدا، كما لم يمنع[2] ذلك في شرعة[3] الرسول الواحد[4].

أول الرسل يبشر بآخرهم وآخرهم يصدق بأولهم

والله تعالى جعل[5] من[6] دين الرسل أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن به، وآخرهم يصدق[7] بأولهم ويؤمن به، قال تعالى[8] : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(٩)، قال ابن عباس [رضي الله عنهما[10]] : لم يبعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنه، (١١[وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ١١)](١٢).

(١) ر ، ح : والوجه.
(٢) ب : يمتنع.
(٣) شرعة : كذا في (غ) ، وفي النسخ الأخرى : شريعة.
(٤) ت : الرسول صلى الله عليه وسلم الواحد.
(٥) ب : يجعل.
(٦) من : سقطت من (ت).
(٧) ب ، ر : مصدق.
(٨) كذا في (غ) ، وفي النسخ الأخرى : قال الله تعالى.
(٩) سورة آل عمران : ٨١.
(١٠) رضي الله عنهما : زيادة من (ت).
(١١-١١) ما بينهما ليس في (غ ، ب).
(١٢) أخرج ابن جرير في تفسيره (ط. دار المعارف) ٥٥٥/٦، ٥٥٦ نحوا من هذا الأثر عن علي بن أبي طالب وعن السدي، وفي ٥٥٦/٦-٥٥٧ مختصرا بمعناه عن ابن عباس، وأورد الأثر كما هنا تقريبا ابن كثير في تفسيره ١٧/٢ عن علي بن أبي طالب وابن عباس، وأورده في البداية والنهاية ٣٣٥/١ عن ابن عباس أيضا وقال : ذكره البخاري عنه. وأورد ابن حجر في فتح الباري ٤٣٤/٦ شطره الأول دون قوله : وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته... الخ حديثا لابن عباس وقال : أخرجه البخاري.

وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾(١).

تلازم الإيمان بالرسل

وجعل الإيمان بهم[٢] متلازما، وكفَّر من قال : إنه آمن ببعض وكفر ببعض، قال تعالى[٣] : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ باللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا ﴾(٤)، وقال تعالى[٥] : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٦)، وقد قال لنا : ﴿ قُولُوا آمَنَّا باللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ونَحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن

---

(١) سورة المائدة : ٤٨.

(٢) بهم : كذا في (غ) ، وسقطت من (ح)، وفي النسخ الأخرى : به.

(٣) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : قال الله تعالى.

(٤) سورة النساء : ١٥٠، ١٥١.

(٥) م : وقال الله تعالى.

(٦) سورة البقرة : ٨٥، في (ح) : (... أشد العذاب) إلى قوله : (تعملون).

كفر من بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقر بها

تَوَلَّوْا فإنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾(١) فأمرنا٢ أن نقول آمنا٣ بهذا كله ونحن له٤ مسلمون، فمن بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلما ولا مؤمنا، بل يكون كافرا، وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن.

كما ذكروا أنه لما أنزل الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾(٥) قالت اليهود والنصارى : فنحن مسلمون، فأنزل الله تعالى٦ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾(٧) فقالوا : لا نحج، فقال تعالى٨ : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾(٩).

فإن الاستسلام لله لا يتم إلا بالإقرار بما له على عباده من حج البيت، كما قال النبي١٠ صلى الله عليه وسلم : (بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦، ١٣٧.
(٢) ت : فأمرنا الله.
(٣) آمنا : سقطت من (ر).
(٤) ب ، ت ، ر : لله.
(٥) سورة آل عمران : ٨٥. المثبت في (ح)، وفي النسخ الأخرى : (... فلن يقبل منه) فقط.
(٦) تعالى : ليست في (ح).
(٧) سورة آل عمران : ٩٧.
(٨) ت ، ر : الله تعالى.
(٩) سورة آل عمران : ٩٧. انظر الطبري عند تفسير الآيتين (ط. دار المعارف) ٥٧١/٦، ٥٠/٧ فقد ذكر ذلك عن عكرمة مولى ابن عباس.
(١٠) النبي : ليست في (م ، ت ، ح).

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت)(١)، ولهذا لما وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة أنزل الله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾(٢).

الإسلام خاص وعام

وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا ؟ وهو نزاع لفظي، فإن الإسلام الخاص الذي بعث[٣] الله به محمدا صلى الله عليه وسلم، المتضمن لشريعة القرآن — ليس عليه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم[٤]، والإسلام[٥] اليوم عند الإطلاق يتناول هذا، وأما الإسلام العام[٦]، المتناول لكل شريعة بعث[٧]

---

(١) رُوي هذا الحديث من غير وجه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في صحيح البخاري ١/٩ (رقم ٨) كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، صحيح مسلم ١/٤٥ (رقم ١٦) كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، سنن النسائي ٨/٩٥ كتاب الإيمان وشرائعه، باب على كم بني الإسلام، جامع الترمذي ٧/٢٤٠ أبواب الإيمان، باب ما جاء بني الإسلام على خمس، مسند أحمد (ط. دار المعارف) ٩/١٣٣ (رقم ٦٣٠١) وانظر الأرقام ٤٧٩٨، ٥٦٧٢، ٦٠١٥.

(٢) سورة المائدة : ٣. أخرج البخاري ١/١٠٥ (رقم ٤٥) كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه، وكرر بالأرقام (٤٤٠٧، ٤٦٠٦، ٧٢٦٨)، مسلم ٤/٢٣١٢—٢٣١٣ (رقم ٣٠١٧) كتاب التفسير في فاتحته، الترمذي ٨/٤٠٧—٤٠٨ تفسير القرآن، سورة المائدة، أحمد (ط. دار المعارف) ١/٢٣٧ (رقم ١٨٨) وكرر (برقم ٢٧٢) عن طارق بن شهاب قال : قال رجل من اليهود لعمر : يا أمير المؤمنين لو أن علينا نزلت هذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. فقال عمر : إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة في يوم جمعة) هذا أحد ألفاظ البخاري.

(٣) غ : نعت.

(٤) صلى الله عليه وسلم : ليست في (ت).

(٥) ب ، ر : وهو الإسلام.

(٦) ر : العالم.

(٧) ب : يبعث.

الله بها نبيا من الأنبياء[١] — فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء.

بعث الرسل بالدعوة إلى توحيد العبادة

ورأس الإسلام مطلقا شهادة أن لا إله إلا الله، وبها بعث الله[٢] جميع الرسل، كما قال تعالى[٣] : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٥)، وقال [تعالى[٦]] عن الخليل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٧) وقال تعالى[٨] عنه : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُم تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ ﴾(٩)، وقال تعالى[١٠] : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُم وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُم وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ والبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾(١١)، وقال تعالى[١٢] : ﴿ واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

---

(١) من الأنبياء : في (غ ، م) وعلقت في (م) بالهامش، وسقطت من النسخ الأخرى.
(٢) الله : ليست في (ح).
(٣) م ، ر : كما قال الله تعالى.
(٤) سورة النحل : ٣٦.
(٥) سورة الأنبياء : ٢٥.
(٦) تعالى : ليست في (غ ، م ، ح).
(٧) سورة الزخرف : ٢٦—٢٨.
(٨) م : وقال الله تعالى.
(٩) سورة الشعراء : ٧٥—٧٧.
(١٠) تعالى : ليست في (م ، ت ، ر).
(١١) سورة الممتحنة : ٤.
(١٢) تعالى : في (غ) فقط.

رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾(١)، وذكر عن رسله : كنوح وهود وصالح وغيرهم أنهم قالوا لقومهم : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ ﴾(٢)، وقال[٣] عن أهل الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَـٰهاً لَّقَدْ قُلْنَا إذاً شَطَطاً * هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾(٤)، وقد قال سبحانه وتعالى[٥] : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(٦) ذكر[٧] ذلك في موضعين من كتابه.

وقد بين في كتابه الشرك بالملائكة، والشرك بالأنبياء، والشرك بالكواكب، والشرك بالأصنام — (٨ وأصل الشرك، الشرك بالشيطان ٨) — فقال عن النصارى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ والمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَـٰهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٩) وقال تعالى :

---

(١) سورة الزخرف : ٤٥.

(٢) سورة الأعراف : ٥٩، ٦٥، ٧٣.

(٣) ت : وقال تعالى.

(٤) سورة الكهف : ١٣—١٥. في (ح) : (... إذا شططا) إلى قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا).

(٥) ت : وقد قال تعالى ، ح : وقد قال سبحانه.

(٦) سورة النساء : ٤٨ ، ١١٦.

(٧) ر : وذكر.

(٨ — ٨) ما بينهما في (غ ، م) فقط وكتب في (م) بالهامش، وسقط من النسخ الأخرى.

(٩) سورة التوبة ٣١.

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾(١)، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُم تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُم تَدْرُسُونَ * وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٢)، فبيّن أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر.

إقرار عامة المشركين بتوحيد الربوبية

ومعلوم أن أحدا من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان أو المسيح بن مريم[٣] شاركوا الله في خلق السموات والأرض، بل[٤] ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلـٰها مساويا لله في جميع صفاته، بل عامة[٥] المشركين بالله مقرّون بأنه ليس شريكه مثله[٦]، بل عامتهم مقرون[٧] أن الشريك مملوك له سواء كان ملكا أو نبيا

---

(١) سورة المائدة : ١١٦، ١١٧. في (ب ، ر) : (... ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا)، وفي (ت) : (... ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) الآية.

(٢) سورة آل عمران : ٧٩، ٨٠. في (ح) : (... من دون الله) إلى قوله (ولا يأمركم... بعد إذ أنتم مسلمون).

(٣) كذا في (غ)، ح : والرهبان ومريم، النسخ الأخرى : والرهبان أو مريم.

(٤) بل : سقطت من (ب ، ت ، ر).

(٥) ح : .. صفاته، وعامة.

(٦) م : بأنه ليس له شريك مثله، ب : مقررون بالله ليس شريك له، ر : مقرون بالله ليس شريكه مثله.

(٧) مقرون : كذا في (غ ، ب) ، النسخ الأخرى : يقرون.

أو كوكبا أو صنما، كما كان[١] مشركو العرب يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك، إلا شريكا[٢] هو لك، تملكه وما ملك، فأهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد، فقال[٣] : (لبيك اللهم لبيك، [لبيك[٤]] لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك[٥]، لا شريك لك)(٦).

وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والاخرين في الملل والنحل والأراء والديانات، فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في[٧] خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع

---

(١) كذا في (ح)، وفي النسخ الأخرى : كانت.

(٢) كذا في (ت ، ح) ، غ : إلا لشريك، وفي النسخ الأخرى : إلا شريك.

(٣) م ، ح : وقال.

(٤) لبيك : سقطت من (غ).

(٥) ب ، ر : والملك لك.

(٦) في صحيح مسلم ٢/٨٤٣ (رقم ١١٨٥) كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك لك، قال : فيقول رسول الله ﷺ : (ويلكم ! قد ، قد). فيقولون : إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، يقولون هذا، وهم يطوفون بالبيت.

وفي صحيح مسلم ٢/٨٨٦ــ٨٩٢ (رقم ١٢١٨) كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، وسنن أبي داود ٥/٣٦٠ــ٣٨٥ كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ومسند أحمد (ط. دار صادر) ٣/٣٢٠ حديث جابر بن عبد الله، الطويل في وصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه : (... فأهلّ بالتوحيد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).

في شرح النووي لصحيح مسلم ٨/٩٠ «قدْ قدْ. قال القاضي روي باسكان الدال وكسرها مع التنوين، ومعناه : كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا».

(٧) م : شريك مشارك في ، ت : شريك يشاركه في.

الصفات، بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول الثنوية(١)، الذين يقولون بالأصلين : النور والظلمة، وأن[٢] النور خلق الخير، والظلمة[٣] خلقت الشر، ثم ذكروا لهم في الظلمة قولين : أحدهما أنها محدثة، فتكون من جملة المخلوقات له[٤]، والثاني أنها قديمة، لكنها لم تفعل إلا الشر، فكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن[٥] النور.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى[٦] عن المشركين من إقرارهم بأن الله خالق المخلوقات ما بيّنه في كتابه، فقال تعالى[٧] : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾(٨)، وقال تعالى : ﴿ **قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُم تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَـوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ**

---

(١) غ : بل من أعظم ما يقولونه في ذلك السوبه [كذا بدون نقط] وانظر عن الثنوية : أصول الدين للبغدادي ص ٥٣ـــ٥٤، ٥٩، ٨٢، ٨٣، ١٢٥، الملل والنحل ٧٢/٢ـــ٩١، الحور العين ص ١٣٥ـــ١٤٣، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٦ـــ٨٩، الخطط للمقريزي ٣٤٤/٢.

(٢) غ : فإن.

(٣) ر : وأن الظلمة.

(٤) له : سقطت من (ت).

(٥) ر : وعن.

(٦) كذا في (غ) ، ت : وقد أخبر الله، النسخ الأخرى : وقد أخبر سبحانه.

(٧) تعالى : ليست في (ب ، ح).

(٨) سورة الزمر : ٣٨.

إن كُنتُم تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فأنَّى تُسْحَرُونَ ﴾(١) إلى قوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٢) وقد قال تعالى[٣] ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم باللَّهِ إلا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾(٤).

توحيد المتكلمين

وبهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمى « التوحيد »، فإن عامة المتكلمين[٥] الذين يقرّرون[٦] التوحيد في كتب الكلام والنظر — غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون : هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته [(٧لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم٧)] هو الثالث[٨] : وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه[٩] من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد

(١) سورة المؤمنون : ٨٤—٨٩. وترك ابن تيمية بعد هذه الآيات والآية الآتية آية واحدة هي قوله تعالى : (بَلْ أَتَيْنَاهُم بالحَقِّ وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ).
(٢) سورة المؤمنون : ٩١.
(٣) كذا في (غ)، م : وقال الله تعالى، ح : وقال، النسخ الأخرى :وقال تعالى.
(٤) سورة يوسف : ١٠٦.
(٥) ت : .. التوحيد في كلام عامة المتكلمين، ر : التوحيد في عامة المتكلمين.
(٦) ب : يقرون.
(٧—٧) ما بينهما سقط من (غ).
(٨) ت : هو النوع الثالث.
(٩) غ : يدركونه.

المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا : لا إله إلا الله، حتى قد يجعلون[١] معنى الإلـٰهية[٢] القدرة[٣] على الاختراع(٤).

بيان غلطهم :
١ — قولهم : هو واحد في أفعاله لا شريك له.

ومعلوم أن المشركين من العرب[٥] الذين[٦] بُعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولا — لم يكونوا يخالفونه[٧] في هذا[٨]، بل كانوا يقرّون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهم كانوا مقرين[٩] بالقدر أيضا، وهم مع هذا مشركون.

---

(١) م ، ر ح : يجعلوا.
(٢) غ : الاهية.
(٣) ب : والقدرة.
(٤) انظر مثلا الشهرستاني في كتابه «نهاية الإقدام في علم الكلام» ص ٩٠، فتحت عنوان : «القاعدة الثالثة في التوحيد» يقرر التوحيد على هذا النحو، ثم يقول ص ٩١—٩٢ «ودلالة التمانع في القرآن مسرودة على من يثبت خالقا من دون الله سبحانه وتعالى قال الله تعالى : (إذاً لذهب كل إلـٰه بما خلق) سورة المؤمنون : ٩١ وعن هذا صار أبو الحسن [يعني الأشعري] رحمه الله إلى أن أخص وصف الإلٰه هو القدرة على الاختراع فلا يشاركه فيه غيره ومن أثبت فيه شركة فقد أثبت إلـٰهين.
فدليلنا على استحالة وجود إلـٰهين أنا إذا فرضنا الكلام في جسم وقدّرنا من أحدهما إرادة تحريكه ومن الثاني إرادة تسكينه في وقت واحد لم يخل الحال من أحد ثلاثة أمور : إما أن تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى اجتماع الحركة والسكون في محل واحد في حالة واحدة وذلك بيّن الاستحالة، وإما أن لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجز وقصور في إلـٰهية كل واحد منهما وخلو المحل عن الضدين وذلك أيضا بيّن الاستحالة، وإما أن تنفرد إرادة أحدهما دون الثاني فيصير الثاني مغلوبا على إرادته ممنوعا من فعله مضطرا في إمساكه وذلك ينافي الإلهية....»
(٥) من العرب : سقطت من (ت).
(٦) م : الذي.
(٧) ت : لم يكونوا يخالفون لم يكونوا يخالفون.
(٨) في هذا : سقطت من (ر).
(٩) مقرين : كذا في (غ) ، النسخ الأخرى : يقرون.

وقد تبين[١] أن ليس في العالم من ينازع[٢] في أصل هذا الشرك، ولكن غاية ما يقال: إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقا لغير الله[٣]، كالقدرية وغيرهم، لكن هؤلاء يقرون بأن[٤] الله خالق العباد وخالق قدرتهم، وإن قالوا : إنهم خالقوا[٥] أفعالهم.

وكذلك أهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون[٦] بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور، فهم[٧] مع الإقرار بالصانع يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة، لا يقولون إنها غنيّة عن الخالق، مشاركة له[٨] في الخلق.

فأما من أنكر الصانع فذلك[٩] جاحد معطِّل[١٠] للصانع، كالقول الذي أظهره[١١] فرعون، والكلام الآن[١٢] مع المشركين بالله المقرِّين بوجوده، فإذاً[١٣] هذا التوحيد الذي قرروه[١٤] لا ينازعهم فيه هؤلاء المشركون، بل يقرون به[١٥] مع أنهم مشركون، كما ثبت بالكتاب[١٦] والسنة

(١) غ : ويبين.
(٢) ب : تنازع.
(٣) ت : لغير الله تعالى.
(٤) غ : أن.
(٥) خالقوا : كذا في (غ) ، النسخ الأخرى : خلقوا.
(٦) ح : يجعلون أن.
(٧) ت : وهم، ح : هم، وسقطت من (ب ، ر)..
(٨) ت : مشاركته.
(٩) فذلك : كذا في (غ)، النسخ الأخرى : فذاك.
(١٠) معطل : سقطت من (ب).
(١١) م ، ح : أظهر.
(١٢) ت : اليوم.
(١٣) م ، ت ، ح : فإن.
(١٤) غ : قرره.
(١٥) ب : بل يقرونه.
(١٦) ب ، ت ، ر : في الكتاب.

والإجماع، وكما علم بالاضطرار من دين الإسلام.

٢ ـ قولهم : هو واحد في صفاته لا شبيه له

وكذلك النوع الثاني، وهو قولهم : لا شبيه له في صفاته، فإنه ليس في الأمم من أثبت قديما مماثلا له في ذاته سواء[١] قال : إنه مشاركه[٢]، أو قال : إنه لا فعل له، بل من شبّه به شيئا من مخلوقاته فإنما[٣] يشبّهه به في بعض الأمور.

وقد عُلم بالعقل امتناع أن يكون له مِثْلٌ في المخلوقات، يشاركه فيما يجب أو يجوز أو يمتنع[٤]، فإن ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين كما تقدم، وعلم أيضا بالعقل[٥] أن كل موجودَيْن قائمين بأنفسهما فلا بدّ بينهما من قدر مشترك، كاتفاقهما في مسمى «الوجود» و «القيام بالنفس»[٦] و «الذات» ونحو ذلك، وأن[٧] نفي ذلك يقتضي التعطيل المحض، وأنه لا بدّ من إثبات خصائص الربوبية. وقد تقدم[٨] الكلام على ذلك(٩).

التوحيد عند أصناف الجهمية

ثم إن الجهمية[١٠] من المعتزلة وغيرهم أدرجوا نفي الصفات في مسمى «التوحيد» [١١]، فصار من قال : إن لله علما أو قدرة [١٢]، أو إنه

---

(١) ب : مماثلا له في كتابه سواء ، ح : مماثلا له في الاستواء.
(٢) م ، ر : شاركه، ت ، ح : يشاركه.
(٣) ت : فإنه إنما.
(٤) كذا في (ب ، ت) ، ر : أن يمتنع، النسخ الأخرى : أو يمتنع عليه.
(٥) م : أن بالعقل.
(٦) غ : والقيام في النفس.
(٧) غ : فإن.
(٨) ت : وتقدم. [بسقوط قد].
(٩) صفحة ١٢٤ــ١٢٨، ١٤٤ــ١٤٦.
(١٠) ر : ثم الجهمية، ب ، ت : .. على ذلك وأن الجهمية.
(١١) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : في مسمى ذلك. لكن في (م) كتب في الهامش : التوحيد. وفوقها حرف (خ).
(١٢) غ : وقدرة.

يُرى في الآخرة[١]، أو إن القرآن كلام الله منزّل[٢] غير مخلوق — يقولون : إنه مشبِّه ليس بموحد[٣].

وزاد عليهم غلاة [الجهمية و[٤]] الفلاسفة والقرامطة فنفوا أسماءه الحسنى، وقالوا : من قال : إن الله عليم قدير[٥] عزيز حكيم، فهو مشبِّه ليس بموحد[٦].

وزاد[٧] غلاة الغلاة[٨]، وقالوا : لا يوصف بالنفي ولا الإثبات[٩]، لأن في كل منهما تشبيها له[١٠].

وهؤلاء[١١] [كلهم][١٢] وقعوا من[١٣] جنس التشبيه فيما هو شر ممّا فروا منه، فإنهم شبّهوه بالممتنعات والمعدومات والجمادات فرارا من تشبيههم — بزعمهم — له[١٤] بالأحياء.

---

(١) في الآخرة : في (غ ، م) فقط.
(٢) منزل : في (غ ، م) فقط.
(٣) غ : بموجود. وكتب في الهامش : لعله ليس بموحد.
(٤) الجهمية و : في (م) فقط.
(٥) ب ، ر : إن الله قدير عليم.
(٦) غ : بموجود. وتركت دون تصحيح.
(٧) ب ، ر ، ح : وزاد عليهم.
(٨) الغلاة : كذا في جميع النسخ، لكن في (غ) وضع فوق الكلمة ما يشير إلى الهامش وكتب فيه : النفاة.
(٩) غ : ولا بالإثبات، ب ، ت : لا يوصف لا بالنفي ولا الإثبات، ر : لا يوصف إلا بالنفي ولا الإثبات.
(١٠) له : سقطت من (ت).
(١١) م : فهؤلاء.
(١٢) كلهم : سقطت من (غ).
(١٣) غ : وقعوا في.
(١٤) له : سقطت من (ح).

ومعلوم أن هذه الصفات الثابتة لله لا تثبت له[1] على حد ما[2] يثبت[3] لمخلوق أصلا، وهو سبحانه وتعالى[4] ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا فرق بين إثبات الذات وإثبات الصفات، فإذا لم يكن في إثبات الذات إثبات مماثلة[5] للذوات[6] لم[7] يكن في إثبات الصفات إثبات مماثلة له في ذلك. فصار هؤلاء الجهمية المعطلة يجعلون هذا توحيدا، ويجعلون مقابل[8] ذلك التشبيه، ويسمون نفوسهم « الموحِّدين».

٣ ـــ قولهم : هو واحد في ذاته لا قسيم له

وكذلك النوع الثالث، وهو قولهم : هو واحد لا قسيم له[9] في ذاته، أو لا[10] جزء له، أو لا[11] بعض له ـــ لفظ مجمل، فإن الله سبحانه وتعالى[12] أحد[13] صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فيمتنع[14] أن يتفرق، أو يتجزأ[15]، أو يكون قد رُكِّب من أجزاء،

---

(١) ر : لا تثبت به.
(٢) ما : سقطت من (ب).
(٣) ت : ما تثبت ، ر ، ح : ما ثبت، وفي (م) أدخل عليها تعديل بعد كتابتها بحيث أصبحت محتملة لأن تقرأ : ما ثبت. أو : المثبت. وكتب في الهامش : لعله تثبت.
(٤) وتعالى : في (غ) فقط.
(٥) ت : مماثلته.
(٦) ب ، ر ، ح : الذوات.
(٧) ب : ولم.
(٨) كذا في (ت ، ح)، وفي النسخ الأخرى : مقابلة.
(٩) غ ، ب ، ر : لا قسم له.
(١٠) ت : ولا.
(١١) م ، ب ، ت : ولا.
(١٢) كذا في (غ) ، ت : فإن الله، النسخ الأخرى : فإن الله سبحانه.
(١٣) م : واحد.
(١٤) كذا في (غ)، النسخ الأخرى : فيمتنع عليه.
(١٥) م : ويتجزأ، ح : أو يتحيز.

لكنهم يدرجون في هذا اللفظ نفي علوه على عرشه[1] ، ومباينته لخلقه، وامتيازه عنهم، ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه[2] وتعطيله، ويجعلون ذلك من التوحيد.

فقد تبين أن ما يسمونه « توحيدا » فيه ما هو حق وفيه ما هو باطل، ولو كان جميعه حقا، فإن المشركين إذا أقروا[3] بذلك [كله[4]] لم يخرجوا [فيه[5]] من الشرك الذي وصفهم الله به في القرآن[6]، وقاتلهم عليه الرسول[7] صلى الله عليه وسلم، بل لا بدّ أن يعترفوا بأنه[8] لا إله إلا الله.

معنى « الإلـــه »

وليس المراد بـ «الإلـه» هو القادر على[9] الاختراع، كما ظنّه من [ظنّه من][10] أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع[11]، وأن من أقر بأن[12] الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أنه[13] لا إله إلا هو[14]، فإن المشركين كانوا يقرُّون بهذا وهم

(١) ب ، ت ، ر : على العرش.
(٢) ب : لنفسه.
(٣) م : إذ اقروا.
(٤) كله : ليست في (غ ، ب ، ت).
(٥) فيه : في (ر) فقط.
(٦) كذا في (غ) ، ح : وصفهم به في القرآن، النسخ الأخرى : وصفهم به القرآن.
(٧) ت : رسول الله.
(٨) غ : أنه.
(٩) القادر على : سقطت من (ب).
(١٠) ظنه من : سقطت من (غ).
(١١) غ : هي القدرة على الاختراع دون غيره.
(١٢) ت : أن.
(١٣) أنه : كذا في (غ)، النسخ الأخرى : أن.
(١٤) ت : إلا الله.

مشركون، كما تقدم بيانه (١). بل الإلـٰه الحق هو الذي يستحق أن[٢] يُعبَد فهو إلـٰهٌ بمعنى مألوه، لا إلـٰه[٣] بمعنى آلِه. والتوحيد أن يعبد[٤] الله وحده [لا شريك له[٥]]، والإشراك أن يجعل[٦] مع الله[٧] إلـٰها آخر.

وإذا تبين أن غاية[٨] ما يقرّره[٩] هؤلاء النظار، أهل الإثبات للقدر، المنتسبون إلى السنة، إنما هو توحيد الربوبية، وأن[١٠] الله رب كل شيء، ومع هذا فالمشركون كانوا مقرّين[١١] بذلك مع أنهم مشركون — فكذلك[١٢] طوائف من أهل التصوف(١٣)، المنتسبين[١٤] إلى المعرفة والتحقيق والتوحيد، غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود[١٥] هذا توحيـد الصوفيـة

(١) صفحة ١٧٨، ١٨٠.
(٢) ح : بأن.
(٣) إله : سقطت من (ب ، ح) ، م : لا أنه.
(٤) م ، ح : تعبد.
(٥) لا شريك له : سقطت من (غ).
(٦) م ، ح : تجعل.
(٧) ت : معه.
(٨) غ : أن عامة.
(٩) ر : ما يقدره.
(١٠) غ : فإن.
(١١) م : يقرون.
(١٢) ح : وكذلك.
(١٣) ر : التوصف. وقد حقق ابن تيمية القول في «الصوفية» من حيث أصل اللقب واشتقاقه، ونشأة التصوف وتطوره، وهل تمدح طريقة الصوفية أو تذم، وكيف انتسب إليهم طوائف من أهل البدع، وأن كثيرا من متأخريهم قالوا بالحلول أو ما يناسبه. انظر مجموع الفتاوى (ط. الرياض) ١١/٥—٧، ١٦—٢٠، ١٠/٨٢—٨٣، ٣٥٨—٣٥٩، ٣٧٠، ٢/٢٩٤—٢٩٩.
(١٤) غ ، م ، ح : والمنتسبين.
(١٥) ب ، ت ، ر : مشهود.

التوحيد، وهو أن[1] يشهد[2] أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، لا سيما إذا غاب العارف(٣) بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته، ودخل في فناء توحيد الربوبية، بحيث يفنى[4] من لم يكن، ويبقى[5] من لم يزل(٦). فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها[7]، ومعلوم أن هذا هو تحقيق[8] ما أقر [به[9]] المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلما، فضلا عن أن يكون وليا لله أو من[10] سادات الأولياء.

وطائفة من أهل التصوف[11] والمعرفة يقرّون[12] هذا التوحيد مع

---

(١) ب : هو أن [بسقوط الواو] ، ح : وأن [بسقوط هو].

(٢) م ، ح : تشهد.

(٣) ذكر القشيري [الرسالة القشيرية ، ص ١٥٤] مجموعة أمور لا بد من توفرها حتى تحصل للإنسان عند الصوفية صفة المعرفة والتسمية بالعارف وقال في آخرها : «وفي الجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل» ويقول ابن عربي [رسالة في اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية طبعت ملحقة بآخر كتاب التعريفات للجرجاني (الدار التونسية للنشر ١٩٧١ م) ص ١٤٢]، «العارف : من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال على نفسه، والمعرفة حاله».

(٤) غ : ينفى، ر : نفى.

(٥) غ : ويفنى ، ت : وبقي.

(٦) في مجموع فتاوى ابن تيمية (ط. الرياض) ٢١٩/١٠ يحكي الشيخ هذا المذهب موضحا لمصطلحاته، يقول : «... حتى يفنى من لم يكن وهي المخلوقات المعبّدة ممن سواه، ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى، والمراد فناؤها في شهود العبد وذكره، وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدها» وانظر أيضا ١٩٩/١٣ من المجموع المذكور.

(٧) كذا في (غ ، ح)، وفي النسخ الأخرى : وراها.

(٨) ت : هو توحيد.

(٩) به : سقطت من (غ).

(١٠) غ : ومن.

(١١) ر : التوصف.

(١٢) كذا في (غ ، ب)، وفي النسخ الأخرى : يقررون.

إثبات الصفات، فيفنون[1] في توحيد الربوبية مع[2] إثبات الخالق للعالم[3] المبائن لمخلوقاته.

وآخرون يضمّون هذا(٤) إلى نفي الصفات فيدخلون في التعطيل[5] مع هذا. [وهذا][6] شرّ من حال كثير من المشركين.

إشارات إلى مواقع بعض الرجال والفرق وقربها وبعدها من الحق

وكان جهم ينفي الصفات، ويقول بالجبر(٧)، فهذا تحقيق[8] قول جهم، لكنه إذا أثبت الأمر والنهي، والثواب والعقاب، فارق

(١) فيفنون : كذا في (م) ، غ : ويبقون ، ت : فيقفون ، النسخ الأخرى : فينفون.

(٢) ب : من.

(٣) غ : العالم.

(٤) أي الإقرار بتوحيد الربوبية.

(٥) غ : في التعطيل المحض.

(٦) وهذا : سقطت من (غ). وكتب في الهامش : كذا ولعل الصواب وهم مع هذا.

(٧) أورد ابن تيمية [مجموع الفتاوى ط. الرياض ١٠٣/٨ــ١٠٥] أقوال الأئمة أحمد ابن حنبل والثوري والأوزاعي وغيرهم في النهي عن إطلاق لفظ «الجبر» نفيا أو إثباتا، وعلل ذلك ١٣١/٨ــ١٣٢ بأنه لفظ مجمل فقد يراد به إكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه كما يقال : إن الأب يجبر المرأة على النكاح، والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبرا بهذا التفسير فإنه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله وليس ذلك جبرا بهذا الاعتبار. ويراد بالجبر خلق ما في النفوس من الاعتقادات والإرادات كما في الدعاء المأثور عن علي رضي الله عنه : جبار القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها والجبر ثابت بهذا التفسير». اهـ

والجبر في اصطلاح المتكلمين : هو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى، والجبرية صنفان : الجبرية الخالصة : وهي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا كجهم بن صفوان وأصحابه. الجبرية المتوسطة : وهذه تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة وتنسب الفعل إليها على جهة الكسب والمباشرة كالأشعرية. انظر :

الملل والنحل ١٠٨/١ــ١٠٩، ١٢٥، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٨، منهاج السنة ٣٥٨/١، مجموع فتاوى ابن تيمية (ط. الرياض) ١١٨/٨ــ١١٩، ١٢٨، ٢٢٨/١٣، الخطط للمقريزي ٣٤٩/٢، لسان العرب مادة «جبر»، التعريفات للجرجاني ص ٤٠، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي مادة «الجبر».

(٨) م : تحقق.

المشركين من هذا الوجه، لكنّ جهما[1] ومن اتبعه[2] يقول بالإرجاء(٣)،

(١) غ : جهم.
(٢) م ، ت : ومن تبعه.
(٣) الإرجاء لغة : التأخير، ومنه سميت المرجئة لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان.
ويجعل ابن تيمية [مجموع الفتاوى (ط. الرياض) ١٩٥/٧، ٥٤٣] المرجئة ثلاثة أصناف :
الأول : الذين يقولون : الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يقول هو المعرفة فقط كجهم بن صفوان وأبي الحسين الصالحي، ومنهم من يدخل فيه أعمال القلوب أو بعضها كالمحبة لله والخضوع له وهم أكثر فرق المرجئة كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه «مقالات الإسلاميين».
الثاني : من يقول هو مجرد قول اللسان، وهذا قول الكرامية.
الثالث : من يقول هو تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن بعض أهل الفقه مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما.
ويشير ابن تيمية حول هذه القضية إلى ثلاثة أمور مهمة :
الأول [فتاوى (ط. الرياض) ١٨١/٧] أن في بضع كلام الرادين على المرجئة وصفهم بأنهم يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب، وهذا قد يكون قول غاليتهم، لكن ما علمت معينا أحكى عنه هذا القول، وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يعينون قائله.
الثاني : [فتاوى (ط. الرياض) ٢٩٧/٧] أن الخلاف بين أبي حنيفة وبقية أهل السنة خلاف لفظي، وإلا فالجميع متفقون على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد.
الثالث : [فتاوى (ط. الرياض) ٥١٠/٧] أن أصل نزاع الفرق من الخوارج والمعتزلة والمرجئة والجهمية وغيرهم في الإيمان أنهم جعلوا الإيمان شيئا واحدا لا يتبعض، إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فالخوارج والمعتزلة قالوا : الطاعات كلها من الإيمان فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان، فذهب سائره، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان.
وقالت المرجئة والجهمية : ليس الإيمان إلا شيئا واحدا لا يتبعض إما مجرد تصديق القلب عند الجهمية أو تصديق القلب واللسان عند المرجئة، قالوا : لأنا إذا أدخلنا فيه الأعمال صارت جزءاً منه فإذا ذهبت ذهب بعضه فيلزم إخراج ذي الكبيرة من الإيمان وهو قول المعتزلة والخوارج. وانظر عن المرجئة أيضا : مقالات

=

فيضعف الأمر والنهي، والثواب والعقاب عنده[1].

والنجارية[2] والضرارية[3] وغيرهم يقربون من جهم في مسائل

الإسلاميين ١/٢١٣ــ٢٣٤، البدء والتاريخ ٥/١٤٤ــ١٤٥، التنبيه والرد للملطي ص ٤٣ــ٤٧، ١٤٥ــ١٥٦، الفرق بين الفرق ص ١٩٠ــ١٩٥، الفصل لابن حزم ٢/١١١ــ١١٢، ٤/٢٠٤، التبصير في الدين ص ٩٠ــ٩٢، الملل والنحل ١/١٨٦ــ١٩٥، الحور العين ص ٢٠٣ــ٢٠٤، الخطط للمقريزي ٢/٣٤٩ــ٣٥٠، لسان العرب مادة «رجأ».

(١) ب : عنه.

(٢) النجارية أتباع أبي عبد الله الحسين بن محمد النجار، لم أر من حدد تاريخ مولده أو وفاته، لكن ذكروا في سبب موته أنه كان له مع النظام (ت ٢٣١ هـ) مجالس ومناظرات، وأنه انصرف من إحداها معتلا فمات بعد ذلك.

عدّهم الأشعري من المرجئة، وعدّهم الشهرستاني من الجبرية، وقال عنهم ابن حزم [الفصل ٢/١١٢] : إنهم أقرب فرق المعتزلة إلى أهل السنة. ويقول الشهرستاني [الملل والنحل ١/١١٢، ١١٤] إنهم وافقوا المعتزلة في نفي الصفات، وفي القول بأنه يجب تحصيل المعرفة بالعقل قبل ورود السمع، انظر : مقالات الإسلاميين ١/٢١٦، ٣٤٠ــ٣٤٢، أصول الدين للبغدادي ص ٩١، ٣٣٤، الفَرق بين الفرق ص ١٩٥ــ١٩٨، الفهرست لابن النديم ص ١٧٩، التبصير في الدين ص ٩٣ــ٩٤، الملل والنحل ١/١٠٩، ١١٢ــ١١٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٨، الخطط للمقريزي ٢/٣٥٠ــ٣٥١، الأعلام ٢/٢٧٦.

(٣) الضرارية أتباع ضرار بن عمرو القاضي، لم أقف على تاريخ مولده وموته، يصنفهم بعض كتاب المقالات في الجبرية، وبعضهم في المعتزلة، ومن أبرز ما ذُكر عن ضرار قوله : إن معنى الله عالم قادر أنه ليس بجاهل ولا عاجز، وكذلك قال في سائر صفاته تعالى، وقوله : إن الله يخلق حاسة سادسة يوم القيامة للمؤمنين يرونه بها، وشك في دين عامة المسلمين وقال لا أدري لعل سرائرهم كفر وشرك، وأنكر حرف أُبي بن كعب وحرف ابن مسعود في القرآن وقال : إن الله لم ينزلهما. انظر : مقالات الإسلاميين ١/٣٣٩ــ٣٤٠، البدء والتاريخ ٥/١٤٦، أصول الدين للبغدادي ص ٣٣٩ــ٣٤٠، الفَرق بين الفِرق ص ٢٠١ــ٢٠٢، الفصل لابن حزم ٢/١١٢، ١٧٣ــ١٧٤، ٤/١٩٢، التبصير في الدين ص ٩٥، الملل والنحل ١/١٠٩، ١١٤ــ١١٦، الحور العين ص ٢٥٤، ٢٥٥، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٩، الخطط للمقريزي ٢/٣٤٩، لسان الميزان ٣/٢٠٣.

القدر والإيمان، مع مقاربتهم له [أيضا][1] في نفي الصفات.

والكُلاَّبية[2] والأشعرية خير من هؤلاء في باب الصفات، (٣فإنهم يثبتون لله الصفات٣) العقلية، وأئمتهم يثبتون الصفات الخبرية في الجملة[4]، كما[5] فصلت أقوالهم في غير هذا الموضع. وأما في باب القدر، ومسائل الأسماء والأحكام(٦) فأقوالهم متقاربة.

والكلابية هم[7] أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلّاب، (٨ الذي سلك الأشعري(٩) خلفه[10]، وأصحاب ابن كلاب٨)،

(١) ايضا : سقطت من (غ).

(٢) م : والكلائيه، ر : والكلالبية.

(٣ـــ٣) ما بينهما سقط من (ت).

(٤) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : الصفات الخبرية أيضا.

(٥) ب ، ر : كما قد.

(٦) مسائل الأسماء والأحكام هي أسماء الدين مثل مسلم ومؤمن، وكافر وفاسق... الخ وأحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة.

(٧) هم : ليست في (ب ، ت).

(٨ـــ٨) ما بينهما سقط من (ب).

(٩) أبو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق الأشعري (٢٦٠ـــ٣٢٤ هـ) إليه ينتسب الأشاعرة. انظر عنه وعن كتبه وآرائه :

أصول الدين للبغدادي ص ٨٩، ٩٠، ٩٧، ١٠٤، ١١٣، ١٢٣، ٢٤٨، ٢٥٥، ٣٠٩، الملل والنحل ١/١١٩ـــ١٣٧، تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ٣٤ـــ٤٣، ١٢٨ـــ١٣٧، ١٤٦، ١٤٨ـــ١٦٣، وفيات الأعيان ٣/٢٨٤ـــ٢٨٦، مجموع فتاوى ابن تيمية (ط. الرياض) ٣/٢٢٧ـــ٢٢٩، ٤/١٢ـــ٢٠، ٦/٥٢، ٥٣، ٥٥، ٣٥٨ـــ٣٦٠، ٧/١٢٠، ٥٠٩، ٨/٤٦٦ـــ٤٦٨، ١٢/٢٠٢ـــ٢٠٦، ١٣/٩٩، ١٦/٣٠٨ـــ٣٠٩، ٤٧١، طبقات الشافعية ٢/٢٤٥ـــ٣٠١، الخطط للمقريزي ٢/٣٥٨ـــ٣٦٠، الأعلام ٥/٦٩.

(١٠) ح : خطته.

كالحارث المحاسبي(١) وأبي العباس القلانسي(٢) ونحوهما — خير من الأشعرية في هذا وهذا، فكلما كان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل.

والكرامية(٣) [قولهم] في الإيمان قول منكر٤ لم يسبقهم إليه

(١) ب ، ر : كالحارث بن المحاسبي. وهو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) صوفي متكلّم. انظر عنه : طبقات الصوفية، ص ٥٦—٦٠، أصول الدين للبغدادي ص ٢٥٤، ٣٠٨، حلية الأولياء ١٠/٧٣—١١٠، الفهرست لابن النديم ص ١٨٤، تاريخ بغداد ٨/٢١١—٢١٦، الملل والنحل ١/٣٦، ١١٨، صفة الصفوة ٢/٢٠٧—٢٠٨، اللباب لابن الأثير ٣/١٠٣، مجموع فتاوى ابن تيمية (ط. الرياض) ٦/٥٢١—٥٢٢، ميزان الاعتدال ١/٤٣٠—٤٣١، طبقات الشافعية ٢/٣٧—٤٢، تهذيب التهذيب ٢/١٣٤—١٣٦، الطبقات الكبرى للشعراني ١/٧٥—٧٦، الأعلام ٢/١٥٣—١٥٤.

(٢) أبو العباس القلانسي من أصحاب ابن كلاب ومقارب له في آرائه لكن لم أقف له على ترجمة. انظر ما ورد عنه في :
أصول الدين للبغدادي، ص ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٧، ١٠٩، ١٢٣، ١٣٢، ٢٥٤، الفَرق بين الفِرق، ص ١١٥، ١٤٥، ٣٤٤، الملل والنحل ١/٣٦، ١١٨، تبيين كذب المفتري، ص ٣٩٨، طبقات الشافعية ٢/٥١، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار ١/٢٧٤—٢٨٠.

(٣) أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام (ت ٢٥٥ هـ) وهم يثبتون الصفات إلا أنهم ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه، ويثبتون القدر خيره وشره، وافقوا المعتزلة على القول بالتحسين والتقبيح العقليين، وبأن معرفة الله واجبة بالعقل قبل ورود الشرع، والإيمان عندهم هو الإقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الأعمال ولكن فرقوا بين تسمية المؤمن مؤمنا فيما يرجع إلى أحكام الظاهر والتكليف وفيما يرجع إلى أحكام الآخرة والجزاء، فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة. انظر :
مقالات الإسلاميين ١/٢٢٣، البدء والتاريخ ٥/١٤١، ١٤٥، أصول الدين للبغدادي ص ٧٧، ٨٨، ٩٣، ١٠٣، ١٠٦، ١١٢، ١٢٢، ١٦٧، ٢٥٠، الفَرق بين الفِرق ص ٢٠٢—٢١٤، الفصل لابن حزم ٤/٤٥، ٢٠٤، ٢٠٥، التبصير في الدين ص ٩٩—١٠٤ الملل والنحل ١/٣٧، ١٤٤—١٥٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٧، اللباب ٣/٣٢—٣٣، ميزان الاعتدال ٤/٢١—٢٢، الخطط للمقريزي ٢/٣٤٩، ٣٥٧، لسان الميزان ٥/٣٥٣—٣٥٦، الأعلام ٧/٢٣٦.

(٤) غ : والكرامية في الإيمان قول منكر. وكتب في الهامش : كذا ولعله لهم قول منكر.

أحد، حيث جعلوا الإيمان قول اللسان، وإن كان مع عدم تصديق القلب، فيجعلون المنافق مؤمنا، لكنه[١] يخلد في النار، فخالفوا الجماعة في الاسم دون الحكم. وأما في الصفات والقدر، والوعد[٢] والوعيد، فهم أشبه من أكثر[٣] طوائف الكلام التي في أقوالها مخالفة للسنة.

وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات، ويقاربون قول جهم[٤]، لكنهم ينفون القدر، فهم وإن عظموا الأمر والنهي، والوعد والوعيد، وغلوا فيه، فهم يكذّبون بالقدر[٥]، ففيهم نوع من الشرك من[٦] هذا الباب.

والإقرار بالأمر والنهي، والوعد[٧] والوعيد، ([٨]مع إنكار القدر، خير من الإقرار بالقدر مع إنكار الأمر والنهي والوعد والوعيد[٨])، ولهذا لم يكن في زمن الصحابة[٩] والتابعين من ينفي الأمر والنهي، والوعد والوعيد، وكان[١٠] قد نبغ[١١] فيهم القدرية(١٢)، كما نبغ[١١] فيهم الخوارج

---

(١) ر : ولكنه.
(٢) والوعد : في (غ، م) فقط، وسقطت من النسخ الأخرى.
(٣) أكثر : سقطت من (ب).
(٤) جهم : سقطت من (ب).
(٥) ت ، ر : القدر.
(٦) ر : في.
(٧) والوعد : سقطت من (ب).
(٨ـــ٨) ما بينهما سقط من (ت).
(٩) ر : ولهذا لم يكن من الصحابة.
(١٠) ح : فكان.
(١١) غ ، ب ، ر : تبع.
(١٢) في صحيح مسلم ٣٦/١ـــ٣٨ (رقم ٨) كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى. عن يحي بن يعمر أن أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني (ت ٨٠ هـ). وحكى يحي لعبد الله ابن عمر بن الخطاب قولهم : «إنهم يزعمون أن لا قَدَرَ وأن الأمر أُنُف» أي مستأنف لم يسبق به قدر [انظر القاموس المحيط مادة «الأنف»].

الحرورية(١)، وإنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخف[٢]، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة.

=

ويذكر ابن تيمية أنه كثر الخوض بعد ذلك في القدر فصار القائلون بهذا قلة، وصار النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد، انظر : مجموع الفتاوى (ط. الرياض) ٣٦/١٣-٣٧، وانظر فيما سيأتي تقسيم ابن تيمية للخائضين في القدر ص ٢٠٧-٢٠٨ وانظر ص ٢٠٩ ت ١٠.

(١) ح : الخوارج والحرورية. في معجم البلدان لياقوت ٢٥٦/٣ «حروراء بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة، قيل هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا عليا بن أبي طالب رضي الله عنه فنسبوا إليه». قلت : وكان ذلك بعد رجوع علي من صفين إثر اقتتال المسلمين واتفاقهم على التحكيم، وهو أول خروج لهم، لكن التكلّم ببدعتهم قد ظهر في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخبر عليه السلام بخروجهم وذكر صفاتهم، وحرّض على قتلهم ونوّه بقاتليهم. وللخوارج ألقاب أخرى، وهم فرق يتفق سائرها على القول بالتبرىء من عثمان وعلي رضي الله عنهما، وتكفير أصحاب الكبائر وخلودهم في النار، ووجوب الخروج على أئمة الجور. انظر :

صحيح البخاري ٢٨٢/١٢-٣٠٢ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، صحيح مسلم ٧٤٠/٢-٧٥٠ كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، باب التحريض على قتل الخوارج، باب الخوارج شر الخلق والخليقة. مقالات الإسلاميين ١٦٧/١-٢١٢، التنبيه والرد ص ٤٧-٥٤، ١٧٨-١٨٥، أصول الدين للبغدادي ص ١٧٥، ١٧٦، ٢٤٢، ٢٤٩-٢٥٠، الفرق بين الفرق، ص ٥٤-٩٢، الفصل لابن حزم ١١٣/٢، ١٨٨/٤-١٩٢، التبصير في الدين ص ٤٦-٥٩، الملل والنحل ١٥٥/١-١٨٦، الحور العين، ص ١٧٠-١٧٨، ٢٠٠-٢٠٢، ٢٧٣، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٤٦-٥١، مجموع فتاوى ابن تيمية (ط. الرياض) ٤٧٩/٧-٤٨٤، ٣٠/١٣-٣٣، ٣٥، ٤٨-٤٩، ٢٠٨، ٢١١، الخطط للمقريزي ٣٥٠/٢، ٣٥٤-٣٥٦، وانظر حوادث سنة سبع وثلاثين في تاريخ الطبري ٥٤/٤ وما بعدها، وفي تاريخ ابن كثير ٢٧٧/٧ وما بعدها.

(٢) ح : أخفى.

فهؤلاء المتصوفون الذين يشهدون الحقيقة[1] الكونية، مع إعراضهم عن الأمر والنهي[2] شر من القدرية المعتزلة ونحوهم[3]، أولئك يشبّهون بالمجوس[4]، وهؤلاء يشبّهون بالمشركين(٥) الذين قالوا[6] : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾(٧)، والمشركون شر من المجوس.

أصل الإسلام الشهادتان

فهذا[8] أصل عظيم، على المسلم أن يعرفه، فإنه أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر، وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

وقد وقع كثير من الناس في الإخلال[9] بحقيقة[10] هذين الأصلين، أو أحدهما، مع ظنه أنه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة، فإقرار المرء[11] بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله إن لم يقترن به إقراره بأنه لا إله إلا الله، فلا يستحق العبادة أحد إلا هو، وأن محمدا رسول الله، فيجب تصديقه فيما[12]

---

(١) ب : والحقيقة.
(٢) ر : عن النهي والأمر.
(٣) ت : ونحوه.
(٤) ت ، ح : المجوس.
(٥) م ، ت ، ح : المشركين. والإشارة بـ «أولئك» للقدرية المعتزلة وبـ «هؤلاء» للمتصوفة.
(٦) ب : يقولون.
(٧) سورة الأنعام : ١٤٨.
(٨) ت : فهنا.
(٩) ب ، ت : بالإخلال.
(١٠) ب : في حقيقة.
(١١) غ : المشترك. وأجري عليها تعديل لتصير : المشرك.
(١٢) م : بما.

أخبر، وطاعته فيما أمر، فلا بد[١] من الكلام في هذين الأصلين[٢].

معنى شهادة أن لا إله إلا الله

الأصل[٣] الأول : توحيد الإلهية، فإنه سبحانه وتعالى[٤] أخبر عن المشركين — كما تقدم — بأنهم أثبتوا وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتخذونهم[٥] شفعاء من دون الله تعالى[٦]، قال[٧] تعالى : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾(٨)، (٩فأخبر أن هؤلاء الذين اتخذوا هؤلاء الشفعاء[١٠] مشركون٩)، وقال تعالى[١١] عن مؤمن يٓس : ﴿ **وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ** ﴾(١٢)، وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا**

---

(١) ت : ولا بد.
(٢) م ، ت : الفصلين. وكذا في هامش (غ) وكتب فوقها حرف (خ).
(٣) الأصل : كذا في (ب ، ح)، وفي النسخ الأخرى : الفصل.
(٤) وتعالى : في (غ) فقط.
(٥) ويتخذونهم : سقطت من (م).
(٦) من دون الله تعالى : كذا في (ت)، م : من دون إذن الله، غ ، ح : بدون إذن الله، ب ، ر : بدون إذن الله تعالى.
(٧) ر : وقال.
(٨) سورة يونس : ١٨.
(٩—٩) ما بينهما سقط من (م ، ح).
(١٠) غ : شفعاء.
(١١) تعالى : ليست في (ح).
(١٢) سورة يس : ٢٢—٢٥. في (ب) : (.. ولا ينقذون إني آمنت بربكم فاسمعون)، ت : (... ولا ينقذون). الآية.

خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(١)، (*فأخبر سبحانه[٢] عن شفعائهم أنهم زعموا[٣] أنهم فيهم شركاء*)، وقال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ مَالَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ ﴾(٦).

وقد قال[٧] تعالى[٨]: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بإِذْنِهِ ﴾(٩)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بالقَوْلِ وَهُم بأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَى وَهُم مِّن

---

(١) سورة الأنعام: ٩٤. في (ت): (..انهم فيكم شركاء) الآية، وفي (ح): (.. انهم فيكم شركاء).

(*ــ*) ما بينهما سقط من (ح).

(٢) سبحانه: كذا في (غ، ح)، م: سبحانه وتعالى. وليست الجملة في باقي النسخ.

(٣) أنهم زعموا: سقطت من (م).

(٤) سورة الزمر: ٤٣، ٤٤.

(٥) سورة السجدة: ٤.

(٦) سورة الأنعام: ٥١.

(٧) م، ت، ح: وقال.

(٨) تعالى: ليست في (ب، ر).

(٩) سورة البقرة: ٢٥٥.

خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾(١)، وقال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَـٰوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إلا مِن بَعْدِ أن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾(٢)، وقال تعالى[٣] : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾(٤).

وقد قال[٥] تعالى[٦] : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾(٧)، قالت[٨] طائفة من السلف : كان أقوام[٩] يدعون عزيرا[١٠] والمسيح والملائكة، فأنزل الله تعالى[١١] هذه الآية[١٢] بيّن فيها أن الملائكة والأنبياء يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه(١٣).

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٦ـــ٢٨.
(٢) سورة النجم : ٢٦. والآية ليست في (ح).
(٣) تعالى : ليست في (ر).
(٤) سورة سبأ : ٢٢، ٢٣.
(٥) ت ، ح : وقال.
(٦) تعالى : ليست في (م ، ب ، ر).
(٧) سورة الإسراء : ٥٦، ٥٧.
(٨) كذا في (غ ، ب)، وفي النسخ الأخرى : قال.
(٩) ح : قوم.
(١٠) عزيرا : كذا في (ت)، وفي النسخ الأخرى : العزير.
(١١) تعالى : في (غ) فقط.
(١٢) الآية : سقطت من (ب).
(١٣) ذُكر ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. انظر تفسير الطبري ١٥/٧١ـــ٧٣، تفسير ابن كثير ٥/١٩٥ـــ١٩٦.

من تحقيق هذه الشهادة إفراد الله بجميع أنواع العبادة

ومن تحقيق التوحيد أن يُعلم[1] أن الله تعالى أثبت له حقا لا يشركه فيه مخلوق، كالعبادة والتوكل والخوف والخشية[2] والتقوى، قال[3] تعالى[4] : ﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً ﴾(٥)، وقال[6] تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ فاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾(٧)، وقال تعالى : (٨ ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾(٩)، وقال تعالى٨) : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(١٠) وكل [من أرسل][11] من الرسل يقول لقومه[12] : (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ)(١٣).

---

(١) م : تعلم.
(٢) والخشية : في (غ ، م) فقط.
(٣) ح : كما قال.
(٤) ب ، ت ، ر : الله تعالى.
(٥) سورة الإسراء : ٢٢. في (م ، ر) : فلا تدع مع الله إلها آخر..، وفي (ب) : فلا تدعو مع الله إلها آخر..، وفي (ح) : لا تدع مع الله إلها آخر.. وكلها خطأ.
(٦) ت ، ر : وقد قال.
(٧) سورة الزمر : ٢، ٣. في (ح) : (... مخلصا له الدين) فقط.
(٨ ــ ٨) ما بينهما سقط من (ح).
(٩) سورة الزمر : ١١.
(١٠) سورة الزمر : ٦٤ــ٦٦. في (ح) : (... أعبد أيها الجاهلون) إلى قوله (الشاكرين).
(١١) من أرسل : في (ت) فقط.
(١٢) لقومه : في (م ، ح) فقط.
(١٣) ذكر الله سبحانه ذلك عن نوح وهود وصالح وشعيب. انظر مثلا سورة الأعراف الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

وقد قال تعالى[1] في التوكل : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢)، ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٣) وقال تعالى[4] : ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٥)، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾(٦)، فقال في الإيتاء[7] ﴿ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾، وقال في التوكل : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ ولم يقل : ورسوله، لأن الإيتاء[8] هو الإعطاء الشرعي، وذلك يتضمن الإباحة والإحلال [الذي[9]] بلغه الرسول، فإن الحلال ما حلله[10]، والحرام ما حرّمه، والدين ما شرعه[11]، قال[12] تعالى[13] : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(١٤). وأما الحسب فهو الكافي، والله وحده كاف عبده، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

---

(١) تعالى : ليست في (م ، ب ، ر).
(٢) سورة المائدة : ٢٣.
(٣) سورة إبراهيم : ١٢. في (ح) (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) سورة إبراهيم : ١١.
(٤) تعالى : ليست في (م ، ح).
(٥) سورة الزمر : ٣٨.
(٦) سورة التوبة : ٥٩.
(٧) ب : الاتيا، ح : الاتيان.
(٨) ح : الاتيان.
(٩) الذي : سقطت من (غ).
(١٠) ح : ما أحله.
(١١) ب : ما يشرعه.
(١٢) كذا في (غ ، ح)، وفي النسخ الأخرى : وقال.
(١٣) تعالى : ليست في (ب ، ت).
(١٤) سورة الحشر : ٧.

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(١) ، فهو وحده حسبهم كلهم(٢) .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين هو الله، فهو كافيكم كلكم(٤) . وليس المراد أن الله والمؤمنين حسبك، كما يظنه بعض الغالطين، إذ هو وحده كاف نبيه وهو حسبه، ليس معه من يكون هو وإياه حسبا للرسول. وهذا في اللغة كقول الشاعر :

فحسبك والضحاكَ سيف مهند

وتقول العرب : حسبك وزيدا درهم، أي يكفيك وزيدا جميعا درهم(٥).

---

(١) سورة آل عمران : ١٧٣.

(٢) ت : وهو سبحانه حسبهم كلهم.

(٣) سورة الأنفال : ٦٤.

(٤) غ : فهو كافيهم كلهم.

(٥) فسر الآية بالتفسير الأول الطبري (ط. دار المعارف) ١٤/٤٨ــ٤٩، وابن كثير ٤/٩١ــ٩٢، ونقلاه عن الشعبي وابن زيد وغيرهما، واقتصر عليه ابن كثير، أما الطبري فذكر الرأي الثاني ونسبه لبعض أهل العربية.

وبيت الشعر هو كاملا :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاكَ سيف مهند

أورده بعض المفسرين في تفسير الآية، انظر مثلا : معاني القرآن للفراء ١/٤١٧، الكشاف للزمخشري ٢/١٦٧، تفسير الفخر الرازي ١٥/١٩١ــ١٩٢، وهو من شواهد كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢/٥٦٣، وانظر شرح شواهد المغني للسيوطي ٢/٩٠٠، وكل هؤلاء لم يسموا قائله.

لكن أورده أبو على القالي في ذيل الأمالي، ص ١٤٠ منسوبا لجرير، وادّعى عبد العزيز الميمنى في شرحه [سمط اللآلي ٣/٦٥] أن البيت «من عاثر الشعر، وأخاف أن أبا علي وهم فيه هنا».

وقال في الخوف والخشية والتقوى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾(١) فأثبت الطاعة لله وللرسول[٢]، وأثبت الخشية والتقوى لله وحده، (٣كما قال نوح عليه السلام : ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾(٤) فجعل العبادة[٥] والتقوى لله وحده٣)، وجعل الطاعة للرسول[٦]، فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله.

وقال[٧] تعالى : ﴿ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾(٨) وقال[٩] تعالى : ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١٠)وقال الخليل عليه السلام : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١١) قال الله

وساقه أبو علي في الأمالي ٢٦٢/٢ بدون عزو، ورجعت إلى شرحه لأبي عبيد البكري (سمط اللآلي ٨٩٩/٢) ولم يتكلم عليه بشيء فقال الميمني معلقا «نسبه القالي لجرير وعليه العهدة».

والبيت في ديوان جرير تحقيق الدكتور / نعمان محمد أمين طه ١١٠٤/٢ منقولا عن سمط اللآلي ٨٩٩/٢.

(١) سورة النور : ٥٢.

(٢) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : : والرسول.

(٣-٣) ما بينهما سقط من (ت).

(٤) سورة نوح : ٢، ٣.

(٥) ب : العباد.

(٦) كذا في (غ ، م) ، ح : وجعل الطاعة له وحده، النسخ الأخرى : وجعل الطاعة له.

(٧) كذا في (غ) ، وفي النسخ الأخرى. وقد قال.

(٨) سورة المائدة : ٤٤. في (ح) : (فلا تخشوا الناس وأخشون) فقط.

(٩) ب ، ر : وقد قال.

(١٠) سورة آل عمران : ١٧٥.

(١١) سورة الأنعام : ٨١.

تعالى[١] : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٢).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه[٣] أنه قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا[٤] : أيّنا[٥] لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي[٦] صلى الله عليه وسلم : (إنما هو الشرك، ألم[٧] تسمعوا إلى قول العبد الصالح : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٨)، وقال[٩] تعالى : ﴿ وَإِيَّايَ

(١) كذا في (غ ، ت) ، م : قال تعالى، النسخ الأخرى : وقال تعالى.

(٢) سورة الأنعام : ٨٢.

(٣) رضي الله عنه : كذا في (ت) ، ب ، ر : رضي الله عنهما، وليست الجملة في باقي النسخ.

(٤) كذا في (غ) ، ح : قالوا، النسخ الأخرى : فقالوا.

(٥) ح : قالوا وأيّنا.

(٦) ب ، ت ، ر : فقال رسول الله.

(٧) غ : أولم.

(٨) سورة لقمان : ١٣. والحديث في صحيح البخاري ٨٧/١ (رقم ٣٢) كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، ٣٨٩/٦ (رقم ٣٣٦٠) كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلا) «النساء : ١٢٥» ٤٦٥/٦ (رقم ٣٤٢٨، ٣٤٢٩) كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله) «لقمان : ١٢» ٢٩٤/٨ (رقم ٤٦٢٩) كتاب تفسير القرآن باب (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) «الأنعام :٨٢»، ٥١٣/٨ (رقم ٤٧٧٦) كتاب تفسير القرآن، باب (لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) «لقمان : ١٣»، ٢٦٤/١٢ (رقم ٦٩١٨) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، ٣٠٣/١٢ (رقم ٦٩٣٧) كتاب استتابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين، صحيح مسلم ١١٤/١ــ١١٥ (رقم ١٢٤) كتاب الإيمان باب صدق الإيمان وإخلاصه، جامع الترمذي ٤٤٠/٨ــ٤٤١ تفسير القرآن (سورة الأنعام)، مسند أحمد (ط. دار المعارف) ٢٠٧/٥ (رقم ٣٥٨٩) وأيضا الأرقام (٤٠٣١ ، ٤٢٤٠).

(٩) ب ، ت ، ر : وقد قال.

فَارْهَبُونِ ﴾(١)، ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾(٢).

ومن هذا الباب [أن(٣)] النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته : (من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئا)(٤)، وقال : (لا تقولوا

---

(١) سورة البقرة : ٤٠. في (غ ، م ، ح) : (فإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) سورة النحل: ٥١.

(٢) سورة البقرة : ٤١. المثبت في (م ، ت)، وفي النسخ الأخرى : فإياي فاتقون. وهو خطأ.

(٣) أن : سقطت من (غ).

(٤) ورد هذا اللفظ في أحد طرق حديث خطبة الحاجة وهو ما رواه أبو داود في سننه ٤٤٦/٣–٤٤٧ أبواب الجمعة، باب الرجل يخطب على قوس، ١٥٦/٦ كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح عن عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تشهد قال (الحمد لله نستعينه ونستغفره... من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا).

صحح النووي في شرح مسلم ١٦٠/٦ إسناده، ووفق بينه وبين حديث عدي ابن حاتم الذي رواه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد وهو أن رجلا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بئس الخطيب أنت، قل : ومن يعص الله ورسوله)، واستشهد به ابن حجر [فتح الباري ٦١/١] في شرح حديث (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..).

لكن المنذري [مختصر سنن أبي داود. تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي] ضعّفه، فقال ١٨/٢ : «في إسناده عمران بن دَاوَرَ أبو العوام القطان البصري، قال عفان : كان ثقة، واستشهد به البخاري، وقال يحي بن معين والنسائي : ضعيف الحديث، وقال يحى مرّة : ليس بشيء، وقال يزيد بن زريع : كان عمران حروريا وكان يرى السيف على أهل القبلة» وفي ٥٥/٣ قال : «في إسناده عمران بن دَاوَرَ القطان وفيه مقال» :

وتبعه الشوكاني في نيل الأوطار ٣٢٥/٣ فنقل كلامه في الموضع الأول.

لكن أحمد شاكر لم يرتض إعلال المنذري فقال معلقا في الموضع الثاني :

=

ما شاء الله وشاء محمد[1]، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد)[2].
ففي الطاعة قرن اسم الرسول باسمه بحرف « الـــواو »، وفي

=

«عمران القطان، أبو زريع ثقة كما أوضحناه في شرح المسند (رقم ٣٨١٨) وكان من أخص الناس بقتادة، وهذا الحديث من روايته عن قتادة».

أما الألباني فقد رد تصحيح النووي وإعلال المنذري وأعله بأبي عياض فقال في رسالة «خطبة الحاجة، ص ٢٢»، بعد أن ساقه : « وهذا سند ضعيف وعلته أبو عياض هذا وهو المدني، قال الحافظ في التقريب : هو مجهول».

هذا ويسلم لابن تيمية ما أراده من إيراد الحديث حيث قرن في وجوب الطاعة بين اسم الله واسم رسوله صلى الله عليه وسلم بحرف الواو والشواهد لهذا كثيرة قرآنا وسنة كما مر قبل قليل.

(١) وشاء محمد : سقطت من (ر) ، م ، ب : وما شاء محمد.

(٢) م ، ب : ثم ما شاء محمد.

في سنن ابن ماجه ٦٨٥/١ (رقم ٢١١٨) كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال : ما شاء الله وشئت، ومسند الإمام أحمد (ط. دار صادر) ٣٩٣/٥ عن سفيان بن عيينه عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني رأيت في المنام أني لقيت بعض أهل الكتاب فقال : نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (قد كنت أكرهها منكم فقولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد).

وعن أبي عوانه [سنن ابن ماجه ٦٨٥/١ (رقم ٢١١٨)] وحماد بن سلمة [مسند أحمد (ط. دار صادر) ٧٢/٥] وشعبة [سنن الدارمي ٢٩٥/٢] ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن الطفيل بن سَخْبَرَه أخي عائشة لأمها عن النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد. ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد) هذا لفظ الدارمي.

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» ص ١١٦، وابن ماجة في سننه ٦٨٤/١ (رقم ٢١١٧)، وأحمد في مسنده (ط. دار المعارف) ٢٥٣/٣ (رقم ١٨٣٩)، ٢٩٦/٣ (رقم ١٩٦٤)، ١٩٣/٤ (رقم ٢٥٦١)، ٨٥/٥ (رقم ٣٢٤٧) من طرق عن الأجلح عن يزيد ابن الأصم عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يراجعه الكلام فقال : ما شاء الله وشئت. فقال : (جعلتني لله عدلا (وفي لفظ ندا) ؟ بل ما شاء الله وحده).

فهذه الأحاديث يشهد بعضها لبعض، ولها أيضا شواهد أخرى.

المشيئة أمر أن يجعل ذلك[1] بحرف «ثم»، وذلك لأن[2] طاعة الرسول[3] طاعة لله[4]، فمن يطع[5] الرسول فقد أطاع الله، وطاعة[6] الله طاعة للرسول[7]. بخلاف المشيئة، فليست مشيئة أحد من العباد[8] مشيئة لله[9]، ولا مشيئة الله[10] مستلزمة لمشيئة[11] العباد، بل ما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما شاء[12] الناس لم يكن إلا أن يشاء الله[13].

معنى شهادة أن محمدا رسول الله

الأصل الثاني[14] : حق الرسول صلى الله عليه وسلم، فعلينا أن نؤمن به، ونطيعه، ونتبعه[15]، ونرضيه، ونحبه، ونسلم[16] لحكمه، وأمثال ذلك، قال تعالى[17] : ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾(١٨)، وقال تعالى[19] : ﴿**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أن يُرْضُوهُ إن**

---

(١) ذلك : سقطت من (ت).
(٢) ب : أن.
(٣) م : الطاعة للرسول.
(٤) ب ، ر : الله.
(٥) ح : أطاع..
(٦) غ : فطاعة.
(٧) م ، ح : الرسول.
(٨) من العباد : سقطت من (ب).
(٩) ب : الله.
(١٠) الله : سقطت من (ب).
(١١) م : كمشيئة.
(١٢) غ ، ر : وما شاءه.
(١٣) كذا في (ت)، وفي النسخ الأخرى : لم يكن إن لم يشأ الله.
(١٤) ب : فصل الأصل الثاني، ت ، ح : الفصل الثاني، النسخ الأخرى : والفصل الثاني.
(١٥) ونتبعه : سقطت من (ح).
(١٦) كذا في (ح) ، غ ، م : ونستسلم، النسخ الأخرى : ونستلزم.
(١٧) ب ، ر : قال الله تعالى.
(١٨) سورة النساء : ٨٠.
(١٩) تعالى ليست في (ب).

كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(١) ، وقال تعالى ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** ﴾(٢) ، وقال تعالى ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾(٣)، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾(٤) وأمثال ذلك.

فصل

إذا ثبت[٥] هذا فمن المعلوم[٦] أنه[٧] يجب الإيمان بخلق الله وأمره : بقضائه[٨] وشرعه.

مذاهب الفرق الضالة في القدر

وأهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى[٩] ثلاث فرق : مجوسية، ومشركية، وإبليسية.

---

(١) سورة التوبة : ٦٢. المثبت في (ب)، وفي النسخ الأخرى : (.. أحق أن يرضوه) فقط.

(٢) سورة التوبة : ٢٤. المثبت في (ح) ، ت : (.. فتربصوا) الآية، النسخ الأخرى (.. فتربصوا).

(٣) سورة النساء : ٦٥.

(٤) سورة آل عمران : ٣١. المثبت في (ت)، النسخ الأخرى : (...يحببكم الله) فقط.

(٥) غ : وإذا تبين. وفي الهامش كتب : ثبت وفوقها حرف (خـ).

(٦) ح : فمعلوم.

(٧) غ : أن.

(٨) ت ، ح : وبقضائه.

(٩) إلى : ليست في (غ).

فالمجوسية، الذين كذّبوا بقدر الله، وإن آمنوا بأمره ونهيه، فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب، ومقتصدتهم[١] أنكروا عموم مشيئة الله[٢] وخلقه وقدرته، وهؤلاء [هم[٣]] المعتزلة ومن وافقهم.

والفرقة الثانية : المشركية، الذين أقروا بالقضاء والقدر[٤]، وأنكروا الأمر والنهي، قال الله [تعالى][٥] : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾[٦] فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء، وهذا قد كثر فيمن يدّعي الحقيقة من المتصوفة.

والفرقة الثالثة : الإبليسية، وهم الذين[٧] أقروا بالأمرين، لكن جعلوا هذا تناقضا[٨] من الرب سبحانه وتعالى[٩]، وطعنوا في حكمته[١٠] وعدله، كما يُذكر [مثل][١١] ذلك عن إبليس مقدمهم، [كما[١٢] نقله[١٣]] أهل المقالات، ونقل عن أهل الكتاب[١٤].

---

(١) ب ، ر : ومقتصدهم، ت ، ح : ومقتصدوهم.

(٢) مشيئة الله : كذا في (غ)، النسخ الأخرى : مشيئته.

(٣) هم : ليست في (غ ، ب).

(٤) م : والقدرة.

(٥) كذا في (ب)، غ : قال الله، ح : قال تعالى ، م ، ر : وقال تعالى، ت : وقد قال تعالى.

(٦) سورة الأنعام : ١٤٨. في جميع النسخ : وقال الذين أشركوا... وهو خطأ.

(٧) ح : والفرقة الثالثة وهم الإبليسية الذين.

(٨) ح : متناقضا.

(٩) وتعالى : ليست في (ت).

(١٠) ب ، ت : حكمه.

(١١) مثل : سقطت من (غ ، ح).

(١٢) كما : سقطت من (غ ، ب).

(١٣) نقله : سقطت من (غ).

(١٤) أورد الشهرستاني [الملل والنحل ١/٩–١٣] مناظرة قال : إنها جرت بين الملائكة

==

مذهب أهل السنة في القدر

والمقصود أن هذا مما يقوله[1] أهل الضلال[2]، وأما أهل الهدى والفلاح فيؤمنون بهذا وهذا، فيؤمنون[3] بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، ما شاء كان[4] وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، أحاط[5] بكل شيء علما، وكل شيء أحصاه[6] في كتاب[7] مبين.

ويتضمن هذا الأصل[8] من إثبات علم الله، وقدرته، ومشيئته، ووحدانيته، وربوبيته، وأنه خالق كل شيء وربه ومليكه ما هو[9] من أصول الإيمان(١٠).

وإبليس بعد الأمر بالسجود والامتناع منه، وإنها مذكورة في التوراة والأناجيل، وفيها وجّه إبليس سبعة أسئلة معترضا بها على حكمته تعالى في الخلق وفي التكليف.

لكن ابن تيمية [مجموع الفتاوى (ط. الرياض) ٨/١١٤ـــ١١٥] ينقد هذه المناظرة بما ملخصه : أنه ليس لها إسناد يعتمد عليه، ولووجدناها في كتب أهل الكتاب لم يجز أن نصدقها لمجرد ذلك، ويشبه أن تكون من وضع بعض المكذبين بالقدر من أهل الكتاب أو المسلمين بقصد إظهار أن حجة الله على خلقه لا تتم إلا بالتكذيب بالقدر.

(١) ح : تقوله.

(٢) م : أهل الضلالات.

(٣) كذا في (غ)، النسخ الأخرى : ويؤمنون.

(٤) غ : ما شاء الله كان، ح : وما شاء كان.

(٥) ح : وأحاط.

(٦) غ ، م : أحصيناه.

(٧) كتاب : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : إمام.

(٨) غ : ويتضمن إثبات هذا الأصل.

(٩) غ : مما هو ، ر : فما هو.

(١٠) في العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ط. الرياض ٣/١٤٨ـــ١٥٠) بيّن الشيخ ما ملخصه أن القدر الذي آمن به أهل السنة والجماعة على درجتين، كل منهما تتضمن شيئين.

فالدرجة الأولى تتضمن :

أولا ـــ الإيمان بعلم الله القديم المحيط بجميع الأشياء.

ثانيا ـــ أنه تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

إثباتهم الأسباب

ومع هذا لا[1] ينكرون[2] ما خلقه الله[3] من الأسباب، التي يخلق بها المسببات، كما قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾(٤) وقال تعالى[5] : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ ﴾(٦) وقال تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾(٧) فأخبر أنه يفعل بالأسباب.

ضلال من أنكر الأسباب وشرك من جعلها هي المبدعة

ومن قال : يفعل[8] عندها لا بها[9]، فقد خالف ما جاء به القرآن، وأنكر ما خلقه [الله][10] من القوى والطبائع[11]، وهو [شبيه][12] بإنكار

وهذا قد ينكره غلاة القدرية قديما ومنكره اليوم قليل.

الدرجة الثانية تتضمن :

أولا — الإيمان بعموم مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.

ثانيا — خلقه سبحانه لكل شيء، بما في ذلك أفعال العباد، وهم فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم، ولهم قدرة وإرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم.

وهذه الدرجة يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره.

وهو هنا يشير إلى هذه الأشياء الأربعة، كما أشار إليها أيضا في بداية كلامه في توحيد العبادة ص ١٦٥.

(١) غ : فلا.

(٢) كذا في (غ ، ح)، وفي النسخ الأخرى : ينكر.

(٣) ت : ما خلق الله.

(٤) سورة الأعراف : ٥٧.

(٥) تعالى : سقطت من (م).

(٦) سورة المائدة : ١٦.

(٧) سورة البقرة : ٢٦.

(٨) ح : إنه يفعل.

(٩) ت : عندهما لا بهما.

(١٠) الله : سقطت من (غ).

(١١) ر : والطباع.

(١٢) شبيه : سقطت من (غ).

ما خلقه الله[1] من القوى [التي][2] في الحيوان، التي يفعل الحيوان[3] بها مثل قدرة العبد.

كما أن من جعلها هي المبدعة[4] لذلك فقد أشرك[5] بالله، وأضاف فعله إلى غيره، وذلك أنه ما من سبب من الأسباب إلا وهو مفتقر إلى سبب آخر في حصول مسببه، ولا بدّ[6] [له][7] من مانع يمنع مقتضاه إذا لم يدفعه الله عنه، فليس في الوجود شيء واحد يستقل بفعل شيء[8] إلا الله وحده[9]، قال تعالى[10] : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١١) أي فتعلمون[12] أن خالق الأزواج واحد.

جهل من قال : إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد

ولهذا من قال : إن الله لا يصدر عنه إلا واحد[13]، لأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ـــ كان جاهلا، فإنه ليس في الوجود واحد صدر عنه وحده شيء، لا واحد ولا اثنان، إلا الله الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، فالنار التي جعل[14]

---

(١) غ ، م : ما خلق الله، ب : وهو شبيه بما خلق الله، ت : وهو شبيه بما خلقه.

(٢) التي : سقطت من (غ ، م).

(٣) ب : الحياة.

(٤) ب : اليدعة.

(٥) ر : أثرك.

(٦) ر : فلا بد.

(٧) له : سقطت من (غ ، ح).

(٨) غ : يستقيل بفعل شيء، ت ، ح : .. شيء واحد يفعل شيئا إذا شاء، النسخ الأخرى : .. شيء واحد يفعل شيئا.

(٩) وحده : سقطت من (ب ، ر).

(١٠) ت : قال الله تعالى.

(١١) سورة الذاريات : ٤٩.

(١٢) غ : فيعلمون.

(١٣) م : إلا واحدا.

(١٤) غ : خلق.

الله[1] فيها حرارة، لا يحصل الإحراق إلا[2] بها وبمحل يقبل[3] الاحتراق، فإذا وقعت على السمندل(٤) والياقوت(٥) ونحوهما لم تحرقهما، وقد يُطلى الجسم بما يمنع إحراقه، والشمس التي يكون عنها[6] الشعاع لا بد من جسم يقبل انعكاس الشعاع عليه، وإذا[7] حصل حاجز من سحاب أو سقف[8] لم يحصل الشعاع تحته، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أنه لا بدّ من الإيمان بالقدر، فإن الإيمان بالقدر من تمام[9] التوحيد، [كما][10] قال ابن عباس [رضي الله عنهما][11] : هو

---

(١) الله : سقطت من (ر).

(٢) إلا : سقطت من (ت).

(٣) م : تقبل.

(٤) في حياة الحيوان للدميري ٥٧٣/١-٥٧٤ «السمندل : بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولام في آخره... ومن عجيب أمر السمندل استلذاذه بالنار ومكثه فيها... وكثيرا ما يوجد بالهند، وهي دابة دون الثعلب، خلنجية اللون، حمراء العين، ذات ذنب طويل، وزعم آخرون أن السمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ في النار »، والذي في كتاب الحيوان للجاحظ (تحقيق عبد السلام هارون) ١١١/٢، ٣٠٩/٥، ٤٣٤/٦، أنه طائر هندي يدخل في النار ولا يحترق ريشه. وانظر ما ذكره المحقق في هامش ٣٠٩/٥-٣١٠.

(٥) يقول القزويني [عجائب المخلوقات ص ١٥٩] في تعريف الياقوت : «حجر صلب شديد اليبس رزين شفاف صاف مختلف الألوان». وذكر أصله وخواصه ومنها أنه لا تذوبه النار.

وانظر أيضا : كتاب الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني ص ٣٢ وما بعدها.

(٦) ح : منها.

(٧) ح : فإذا.

(٨) ب : من السحاب أو سف.

(٩) ب : من كال.

(١٠) كما : سقطت من (غ).

(١١) رضي الله عنهما : زيادة من (ب ، ت ، ر).

نظام التوحيد، فمن وحّد الله (١ وآمن بالقدر تم توحيده[٢]، ومن وحّد الله[٣] ١) وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده[٤].

ولا بدّ من الإيمان بالشرع، وهو الإيمان بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، كما بعث الله بذلك (٥ [رسله، وأنزل كتبه.

ضرورة الإنسان إلى الشرع في الحياة الدنيا

والإنسان مضطر إلى شرع في حياته الدنيا] ٥)، فإنه لا بدّ [له[٦]] من حركة يجلب بها منفعته[٧]، وحركة يدفع بها مضرته، والشرع هو الذي يميّز بين الأفعال التي (٨ [تنفعه، والأفعال التي] ٨) تضره، وهو عدل الله في خلقه، ونوره بين عباده، فلا يمكن الآدميين[٩] أن يعيشوا بلا شرع يميّزون به[١٠] بين ما يفعلونه ويتركونه.

وليس المراد بالشرع مجرد العدل بين الناس في معاملاتهم، بل الإنسان المنفرد لا بدّ له من فعل وترك، فإن الإنسان همّام حارث[١١]، كما قال النبي[١٢] صلى الله عليه وسلم : (أصدق الأسماء حارث

(١ــ١) ما بينهما سقط من (ب).
(٢) غ : قال ابن عباس : الايمان بالقدر تم توحيده.
(٣) غ ، م ، ر : وحد الله تعالى.
(٤) ب : بقّص تكذيبه توحيده، ت ، ح : نقص توحيده.
(٥ ــ ٥) ما بينهما سقط من (غ).
(٦) له : سقطت من (غ).
(٧) م : منفعة.
(٨ ــ ٨) ما بينهما سقط من (غ).
(٩) ب : الاميين.
(١٠) به : سقطت من (ت).
(١١) غ : همام وحارث.
(١٢) النبي : ليست في (ت).

وهمّام)(١)، وهو معنى قولهم متحرك بالإرادة ، فإذا كان له إرادة هو[٢] متحرك بها، فلا بد[٣] أن يعرف ما يريده هل هو نافع له أو ضار ؟ وهل يصلحه أو يفسده ؟.

وهذا قد يعرف بعضه الناس بفطرتهم، كما يعرفون انتفاعهم بالأكل والشرب، وكما يعرفون ما يعرفون من العلوم الضرورية بفطرتهم، وبعضه[٤] يعرفونه بالاستدلال الذي يهتدون به بعقولهم، وبعضه[٥] لا يعرفونه إلا بتعريف الرسل وبيانهم لهم، وهدايتهم إياهم[٦].

---

(١) غ : همام وحارث. أخرج البخاري في الأدب المفرد، ص ١٢٠ ، أبو داود في سننه ٢٩٣/١٣ كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء، النسائي في سننه ١٨١/٦ كتاب الخيل باب ما يستحب من شية الخيل، أحمد في مسنده (ط. دار صادر) ٣٤٥/٤ عن هشام بن سعيد عن محمد بن مهاجر عن عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي — وكانت له صحبة — قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تسمّوا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمّام، وأقبحها حرب ومرة).

وفي سنده عقيل بن شبيب قال عنه ابن حجر [تهذيب التهذيب ٢٥٤/٧] « ذكره ابن حبان في الثقات. قلت : وقال ابن القطان : مجهول الحال، وكذا قال أبو حاتم في كتاب العلل ».

وعن معنى حارث وهمام جاء في النهاية لابن الأثير ٣٦٠/١ « الحارث هو الكاسب، والإنسان لا يخلو من الكسب طبعا واختيارا »، وفي [٢٧٤/٥] « همام هو فعّال من همّ بالأمر يهم إذا عزم عليه، وإنما كان أصدقها لأنه ما من أحد إلا وهو يهمّ بأمر خيرا كان أو شرا».

(٢) كذا في (ب ، ت)، وفي النسخ الأخرى : فهو.

(٣) غ ، م ، ح : ولا بد.

(٤) كذا في (غ)، النسخ الأخرى : وبعضهم.

(٥) كذا في (غ ، ح)، النسخ الأخرى : وبعضهم.

(٦) ح : لهم، وسقطت من (ت).

حسن الأفعال وقبحها وما يعرف منه بالعقل

وفي هذا المقام تكلم الناس في الأفعال[١] هل يعرف حسنها وقبحها[٢] بالعقل، أم ليس لها حسن وقبح[٣] يعرف بالعقل ؟، كما قد[٤] بسط في غير هذا الموضع، وبيّنا ما وقع في هذا الموضع من الاشتباه، فإنهم اتفقوا على أن كون[٥] الفعل[٦] يلائم الفاعل أو ينافره يعلم بالعقل، وهو أن يكون الفعل سببا لما يحبّه الفاعل ويلتذّ به، وسببا لما يبغضه ويؤذيه.

وهذا القدر يعلم بالعقل[٧] تارة، وبالشرع أخرى، وبهما جميعا أخرى[٨]، لكن[٩] معرفة ذلك على وجه التفصيل، ومعرفة الغاية التي تكون عاقبة الأفعال من السعادة والشقاوة في الدار الآخرة لا تعلم[١٠] [إلا][١١] بالشرع، فما[١٢] أخبرت به الرسل من تفاصيل اليوم الآخر، وأمرت به من تفاصيل ([١٣][الشرائع لا يعلمه[١٤] الناس بعقولهم، كما أن ما أخبرت به الرسل من تفصيل][١٣]) أسماء الله وصفاته[١٥] لا يعلمه[١٦]

(١) ب ، ر ، ح : في ان الأفعال.
(٢) ت ، ح : وقبيحها.
(٣) كذا في (م)، غ : أو قبح، ح : ولا قبيح، النسخ الأخرى : وقبيح.
(٤) قد : سقطت من (م ، ح).
(٥) ب : على أن يكون.
(٦) م : العقل.
(٧) غ : بالفعل.
(٨) غ : أحرى. وسقطت الكلمة من (ح).
(٩) ب ، ت ، ر : ولكن.
(١٠) كذا في (غ ، م) ، ح : لا تعرف، النسخ الأخرى : لا يعلم.
(١١) إلا : سقطت من (غ).
(١٢) ت : فيما.
(١٣—١٣) ما بينهما سقط من (غ).
(١٤) ب ، ر : لا تعلمه.
(١٥) ت : أسماء الله تعالى وصفاته.
(١٦) ر : لا تعلمه.

الناس بعقولهم، وإن كانوا قد يعلمون بعقولهم جمل ذلك.

وهذا التفصيل الذي يحصل به الإيمان، وجاء به الكتاب هو مما دل[١] عليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾(٤).

ولكن طائفة توهمت[٥] أن للحسن والقبح[٦] معنى غير هذا، وأنه يعلم بالعقل، وقابلتهم طائفة أخرى[٧] ظنت[٨] أن ما جاء[٩] به الشرع من الحسن والقبح[١٠] يخرج عن[١١] هذا، فكلتا[١٢] الطائفتين اللتين[١٣]

---

(١) م ، ح : ما دل.
(٢) سورة الشورى : ٥٢.
(٣) سورة سبأ : ٥٠.
(٤) سورة الأنبياء : ٤٥.
(٥) ت : لكن [بسقوط الواو] طائفة توهمت، ب : وطائفة توهمت، غ : ولكن توهمت طائفة.
(٦) كذا في (ح) ، ب ، ت : ان للحسن والقبيح، غ ، م : ان الحسن والقبح، ر : ان الحسن والقبيح.
(٧) ب ، ت ، ر : وطائقة قابلتهم أخرى.
(٨) م : وظنت.
(٩) ر : انه جاء.
(١٠) ب ، ت ، ر : والقبيح.
(١١) م : يخرج من.
(١٢) كذا في (ت)، وفي النسخ الأخرى : فكلا.
(١٣) اللتين : سقطت من (م).

أثبتتا[1] الحسن والقبح[2] العقليين[3] أو الشرعيين[4] وأخرجتاه[5] عن هذا القسم غلطت.

ثم إن كلتا[6] الطائفتين لما كانت[7] تنكر أن يوصف الله[8] بالمحبة والرضا والسخط والفرح ونحو ذلك مما جاءت به النصوص الإلهية[9]، ودلت عليه الشواهد العقلية ــ تنازعوا[10] بعد اتفاقهم على أن الله لا يفعل ما هو منه قبيح، هل ذلك ممتنع لذاته وأنه لا تتصور[11] قدرته على ما هو قبيح، أو أنه[12] سبحانه وتعالى[13] منزه عن ذلك لا يفعله لمجرد[14] القبح[15] العقلي الذي أثبتوه ؟ على قولين.

والقولان في الانحراف[16] من جنس القولين المتقدمين، أولئك لم يفرقوا[17] في خلقه وأمره[18] بين[19] الهدى والضلال، والطاعة والمعصية،

---

(١) م ، ب ، ر : أثبتا.
(٢) ب ، ت : والقبيح.
(٣) م ، ح : العقلين.
(٤) م : أو الشرعين.
(٥) ب : وأخرتاه.
(٦) كذا في (ت ، ح) ، غ : ثم إن كلتي، النسخ الأخرى : ثم كلتا.
(٧) غ : كانتا.
(٨) غ : أن الله يوصف.
(٩) ر : من الإلهية.
(١٠) ب : ينازعوا.
(١١) كذا في (غ ، ب)، وفي النسخ الأخرى : لا يتصور.
(١٢) كذا في (غ ، ر)، وفي النسخ الأخرى : وأنه.
(١٣) وتعالى : في (غ) فقط.
(١٤) م : بمجرد.
(١٥) ب ، ت : القبيح.
(١٦) ر : في الانخراق.
(١٧) غ : لا يفرقون.
(١٨) ب ، ت ، ر : لم يفرقوا بين خلقه وأمره.
(١٩) ت : وبين.

والأبرار والفجار، وأهل الجنة وأهل النار، والرحمة والعذاب، فلا جعلوه محمودا على ما فعله من العدل[١] أو تركه من الظلم، ولا ما فعله من الإحسان والنعمة أو تركه[٢] من العذاب[٣] والنقمة. والآخرون[٤] نزهوه بناء على القبح[٥] العقلي الذي أثبتوه، ولا حقيقة له، وسووه بخلقه فيما يحسن ويقبح، وشبهوه بعباده فيما يؤمر به[٦] وينهى عنه.

مخالفة من ينظر إلى القدر ويعرض عن الشرع لدين الله

فمن نظر إلى القدر فقط، وعظّم الفناء في توحيد الربوبية، ووقف عند الحقيقة الكونية، لم يميّز بين العلم والجهل، والصدق والكذب، والبر والفجور، والعدل والظلم، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، والرشد[٧] والغي، وأولياء الله وأعدائه[٨]، وأهل الجنة وأهل النار، وهؤلاء مع أنهم مخالفون بالضرورة لكتب الله[٩] ودينه وشرائعه[١٠]،

مخالفتهم لضرورة الحس والذوق

فهم مخالفون أيضا لضرورة الحس والذوق، و [ضرورة] العقل[١١] والقياس، فإن أحدهم لا بد أن يلتذ بشيء ويتألم بشيء[١٢]، فيميّز بين ما يؤكل[١٣] ويشرب، وما لا يؤكل[١٤] ولا يشرب، وبين ما يؤذيه من الحر

---

(١) م ، ح : من العذاب.
(٢) كذا في (م)، وفي النسخ الأخرى : وتركه.
(٣) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : التعذيب.
(٤) ب ، ت ، ر : وآخرون.
(٥) ب ، ت ، ر : القبيح.
(٦) غ ، ت ، ح : يأمر به.
(٧) كذا في (غ ، م) وفي النسخ الأخرى : والرشاد.
(٨) ب ، ر : وأعداء الله.
(٩) ح : لكتاب الله.
(١٠) غ : وشرائعهم.
(١١) غ : .. والذوق والعقل.
(١٢) ويتألم بشيء : سقطت من (م).
(١٣) م ، ح : ما يأكل.
(١٤) كذا في (غ ، م) ، ح : وما لا يأكل، النسخ الأخرى : وبين ما لا يؤكل.

والبرد، وما ليس كذلك، وهذا التمييز بين ما ينفعه ويضره هو الحقيقة الشرعية الدينية.

ومن ظن أن البشر[1] ينتهي إلى حد يستوي عنده الأمران دائما فقد افترى، وخالف ضرورة الحس[٢]، ولكن قد يعرض للإنسان بعض الأوقات عارض كالسكر[٣] والإغماء ونحو ذلك مما يشغله[٤] عن الإحساس ببعض الأمور، فأما أن يسقط إحساسه بالكلية مع وجود الحياة فيه فهذا ممتنع، فإن النائم لم يسقط إحساس نفسه، بل يرى في منامه ما يسره تارة وما يسوءه أخرى[٥]، فالأحوال التي يُعبر عنها بالاصطلام[٦] والفناء والسكر(٧) ونحو ذلك إنما تتضمن[٨] عدم

(١) غ : السر [بدون نقاط] وفي الهامش كتب : لعله الشرع.
(٢) غ : العقل. ووضع فوقها ما يشير إلى الهامش وكتب فيه : الحس.
(٣) ب : كالساكر.
(٤) م : ما يشغله، ح : مما يشغل.
(٥) ح : ما يسوءه تارة وما يسره أخرى.
(٦) ر : باصطلام، ح : بالاصطلاح.
(٧) كذا في (غ ، م) ، النسخ الأخرى : كالفناء والسكر. وهذه من مصطلاحات الصوفية، جاء في الرسالة القشيرية ص ٣٤ «والحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم من طرب أو حزن أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو احتياج».
أما الاصطلام فيعرفه ابن عربي [رسالة في اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية ص ١٤١] «الاصطلام : نوع وَلَه يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه».
ويعرف ابن عربي الفناء، ص ١٣٩ بأنه «عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله على ذلك» بينما قال القشيري ص ٣٩ «أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة» وكذا قال الجرجاني في التعريفات، ص ٩٠ وأضاف «والفناء فناءان، أحدهما ما ذكرناه وهو بكثرة الرياضة، والثاني : عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق».
أما السّكر فقال عنه القشيري، ص ٤١ وابن عربي ص ١٤٠ «السكر : غيبة بوارد قوي».
(٨) غ ، م : يتضمن.

الإحساس ببعض الأشياء دون بعض، فهي مع نقص صاحبها لضعف تمييزه[١] لا تنتهي[٢] إلى حد يسقط فيه التمييز مطلقا.

ومن نفى التمييز في هذا المقام مطلقا، وعظّم هذا المقام فقد غلط في الحقيقة الكونية والدينية قدرا وشرعا : غلط[٣] في خلق الله وفي أمره، حيث ظن وجود هذا، ولا وجود له[٤]، وحيث ظن أنه ممدوح، ولا مدح[٥] في عدم التمييز والعقل والمعرفة.

وإذا سمعت بعض الشيوخ يقول : أريد أن لا أريد، أو إن[٦] العارف لا حظّ له، أو إنه[٧] يصير كالميت بين يدي الغاسل، ونحو ذلك ــ فهذا إنما يمدح منه سقوط إرادته التي لم[٨] يؤمر بها، وعدم حظه الذي لم يؤمر بطلبه، وأنه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه، وترك دفع ما لم يؤمر بدفعه.

ومن أراد بذلك أنه[٩] تبطل[١٠] إرادته بالكلية، وأنه لا يحس باللذة[١١] والألم، والنافع والضار، فهذا مخالف لضرورة الحس[١٢] والعقل، ومن مدح هذا فهو مخالف لضرورة الدِّين والعقل[١٣].

---

(١) غ : لضعف تمييز.
(٢) كذا في (ح)، النسخ الأخرى : لا ينتهي.
(٣) غلط : كذا في (ب ، ر)، النسخ الأخرى : وغلط.
(٤) له : سقطت من (ب)، غ : حيث ظن أن وجود هذا لا وجود له.
(٥) ت : ولا مدح له.
(٦) ب ، ت ، ر : وأن.
(٧) كذا في (غ) ، ب : وإن، النسخ الأخرى : وإنه.
(٨) لم : سقطت من (ح).
(٩) كذا في (غ ، ح)، وفي النسخ الأخرى : أن.
(١٠) ب ، ر : يبطل.
(١١) ح : باللذات.
(١٢) الحس : سقطت من (م).
(١٣) ب : لضرورة العقل والدين.

أنـــواع الفنـــاء

والفناء يراد به ثلاثة أمور :(١)

أحدها ــ وهو[٢] الفناء الديني الشرعي[٣] ، الذي جاءت به الرسل، ونزلت[٤] به الكتب، هو[٥] أن يفتى عما لم[٦] يأمر[٧] الله به بفعل[٨] ما أمر الله به، فيفنى عن عبادة غيره بعبادته، وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله، وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه، وعن[٩] محبة ما سواه بمحبته ومحبة رسوله، وعن خوف غيره بخوفه، بحيث لا يتبع العبد هواه بغير هدى من الله، وبحيث يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** ﴾(١٠)، فهذا كله هو[١١] مما أمر الله به ورسوله.

وأما الفناء الثاني ــ وهو الذي يذكره بعض الصوفية، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى، فيفنى بمعبوده عن عبادته،

---

(١) أمام هذا الموضع كتب في هامش (ب) : قف على الفناء في التصوف البدعي والسني.

(٢) ح : هو [بسقوط الواو].

(٣) الشرعي : سقطت من (ت).

(٤) كذا في (م ، ت)، وفي النسخ الأُخرى : وانزلت.

(٥) كذا في (ب ، ر)، وفي النسخ الأُخرى : وهو.

(٦) م ، ب ، ر : عن ما لم.

(٧) غ ، م : يأمره.

(٨) غ : يفعل. وفي الهامش كتب : لعله ويفعل.

(٩) ح : عن. [بسقوط الواو].

(١٠) سورة التوبة : ٢٤.

(١١) هو : في (غ) فقط.

وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته[١]، بحيث قد يغيب عن شعوره بنفسه[٢] وبما[٣] سوى الله[٤] ــ فهذا حال ناقص، قد يعرض لبعض السالكين، وليس هو من لوازم طريق الله، ولهذا لم يعرض[٥] مثل هذا للنبي صلى الله عليه وسلم والسابقين الأولين.

ومن جعل هذا نهاية السالكين[٦] فهو ضال ضلالا مبينا، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطيء، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض[٧] لبعض الناس دون بعض، ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك.

وأما الثالث ــ فهو الفناء عن وجود السوى، بحيث[٨] يرى أن وجود المخلوق[٩] هو عين وجود الخالق، وأن[١٠] الوجود واحد[١١] بالعين، فهذا[١٢] قول أهل الإلحاد والاتحاد[١٣]، الذين هم من أضل[١٤] العباد.

---

(١) ب : محرفته.
(٢) م : شعور نفسه، ت ، ر : شعوره نفسه، ح : شهود نفسه.
(٣) غ : بما [بسقوط الواو]، ح : لما، م : وبما. لكن في هامشها كتب : عما سوى الله.
(٤) ح : الله تعالى.
(٥) ب ، ت ، ح : لم يعرف.
(٦) غ : للسالكين.
(٧) غ : الذي يعرض.
(٨) م : حيث.
(٩) ر : الوجود المخلوق.
(١٠) ت هو أن.
(١١) م ، ر : هو واحد.
(١٢) ح : فهو.
(١٣) م : أهل الاتحاد والإلحاد.
(١٤) ب : أصل. [بلا نقطة على الضاد].

مخالفتهم لضرورة العقل والقياس

وأما مخالفتهم لضرورة العقل والقياس، فإن الواحد من هؤلاء[١] لا يمكنه أن يطرد قوله، فإنه إذا كان مشاهدا للقدر من غير تمييز بين المأمور والمحظور، فعومل [بموجب ذلك][٢] مثل أن يُضرب ويجاع حتى يبتلى بعظيم[٣] الأوصاب (٤) والأوجاع ـ فإن لام من فعل ذلك به وعابه فقد نقض قوله، وخرج عن أصل مذهبه، وقيل له : هذا الذي فعله[٥] مقضي[٦] مقدور، فخلق الله وقدره[٧] ومشيئته متناول[٨] لك وله، وهو يعمّكما[٩]، فإن كان القدر حجة (١٠لك فهو حجة١٠) لهذا، وإلا فليس بحجة لا لك ولا له. فقد تبين بضرورة العقل فساد قول من ينظر إلى القدر، ويعرض عن الأمر والنهي.

الواجب في شرع الله وقدره عملا

والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور، ويترك المحظور، ويصبر على المقدور[١١]، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً** ﴾(١٢)، وقال تعالى[١٣] في قصة يوسف : ﴿ **إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾(١٤) فالتقوى فعل ما أمر الله

(١) من هؤلاء : سقطت من (ب ، ت).
(٢) بموجب ذلك : سقطت من (غ).
(٣) ب ، ت ، ر : بأعظم.
(٤) غ : الأوصاف. والأوصاب جمع الوصَبَ وهو المرض. انظر القاموس المحيط مادة «الوصب».
(٥) غ : فعلته.
(٦) ب : مقتضى.
(٧) وقدره : كذا في (غ ، ح)، وسقطت من (م)، وفي النسخ الأخرى : وقدرته.
(٨) غ : يتناول.
(٩) ب : وهو فيكما.
(١٠ ـ ١٠) ما بينهما سقط من (ر).
(١١) ب : القدر.
(١٢) سورة آل عمران : ١٢٠.
(١٣) م : وقال الله تعالى، ح : وقال.
(١٤) سورة : يوسف : ٩٠.

به[١]، وترك ما نهى [الله][٢] عنه، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾(٣)، فأمره[٤] مع الاستغفار بالصبر، فإن العباد لا بدّ لهم من الاستغفار أولهم وآخرهم، قال[٥] النبي[٦] صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (يا أيها الناس توبوا إلى ربكم، فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)(٧)، وقال : (إنه لَيُغَانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة)(٨).

حاجة العباد إلى الاستغفار

---

(١) به : سقطت من (ت).

(٢) الله : ليست في (غ).

(٣) سورة غافر : ٥٥.

(٤) غ : فأمرهم.

(٥) ب : وقال.

(٦) النبي : في (غ ، ح) وليست في (م)، النسخ الأخرى : رسول الله.

(٧) لم أجد حديثا بهذا النص، لكن في صحيح مسلم ٤/٢٠٧٥ـ٢٠٧٦ (رقم ٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، مسند أحمد (ط. دار صادر) ٤/٢١١، ٢٦٠ [في المسند من ثلاثة طرق] عن شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي بردة قال : سمعت الأغر ـ وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ـ يحدث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس توبوا إلى الله ـ [هذا لفظ مسلم وفي روايات أحمد الثلاث : توبوا إلى ربكم] ـ فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة).

وفي صحيح البخاري ١١/١٠١ (رقم ٦٣٠٧) كتاب الدعوات، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، سنن الترمذي ٩/١٤٣ـ١٤٤ كتاب التفسير (سورة محمد)، مسند أحمد (ط. دار صادر) ٢/٢٨٢، ٣٤١ عن أبي سلمة عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة).

(٨) في صحيح مسلم ٤/٢٠٧٥ (رقم ٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، سنن أبي داود ٤/٣٧٨ـ٣٧٩ في الوتر

=

وكان يقول : (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطئي وعمدي، وهزلي وجدّي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت)(١).

وقد ذكر[٢] عن آدم أبي البشر أنه استغفر ربّه وتاب إليه، فاجتباه ربّه وتاب عليه[٣] وهداه[٤]، وعن إبليس أبي الجن[٥] أنه أصرّ متعلقا بالقدر فلعنه وأقصاه، فمن أذنب فتاب[٦] وندم فقد أشبه أباه، ومن

باب في الاستغفار، مسند أحمد (ط. دار صادر) ٢١١/٤، ٢٦٠ عن حماد بن زيد عن ثابت عن أبي بردة عن الأغر المزني ــ وكانت له صحبة ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة).

في النهاية لابن الأثير ٤٠٣/٣ مادة (غين) «الغَيْن : الغيم. وغَينَت السماء تُغَانُ : إذا أطبق عليها الغيم. وقيل : الغَيْن : شَجَر مُلتفّ. أراد ما يغشاه من السّهو الذي لا يخلو منه البشر...» وانظر شرح مسلم للنووي ٢٣/١٧ــ٢٤.

(١) لا إله إلا أنت : ليست في (ح). والحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

أخرجه البخاري ١٩٦/١١ (رقم ٦٣٩٨) كتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، ومسلم ٢٠٨٧/٤ (رقم ٢٧١٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل. وفيه (وأنت على كل شيء قدير) بدل (لا إله إلا أنت).

لكن عند مسلم ٥٣٤/١، ٥٣٦ (رقم ٧٧١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا...) ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت... أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت).

(٢) ت : وذكر.

(٣) كذا في (غ)، النسخ الأخرى : فتاب عليه.

(٤) ب : وهدى.

(٥) غ : أبي الجن لعنه الله.

(٦) ب ، ت ، ح : وتاب.

أشبه أباه فما ظلم، قال تعالى[١] : ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً * لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا ﴾(٢).

اقتران التوحيد والاستغفار

ولهذا قرن[٣] سبحانه وتعالى[٤] بين التوحيد والاستغفار في غير آية، كما قال[٥] تعالى[٦] : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللَّهُ واسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ولِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ ﴾(٧)، (٨وقال تعالى[٩] : ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ واسْتَغْفِرُوهُ ﴾(١٠) ٨)، وقال تعالى : ﴿ آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ استَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾(١١).

وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره : (يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار[١٢]، فلما

---

(١) قال تعالى : كذا في (غ)، النسخ الأخرى : قال الله تعالى.

(٢) سورة الأحزاب : ٧٢، ٧٣. في (ب ، ت ، ر) بعد إكمال آيتي الأحزاب زيادة : وقال تعالى : (فاستقيموا إليه واستغفروه). وستأتي هذه الآية في موضعها.

(٣) ر : ولهذا أقرن، ب : ولهذا فرق.

(٤) كذا في (غ) ، ب : فرق الله، ت : قرن الله سبحانه، النسخ الأخرى : قرن سبحانه.

(٥) ت : فقال.

(٦) م : كما قال الله تعالى.

(٧) سورة محمد : ١٩.

(٨—٨) ما بينهما ليس في (ب ، ت)، وانظر في هذه الصفحة تعليق رقم (٢).

(٩) م : وقال الله تعالى.

(١٠) سورة فصلت : ٦.

(١١) سورة هود : ١—٣.

(١٢) ر : وبالاستغفار.

رأيت ذلك بثث[١] فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)(٢).

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى[٣] عن ذي النون أنه نادى في الظلمات ﴿أن لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٤) قال تعالى[٥] : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ﴾(٦)، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرّج الله بها كربه)(٧).

---

(١) ب ، ر : بثيت.

(٢) افتتح ابن أبي عاصم كتابه «السنة» (مخطوط)، بباب ذكر الأهواء المذمومة وأورد فيه ورقة رقم (٢) ثنا الحسن بن البزار ثنا محرز بن عون حدثنا عثمان بن مطر الشيباني عن عبد الغفور عن أبي بصير عن أبي رجا العطاردي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فاكثروا منهما فإن إبليس قال...) معنى ما هنا، وأورد الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٧/١٠ وقال عنه : «رواه أبو يعلى، وفيه عثمان بن مطر وهو ضعيف».

(٣) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : وقد ذكر سبحانه.

(٤) سورة الأنبياء : ٨٧.

(٥) كذا في (ح)، غ : قال الله تبارك وتعالى ، م : قال الله، النسخ الأخرى : قال الله تعالى.

(٦) سورة الأنبياء : ٨٨.

(٧) إلا فرج الله بها كربه : كذا في (غ)، ح : إلا فرج الله كربه، ت : إلا فرج الله عنه كربته، النسخ الأخرى : إلا فرج الله كربته.

في سنن الترمذي ٤٧٩/٩ــ٤٨٠ كتاب الدعوات، باب (رقم ٨٥)، مسند أحمد (ط. دار المعارف) ٣٥/٣ــ٣٦ (رقم ١٤٦٢)، مستدرك الحاكم ٥٠٥/١، ٣٨٣/٢ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) «الأنبياء : ٨٧» فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له).

وقال عنه الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وجماع ذلك أنه لا بدّ له[١] في الأمر من أصلين، ولا بدّ له في القدر من أصلين، ففي الأمر عليه الاجتهاد في الامتثال[٢] علما وعملا، فلا يزال يجتهد[٣] في العلم بما أمر الله به، والعمل بذلك، ثم عليه أن يستغفر ويتوب من تفريطه في المأمور[٤]، وتعديه للحدود[٥].

ولهذا كان من[٦] المشروع أن تختتم[٧] جميع الأعمال بالاستغفار فكان[٨] النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته[٩] استغفر[١٠] ثلاثا[(١١)]، وقد قال تعالى[١٢] : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾[(١٣)] فقاموا[١٤] الليل[١٥] ثم ختموا[١٦] بالاستغفار، وآخر سورة نزلت قوله

---

(١) له : سقطت من (ب ، ت).
(٢) كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : في امتثال الأمر.
(٣) ب : فلا يزال مجتهدا، ح : فلا تزال تجتهد.
(٤) ب : من تفريطه للأمور، ح : من تفريطه في الأمور.
(٥) م : للمحدود، ح : الحدود.
(٦) من : سقطت من (م ، ت).
(٧) غ ، م ، ح : يختم.
(٨) ت : كان.
(٩) إذا انصرف من صلاته : كذا في (غ)، وفي النسخ الأخرى : إذا صلى.
(١٠) ت ، ر : استغفر الله.
(١١) روى مسلم ٤١٤/١ (رقم ٥٩١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، النسائي ٥٨/٣ كتاب السهو، باب الاستغفار بعد التسليم، الترمذي ١٩٥/٢-١٩٦ كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سلم، أحمد في مسنده (ط. دار صادر) ٢٧٥/٥ بأسانيدهم عن الأوزاعي عن أبي عمار (اسمه شداد بن عبد الله) عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال : (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام).
(١٢) م ، ح : وقد قال الله تعالى.
(١٣) سورة آل عمران : ١٧.
(١٤) م : قاموا.
(١٥) ت ، ح : بالليل.
(١٦) ت : ثم ختموه، ح : وختموه.

تعالى[١] : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّـهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِـرْهُ إِنَّـهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾(٢)، وفي الحديث الصحيح[٣] أنه كان صلى الله عليه وسلم[٤] يكثر أن يقول[٥] في ركوعه وسجوده : (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) يتأول القرآن(٦).

وأما في[٧] القدر فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به، ويتوكل عليه، ويدعوه، ويرغب إليه، ويستعيذ به، فيكون[٨] مفتقرا إليه في طلب الخير وترك الشر، وعليه أن يصبر على المقدور، ويعلم أن[٩] ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدَّر[١٠] عليه.

---

(١) قوله تعالى : ليست في (ب ، ت) ، ح : قول الله تعالى.

(٢) روى مسلم ٢٣١٨/٤ (رقم ٣٠٢٤) كتاب التفسير في فاتحته حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وهارون بن عبد الله وعبد بن حميد (قال عبد : أخبرنا. وقال الآخران) حدثنا جعفر بن عون، أخبر أبو عميس عن عبد المجيد بن سهيل، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال : قال لي ابن عباس : تعلم (وقال هارون : تدري) آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعا ؟ قلت : نعم، إذا جاء نصر الله والفتح. قال : صدقت. وفي رواية ابن أبي شيبة : تعلم أي سورة. ولم يقل : آخر.

(٣) غ ، م ، ح : وفي الصحيح.

(٤) ر : انه كان النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) ان يقول : سقطت من (ت).

(٦) تقدم تخريجه ص ٩٤ ت ١.

(٧) في : سقطت من (ب ، ت ، ر).

(٨) غ ، ر ،ح : ويكون.

(٩) ب ، ر : أنه.

(١٠) ب : مقدرا. بالنصب. وفي النسخ الأخرى : مقدور.

احتجاج آدم وموسى

ومن هذا الباب احتجاج آدم وموسى[1]، لما قال : يا آدم أنت أبو[2] البشر خلقك الله بيده[3]، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه[4]، فبكم وجدت مكتوبا علي قبل[5] أن أُخلق ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾[6] قال[7] : بكذا وكذا سنة، قال :فحجّ آدم موسى[8]. وذلك أن موسى لم يكن عتبه لآدم لأجل

(١) ت : .. وموسى عليهما السلام.
(٢) أبو : سقطت من (ر).
(٣) غ : بيديه.
(٤) غ : بكلماته.
(٥) ب ، ر ، ح : من قبل.
(٦) سورة طه : ١٢١.
(٧) غ : فقال.
(٨) القائل : فحج آدم موسى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي ذكر الشيخ هو معنى الحديث المروي بألفاظ وطرق متعددة عن مجموعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم. انظره عن أبي هريرة : في صحيح البخاري ٤٤١/٦ (رقم ٣٤٠٩) كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، ٤٣٤/٨ (رقم ٤٧٣٦) كتاب تفسير القرآن، باب (واصطنعتك لنفسي) «طه : ٤١»، ٤٣٤/٨—٤٣٥ (رقم ٤٧٣٨) باب (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) «طه : ١١٧»، ٥٠٥/١١ (رقم ٦٦١٤) كتاب القدر، باب تحاجّ آدم وموسى عند الله عز وجل، ٤٧٧/١٣ (رقم ٧٥١٥) كتاب التوحيد باب قوله (وكلم الله موسى تكليما) «النساء : ١٦٤»، صحيح مسلم ٢٠٤٢/٤—٢٠٤٤ (رقم ٢٦٥٢) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، سنن أبي داود ٤٦٨/١٢—٤٦٩، كتاب السنة باب في القدر، جامع الترمذي ٣٣٦/٦—٣٣٨ في القدر باب (رقم ٢)، سنن ابن ماجه ٣١/١ (رقم ٨٠) المقدمة باب في القدر، مسند أحمد (ط. دار المعارف) ١١٦/١٣—١١٧ ، (رقم ٧٣٨١) وتكرر بالأرقام ٧٥٧٨، ٧٥٧٩، ٧٦٢٣، ٧٦٢٤، ٧٨٤٣) وفي (ط. دار صادر) ٣٩٢/٢، ٣٩٨، ٤٤٨، ٤٦٤، الموطأ ٢٠٧/٢ كتاب الجامع، النهي عن القول بالقدر.

الذنب، فإن آدم[١] [كان] قد[٢] تاب منه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ـــ ولكن[٣] لأجل المصيبة التي لحقتهم من ذلك، وهم مأمورون أن ينظروا إلى القدر في المصائب، وأن يستغفروا من المعائب[٤]، كما قال تعالى[٥] : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾[٦].

مراعاة الشرع والقدر توجب العبادة والاستعانة

فمن راعى الأمر والقدر ـــ كما ذكر ـــ كان عابدا لله، مطيعا له[٧]، مستعينا به[٨]، متوكلا عليه، من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[٩].

وقد جمع الله[١٠] سبحانه بين هذين الأصلين في [غير[١١]] موضع، كقوله تعالى[١٢] : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[١٣]، وقوله تعالى[١٤] : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[١٥]، وقوله تعالى[١٦] : ﴿ عَلَيْهِ

---

(١) ت : آدم عليه السلام.
(٢) غ : فإن آدم قد، ح : فإن آدم قد كان.
(٣) ت : لكن [بدون الواو].
(٤) ب ، ر : وأن يستغفروا من المصائب.
(٥) م : كما قال الله تعالى.
(٦) سورة غافر : ٥٥.
(٧) ب : ومطيعا له.
(٨) ب : ومستغيثا به، ر : مستغيثا به.
(٩) ح : .. والصالحين وحسن أولئك رفيقا.
(١٠) الله : ليست في (م ، ت ، ر).
(١١) غير : سقطت من (غ).
(١٢) تعالى : في (غ) فقط.
(١٣) سورة الفاتحة : ٥.
(١٤) تعالى : في (غ) فقط.
(١٥) سورة هود : ١٢٣. المثبت في (غ ، ح) ، ب : (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا)، النسخ الأخرى : (فاعبده واصطبر لعبادته) لكن في هامش (م) كتب : وتوكل عليه.
(١٦) تعالى : ليست في (ت ، ح).

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(١)، وقوله تعالى[٢] : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾(٣)، فالعبادة له[٤] والاستعانة به[٥]، وكان النبي[٦] صلى الله عليه وسلم يقول عند الأضحية : (اللهم منك ولك)(٧)، فما لم يكن بالله لا يكون، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وما لم يكن لله لا ينفع[٨] ولا يدوم.

شرطا قبول العبادة

ولا بد في عبادته من أصلين :

أحدهما : إخلاص الدين له[٩]، والثاني : موافقة أمره الذي بعث به[١٠] رسله، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا

---

(١) سورة الشورى : ١٠.

(٢) تعالى : ليست في (ح).

(٣) سورة الطلاق ٢ ، ٣.

(٤) له : سقطت من (ت) ، ح : لله.

(٥) ب : والاستعانة له، ح : والاستعاذة به.

(٦) النبي : زيادة من (ح).

(٧) غ : اللهم منك وإليك ، ب : اللهم هذا منك ولك.
أخرج أبو داود في سننه ٧/٤٩٦_٤٩٧ كتاب الضحايا، باب ما يستحب من الضحايا، ابن ماجه في سننه ١٠٤٣/٢ (رقم ٣١٢١)، كتاب الأضاحي، باب أضاحي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحمد في مسنده (ط. دار صادر) ٣٧٥/٣، الدارمي في سننه ٧٥/٢_٧٦ كتاب الأضاحي باب السنة في الأضحية، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح يوم الذبح كبشين أقرنين...) وأن مما قاله عند ذلك : (... اللهم منك ولك عن محمد وأمته...).

(٨) ت ، ح : فلا ينفع.

(٩) له : سقطت من (ح)، ر : لله.

(١٠) ب ، ت ، ر : بعث الله به.

تجعل لأحد فيه شيئا. وقال الفضيل بن عياض[١] [رحمه الله](٢) في قوله تعالى[٣] : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكم أحْسَنُ عَمَلاً ﴾(٤)، قال : أخلصه وأصوبه. قيل[٥] : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه[٦] ؟. قال : إن العمل إذا كان خالصا[٧] ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا[٨] كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة(٩).

ولهذا ذم الله المشركين في القرآن على اتباع ما شرع لهم شركاؤهم من الدِّين الذي لم[١٠] يأذن به الله من عبادة غيره، وفعل ما لم يشرعه من الدِّين، قال الله تعالى[١١] : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾(١٢)، كما ذمهم على أنهم حرموا ما لم

---

(١) بن عياض : سقطت من (ح).

(٢) رحمه الله : زيادة من (ب ، ت ، ر). وهو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي (ت ١٨٧ هـ) زاهد، مجمع على ثقته وجلالته. انظر : طبقات الصوفية ص ٦ــ١٤، حلية الأولياء ٨٤/٨ــ١٣٩، صفة الصفوة ١٣٤/٢ــ١٣٩، وفيات الأعيان ٤٧/٤ــ٤٩، تذكرة الحفاظ ٢٢٥/١ــ٢٢٧، ميزان الاعتدال ٣٦١/٣، البداية والنهاية ١٩٨/١٠ــ١٩٩، تهذيب التهذيب ٢٩٤/٨ــ٢٩٧، طبقات الشعراني ٦٨/١ــ٦٩، الأعلام ٣٦٠/٥.

(٣) في قوله تعالى : سقطت من (ت) ، ح : في قوله.

(٤) سورة الملك : ٢.

(٥) ح : قالوا.

(٦) م ، ر: ما أخلصه وما أصوبه.

(٧) ح : فقال : إذا كان العمل خالصا.

(٨) م : وإن.

(٩) أورد قول الفضيل بعض المفسرين في تفسير الآية. انظر مثلا تفسير البغوي بهامش تفسير ابن كثير ٤٢٤/٨.

(١٠) غ : من الدين ما لم .

(١١) غ : وقال تعالى ، ح : كما قال تعالى.

(١٢) سورة الشورى : ٢١.

يحرمه[1] الله، والدّين الحق [أنه][2] لا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله[3].

أقسام الناس في عبادة الله واستعانته

ثم إن الناس في عبادته [واستعانته][4] على[5] أربعة أقسام(٦) :

فالمؤمنون المتقون هم له وبه، يعبدونه ويستعينونه[7].

وطائفة تعبده من غير استعانة ولا صبر، فتجد عند أحدهم تحرِّيا للطاعة والورع، ولزوم السنة، لكن[8] ليس لهم توكل واستعانة وصبر، بل فيهم عجز وجزع.

وطائفة فيهم استعانة وتوكل وصبر[9]، من غير استقامة على الأمر ولا متابعة للسنة، فقد يمكَّن أحدهم، ويكون له[10] نوع من الحال باطنا وظاهرا[11]، ويعطى من المكاشفات والتأثيرات ما لم يعطه الصنف الأول، ولكن لا عاقبة له، فإنه ليس من المتقين، والعاقبة للتقوى[12]، فالأولون لهم دين ضعيف، ولكنه[13] مستمر باق إن[14] لم يفسده صاحبه بالجزع

---

(١) ت : ما لم يحرم.
(٢) أنه : سقطت من (غ).
(٣) الله : ليست في (ح).
(٤) واستعانته : سقطت من (غ).
(٥) على : ليست في (م).
(٦) في هامش (ب) كتب : قف على أن الناس في عبادة الله على أربعة أقسام.
(٧) ت : ويستعينوه.
(٨) ح : ولكن.
(٩) ب ، ت ، ر : وصبر وتوكل.
(١٠) ت : لهم.
(١١) وظاهرا : سقطت من (ب) ، م ، ر : أو ظاهرا.
(١٢) ب ، ت ، ر : للمتقين.
(١٣) غ : لكنه.
(١٤) ت : إذا.

والعجز، وهؤلاء لأحدهم حال وقوة، ولكن[1] لا يبقى له إلا ما وافق فيه الأمر، واتبع [فيه][2] السنة.

وشر الأقسام من لا يعبده ولا يستعينه، فهو لا يشهد أن عمله[3] لله، ولا أنه بالله.

فالمعتزلة ونحوهم من القدرية الذين[4] أنكروا القدر هم في تعظيم الأمر والنهي والوعد والوعيد خير من هؤلاء الجبرية القدرية الذين يعرضون عن الشرع والأمر والنهي، والصوفية هم في القدر ومشاهدة توحيد الربوبية خير من المعتزلة، ولكن فيهم من فيه نوع[5] [بدع مع][6] إعراض عن بعض الأمر والنهي، والوعد والوعيد، حتى يجعلوا الغاية هي مشاهدة توحيد الربوبية والفناء في ذلك، فيصيرون[7] أيضا معتزلين[8] لجماعة المسلمين[9] وسنتهم[10]، فهم معتزلة من هذا الوجه، وقد يكون ما وقعوا فيه من البدعة شرا[11] من بدعة أولئك المعتزلة، وكلتا[12] الطائفتين نشأت من البصرة.

---

(١) ب ، ت : لكن.
(٢) فيه : سقطت من (غ).
(٣) ح : علمه.
(٤) ت : الذين هم.
(٥) نوع : سقطت من (ب ، ت).
(٦) بدع مع : سقطت من (غ ، م ، ر).
(٧) كذا في (ت)، النسخ الأخرى : ويصيرون.
(٨) ت : معتزلة.
(٩) ب : لجماعة من المسلمين.
(١٠) ر : وسننهم.
(١١) ت : شر.
(١٢) كذا في (ح)، وفي النسخ الأخرى : وكلا.

فضل صحابة رسول الله والوصية باتّباعهم

وإنما دين الله ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، وهو الصراط المستقيم، وهو طريق[1] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، خير القرون، وأفضل الأمة، وأكرم الخلق على الله[2] بعد النبيين، قال تعالى[3] : ﴿ والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(٤) فرضي عن السابقين الأولين[5] رضاء مطلقا، ورضي عن التابعين لهم بإحسان، وقد قال النبي[6] صلى الله عليه وسلم (٧ في الأحاديث الصحيحة[7] : (خير القرون القرن الذي[8] بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)(٩).

---

(١) كذا في (ت ، ح) ، ب : وطريق، النسخ الأخرى : وهو طريقه.
(٢) على الله : سقطت من (ب ، ت) ، ح : على الله تعالى.
(٣) م ، ب ، ر : قال الله تعالى.
(٤) سورة التوبة : ١٠٠.
(٥) الأولين : سقطت من (ب ، ت).
(٦) النبي : ليست في (م ، ت) ، ب ، ر : وقد قال رسول الله.
(٧ ــ ٧) ما بينهما ليس في (ب ، ت ، ر).
(٨) ت : خير القرون الذين.
(٩) هذا بعض من حديث روي عن مجموعة من الصحابة رضوان الله عنهم، بطرق متعددة وألفاظ مختلفة خاصة في صيغة لفظ الخيرية، وهل ذكر الرسول بعد قرنه قرنا واحدا أو اثنين أو ثلاثة. انظره عن عبد الله بن مسعود في صحيح البخاري ٥/٢٥٩ (رقم ٢٦٥٢) كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ٧/٣ (رقم ٣٦٥١) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ١١/٢٤٤ (رقم ٦٤٢٩) كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ١١/٥٤٣ (رقم ٦٦٥٨) كتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال أشهد بالله أو شهدت بالله، صحيح مسلم ٤/١٩٦٢ــ١٩٦٣ (رقم ٢٥٣٣) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، جامع الترمذي ١٠/٣٦١ــ٣٦٢ المناقب، باب ما جاء في فضل من رأى النبي وصحبه، سنن ابن ماجه ٢/٧٩١ (رقم ٢٣٦٢) كتاب الأحكام باب كراهية

وكان عبد الله بن مسعود [رضي الله عنه][1] يقول : من كان منكم مستنّا فليستنّ بمن قد[2] مات، فإن الحيّ لا تؤمن[3] عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد[4] صلى الله عليه وسلم، أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه[5] صلى الله عليه وسلم، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم

الشهادة لمن لم يستشهد، مسند أحمد (ط. دار المعارف) ٥/٢٠٩ (رقم ٣٥٩٤) وكرر بالأرقام ٣٩٦٣، ٤١٣٠، ٤١٧٣، ٤٢١٧.

وعن عمران بن حصين في صحيح البخاري ٥/٢٥٨ـ٢٥٩ (رقم ٢٦٥١)، ٧/٣ (رقم ٣٦٥٠)، ١١/٢٤٤ (رقم ٦٤٢٨)، ١١/٥٨٠ـ٥٨١ (رقم ٦٦٩٥) كتاب الأيمان والنذور، باب إثم من لا يفي بنذره، صحيح مسلم ٤/١٩٦٤ـ١٩٦٥ (رقم ٢٥٣٥)، سنن أبي داود ١٢/٤٠٩ـ٤١١ كتاب السنة، باب فضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، جامع الترمذي ٦/٤٦٩ـ٤٧١ في الفتن، باب ما جاء في القرن الثالث، ٦/٥٨٦ـ٥٨٧ في الشهادات، مسند أحمد (ط. دار صادر) ٤/٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٠.

وحديث أبي هريرة عند مسلم ٤/١٩٦٣ـ١٩٦٤ (رقم ٢٥٣٤)، وأحمد (ط. دار المعارف) ١٢/٩٠ (رقم ٧١٢٣) وفي (ط. دار صادر) ٢/٤١٠، ٤٧٩.
وحديث عائشة في صحيح مسلم ٤/١٩٦٥ (رقم ٢٥٣٦)، وفي مسند أحمد (ط. دار صادر) ٦/١٥٦.

وحديث النعمان بن بشير في مسند أحمد (ط. دار صادر) ٤/٢٦٧، ٢٧٦، ٢٧٧.

وحديث بريدة في مسند أحمد (ط. دار صادر) ٥/٣٥٠، ٣٥٧. وأخرج الحديث آخرون عن هؤلاء وغيرهم من الصحابة.

(١) رضي الله عنه : ليست في (غ ، م).
(٢) قد : سقطت من (ب).
(٣) غ ، ب ، ر : لا يؤمن.
(٤) ح : أصحاب رسول الله.
(٥) غ : لصحبة نبيه محمد.

كانوا على الهدى المستقيم(١). وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[٢] : يا معشر القراء استقيموا وخذوا[٣] طريق[٤] من كان قبلكم، فوالله لئن اتبعتموهم[٥] لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا(٦).

وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا، وخط خطوطا[٧] عن يمينه وشماله، ثم قال : (هذا[٨] سبيل الله وهذه سبل[٩] على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾(١٠).

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله)، ص ٣٦٨ عن قتادة قال : قال ابن مسعود، وهو في شرح السنة للبغوي ٢١٤/١، وذكر الشيخ الألباني في هامش مشكاة المصابيح ٦٨/١ أن الهروي أخرجه أيضا من طريق قتادة عن ابن مسعود، قال : «فهو منقطع».

(٢) ح : رضي الله عنهما.

(٣) ب : واحذروا.

(٤) غ : طرائق.

(٥) ت : اتبعتموه.

(٦) في صحيح البخاري ٢٥٠/١٣ (رقم ٧٢٨٢) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن أبي نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال : يا معشر القراء استقيموا، فقد سبقتم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا.
قال ابن حجر [فتح الباري ٢٥٧/١٣] «سبقتم هو بفتح أوله كما جزم به ابن التين وحكى غيره ضمه والأول المعتمد».

(٧) غ ، م ، ب : وخط حوله خطوطا.

(٨) ت : هذه.

(٩) ت : السبل ، ر : هذا سبيل الله وهذا سبيل.

(١٠) سورة الأنعام : ١٥٣. والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (ط. دار المعارف)

وقد أمرنا سبحانه وتعالى[١] أن نقول في صلاتنا[٢]: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾(٣) قال[٤] النبي[٥] صلى الله عليه وسلم : (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون)(٦)، وذلك لأن اليهود

٨٩/٦—٩٠ (رقم ٤١٤٢)،٦/١٩٩ (رقم ٤٤٣٧)، الحاكم في مستدركه ٢/٣١٨ وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، الدارمي ١/٦٧—٦٨، ابن حبان ص ٤٣٠—٤٣١، الطبري في تفسير الآية (ط. دار المعارف) ١٢/٢٣٠ (رقم ١٤١٦٨)، وآخرون، انظر لذلك تفسير ابن كثير ٣/٤٢٧—٤٢٨.

(١) كذا في (غ)، وفي (ب ، ر) : وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى، م ، ت : وقد أمرنا الله سبحانه، ح : وقد أمرنا سبحانه.

(٢) ب ، ر : صلواتنا.

(٣) سورة الفاتحة : ٦—٧.

(٤) قال : كذا في (غ)، م ، ح : وقال، النسخ الأُخرى : وقد قال.

(٥) النبي : ليست في (ت).

(٦) روى الإمام أحمد في مسنده (ط. دار صادر) ٤/٣٧٨—٣٧٩ ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة قال سمعت سِمَاك بن حرب قال سمعت عبّاد بن حُبيش يحدث عن عَدِي ابن حاتم في قصة إسلامه وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى). ورواه الترمذي ٨/٢٨٦—٢٨٩ تفسير القرآن (سورة فاتحة الكتاب) أخبرنا عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم ولفظه (فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضُلاّل). وقال عنه «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب، وروى شعبة عن سماك بن حرب عن عبّاد بن حبيش عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله».

ويشير ابن كثير إلى ما قاله الترمذي هنا ويستدرك ١/٥٤ «قلت وقد رواه حماد ابن سلمة عن سماك عن مُرِّي بن قَطَرى عن عدي بن حاتم .. وهكذا رواه سفيان ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم [قلت : وهما روايتان عند الطبري (ط. دار المعارف) ١/١٨٥، ١٨٦ صحح الشيخ أحمد شاكر إسناديهما] وقد روى حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها».

عرفوا الحق ولم[1] يتبعوه، والنصارى عبدوا الله بغير علم. ولهذا كان يقال : تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون. وقال تعالى[2] : ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى** ﴾(٣)، قال ابن عباس رضي الله عنهما[4] : تكفّل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه[5] أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، وقرأ هذا الآية.(٦)

وكذلك قوله تبارك وتعالى[7] : ﴿ **الٓمٓ * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ**

---

(١) ب ، ت : فلم.

(٢) م : وقال الله تعالى.

(٣) سورة طه : ١٢٣. في (غ) : (... ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا).

(٤) غ ، م ، ر : رضي الله عنه.

(٥) ب : وعمل به.

(٦) روى الطبري في تفسيره ١٦/١٦٣ من ثلاثة طرق عن ابن عباس قال : تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. ثم تلا هذه الآية (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)، ومن طريق رابعة عنه أيضا وذكر قريبا من هذا المعنى.

وأورد الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٦٩ عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب يوم القيامة وذلك ان الله عز وجل قال : (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) وقال عنه : «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه أبو شيبة وهو ضعيف جدا». وفي الدر المنثور ٤/٣١١ ساقه السيوطي عن ابن عباس مرفوعا كما في مجمع الزوائد، وموقوفا بمعنى ما روى الطبري وذكر مخرجيه في الحالين.

(٧) كذا في (غ)، النسخ الأخرى : وكذلك قوله تعالى.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾(١)، فأخبر سبحانه وتعالى[2] أن هؤلاء مهتدون مفلحون، وذلك خلاف المغضوب عليهم والضالين[3].

فنسأل الله العظيم[4] أن يهدينا وسائر إخواننا صراطه المستقيم[5] : صراط الذين أنعم[6] عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ولا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم][7]، والحمد لله رب العالمين[8]، وصلى الله على خير خلقه عبده ورسوله محمد[9] وآله[10] [وصحبه[11]] وسلم تسليما [كثيرا إلى يوم الدين[12]].

(١) سورة البقرة : ١-٥.

(٢) سبحانه وتعالى : في (غ) فقط.

(٣) غ ، ر : ولا الضالين.

(٤) العظيم : ليست في (ح).

(٥) م : صراط المستقيم، ر : إلى صراط المستقيم.

(٦) م ، ر : أنعمت ، ح : أنعم الله.

(٧) العلي العظيم : زيادة من (م ، ب ، ت) ، ح : وحسن أولئك رفيقا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٨) والحمد لله رب العالمين : في (غ ، ح)، وفي النسخ الأخرى جاءت بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

(٩) غ : وصلى الله على محمد، ح : وصلى الله على سيدنا محمد.

(١٠) ح : وعلى آله.

(١١) وصحبه : ليست في (غ).

(١٢) غ : وسلم تسليما ، ح : وسلم تسليما كثيرا، ت : وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين، النسخ الأخرى : وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

الفهـــارس

فهرس الآيات القرآنية

فهـرس الأحـاديث النبويـة

فهـرس آثـار الصحـابـة

فهــرس الشعــر

فهرس الفرق والطوائف (*)

(*) الأرقام المحاطة بالأقواس تشير إلى الصفحات التي عرّفت فيها بالفرق.

فهـــرس الأعـــلام (*)

(*) الأرقـام المحاطـة بالأقواس تشير إلى الصفحات التي ترجمت فيها للأعلام.

فهـــرس الأمـــاكـــن

فهـــرس الكتـــب

فهرس مراجع التحقيق

كتب التفسير :

تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آى القرآن»، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، ط. دار المعارف بمصر.

تفسير الطبري، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٢ — ١٩٧٢.

تفسير البغوي «معالم التنزيل»، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي. بهامش تفسير ابن كثير، ط. المنار بمصر.

تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمرو بن كثير، الطبعة الأولى، ط. المنار بمصر.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الناشر : محمد أمين دمج، بيروت.

الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط. مصطفى الحلبي، القاهرة ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٨ م.

مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، الطبعة الثانية، طهران.

معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط. دار الكتب، القاهرة، ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م.

تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق / السيد أحمد صقر، ط. عيسى الحلبي، ١٣٧٨ هـ ـــ ١٩٥٨ م.

مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق / عبد الصمد شرف الدين، بمباي ـــ الهند، ١٣٧٤ هـ ـــ ١٩٥٤ م.

كتب الحديث :

صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، وشرحه فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، ط. السلفية.

صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، ط. عيسى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤ هـ ـــ ١٩٥٥ م.

شرح النووي لصحيح مسلم، ليحيى بن شرف النووي، ط. حجازي بالقاهرة.

سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، وشرحه عون المعبود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان، ط. السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية.

مختصر سنن أبي داود، للمنذري، ومعه تهذيب سنن أبي داود لابن القيم، تحقيق / أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، ط. أنصار السنة، ١٣٦٧ هـ ـــ ١٩٤٨ م.

سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط. مصطفى الحلبي بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.

سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، وشرحه تحفة الأحوذي، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان، ط. السلفية بالمدينة المنورة.

سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، ط. عيسى الحلبي، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.

المسند، لأحمد بن محمد بن حنبل، شرح أحمد شاكر، الطبعة الثالثة، ط. دار المعارف بمصر.

المسند، لأحمد بن محمد بن حنبل، ط. دار صادر، بيروت.

الموطأ، لمالك بن أنس، ط. مصطفى الحلبي بمصر ١٣٤٩ هـ.

سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، الناشر : دار إحياء السنة النبوية.

السنة، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، (مخطوط، مكتبة المدينة المنورة العامة، حديث، الرقم العام ٩، الرقم الخاص ٢٣٢).

موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق / محمد عبد الرزاق حمزة، ط. السلفية.

المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد النيسابوري المعروف بالحاكم، الناشر، مكتبة النصر الحديثة ـــ الرياض.

شرح السنة، للبغوى، تحقيق / شعيب الأرناؤوط، زهير الشاويش، ط. المكتب الاسلامي.

الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق / مصطفى محمد عماره، الناشر دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ ـــ ١٩٦٨ م.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ط. القدسي، القاهرة ١٣٥٢ م.

نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط. دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣ م.

الجامع الصغير من حديث البشير النذير للسيوطي، وشرحه فيض القدير لمحمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١ هـ ـــ ١٩٧٢ م، الطبعة الثانية.

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، مطبعة بريل، ليدن ١٩٣٦ ـــ ١٩٦٩ م.

تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور عل ألسنة الناس من الحديث، لعبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني، الطبعة الأولى، ١٣٢٤ هـ بمصر.

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق / أحمد

القلاش، ط. مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الأولى، ١٣٤٩ هـ.

الأذكار «حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار»، ليحيى بن شرف النووي، تحقيق / عبد القادر الأرناؤوط، ط. دار الملاح ١٣٩١ – ١٩٧١ م.

غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، الطبعة الأولى، حيدر آباد – الهند ١٣٨٤ – ١٣٨٧ هـ.

النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد (ابن الأثير الجزري)، تحقيق / طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحى – الناشر المكتبة الاسلامية.

سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.

خطبة الحاجة، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ط. المكتب الإسلامي، ١٣٨٩ هـ، بيروت.

كتب التوحيد والكلام والفرق :

الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل، ضمن مجلد بعنوان عقائد السلف، نشرته منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ م.

خلق أفعال العباد، للبخاري ضمن مجلد بعنوان عقائد السلف، نشرته منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧١ م.

التوحيد وإثبات صفات الرب، لأبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة، ط. المنيرية بمصر ١٣٥٤ هـ.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٣٨٩ هـ ـــ ١٩٦٩ م، القاهرة.

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي، ١٣٨٨ هـ ـــ ١٩٦٨ م.

التمهيد، لأبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، تحقيق / الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٧ م.

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، لهبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان (دار طيبة ـ الرياض).

الشفاء لابن سينا، تحقيق / الأب قنواتي، سعيد زايد، ط. الأميرية، القاهرة، ١٣٨٠ هـ ـــ ١٩٦٠ م.

النجاة، لابن سينا، الطبعة الثانية ١٣٥٧ هـ ـــ ١٩٣٨ م.

أصول الدين، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الطبعة الأولى، استانبول، ١٣٤٦ هـ ـــ ١٩٢٨ م.

الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم، للبغدادي، ط. المعارف بمصر ١٣٢٨ هـ ـــ ١٩١٠ م.

الآثار الباقية عن القرون الخالية، لأبي الريحان محمد بن

أحمد البيروني، ط. مكتبة المثنى، بغداد.

الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، ط. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ ـــ ١٩٧٥ م.

الأسماء والصفات، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الرسالة القشيرية، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الطبعة الثانية (ط. مصطفى الحلبي) بمصر ١٣٧٩ هـ ـــ ١٩٥٩ م.

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، لمحمد بن مالك بن أبي الفضائل، ط. الأنوار، ١٣٥٧ هـ ـــ ١٩٣٩ م.

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر الاسفرايني، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٧٤ هـ ـــ ١٩٥٥ م.

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لعبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق / د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٦٩ هـ ـــ ١٩٥٠ م.

الشامل في أصول الدين، للجويني، حققه وقدم له د. / علي سامي النشار وآخرون، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩ م.

فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي، تحقيق /

د. عبد الرحمن بدوي، ط. الدار القومية القاهرة، ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ م.

معيار العلم، للغزالي، تحقيق / د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر ١٩٦١ م.

مقاصد الفلاسفة، للغزالي، تحقيق / د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر ١٩٦١ م.

الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، بهامش الفصل لابن حزم، ط. دار المعرفة.

نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، تحقيق / الفرد جيوم، لندن ١٩٣٤ م.

الحور العين، لأبي سعيد نشوان الحميري، تحقيق / كمال مصطفى، ط. السعادة بمصر، ١٩٤٨ م.

تلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ.

الأربعين في أصول الدين، لفخر الدين الرازي، الطبعة الأولى، حيدر آباد ١٣٥٣ م.

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين الرازي، تحقيق / علي سامي النشار، ط. النهضة، القاهرة، ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٨ م.

أبكار الأفكار في أصول الدين، لسيف الدين أبي الحسن الآمدي (مخطوط) فيلم في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية لجامعة الملك سعود بالرياض رقم ٣٤ المجموعة الخاصة مصور عن

مخطوط رقمه ٢١٦٥ بمكتبة اياصوفيا بتركيا.

غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي، تحقيق / حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م.

قواعد عقائد آل محمد (الباطنية)، لمحمد بن الحسن الديلمي، ط. السعادة بمصر، ١٣٦٩ هـ ــ ١٩٥٠ م.

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق / محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، ط. السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٩ هـ ــ ١٩٥٠ م.

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، تصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ.

التسعينية ضمن المجلد الخامس من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ط. كردستان، القاهرة، ١٣٢٩ هـ.

تفصيل الإجمال فيما يجب لله من صفات الكمال ضمن مجموع رسائل ومسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط. المنار بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٩ هـ.

جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، لابن تيمية، ط. السلفية، القاهرة، ١٣٧٥ هـ.

شرح العقيدة الاصفهانية ضمن المجلد الخامس من مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ط. كردستان، القاهرة، ١٣٢٩ هـ.

الرد على المنطقيين لابن تيمية، ط. الثانية، لاهور ــ باكستان، ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م.

الرد على النصيرية لابن تيمية، ضمن مجموع طبع بمطبعة المنار بمصر، ١٣٤٠ هـ.

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية.

وبهامشه، بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول كلاهما لابن تيمية، الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

النبوات، لابن تيمية، مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٤٦ هـ.

بدائع الفوائد لابن القيم، ط. المنيرية بمصر.

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، اختصره محمد بن الموصلي، الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

الخطط «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، لأبي العباس أحمد بن علي المقريزي، ط. صادر — بيروت.

تاريخ الجهمية والمعتزلة، لجمال الدين القاسمي، الطبعة الأولى، ط. المنار بمصر، ١٣٣١ هـ — ١٩١٢ م.

تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم، الطبعة السادسة.

مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، ط. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى.

مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود، تأليف : دكتور س. بينيس Dr. S. Pines نقله عن الألمانية محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط. النهضة، القاهرة، ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م.

نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، تأليف : د. علي سامي

النشار، ط. دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة، ١٩٧٥ م.

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، لآدم متز، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، ط. الثالثة، القاهرة ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م.

كتب التاريخ والتراجم :

تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط. الاستقامة بالقاهرة، ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م.

البدء والتاريخ، لمطهر بن طاهر المقدسي، ط. المثنى ببغداد، ١٨٩٩ — ١٩١٦ م.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الطبعة الأولى، حيدر آباد، ١٣٥٩ هـ.

الكامل في التاريخ، لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير، بيروت، ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م.

البداية والنهاية، لعماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي المعروف بابن كثير، الطبعة الأولى، ١٣٤٨ — ١٣٥٨ هـ.

العبر وديوان المبتدأ والخبر لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون، ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغردي بردي الأتابكي، ط. المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر.

الطبقات الكبرى، لابن سعد، ط. دار صادر، بيروت.

تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق / د. إحسان عباس، ط. دار الثقافة، بيروت ـ لبنان.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، ط. القدسي، ١٣٥٠ هـ.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن محمد ابن حجر، تحقيق / محمد سيد جاد الحق، ط. المدني، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط. الحياة، بيروت ـ لبنان.

التاج المكلل، من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، للسيد صديق حسن خان، (بمباي، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م).

الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة.

معجم المؤلفين، وضع عمر رضا كحالة، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الثانية، حيدر آباد ـ الهند، ١٣٣٣ هـ.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق / علي محمد البجاوي، ط. عيسى الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م.

تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، ١٣٢٧ هـ.

تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق / عبد الوهاب عبد اللطيف، ط. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ ـــ ١٩٧٥ م.

لسان الميزان، لابن حجر، الطبعة الأولى، حيدر آباد، الهند.

اللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسين علي بن محمد ابن الأثير، ط. المقدسي بالقاهرة، ١٣٥٧ هـ ـــ ١٣٦٩ هـ.

طبقات الحنابلة، لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، مطبعة السنة المحمدية.

طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، الطبعة الأولى ط. الحسينية بمصر.

طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي، تحقيق / نور الدين شريبه، الطبعة الأولى، ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م.

حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط. السعادة بمصر، ١٣٥٢ هـ ـــ ١٩٣٣ م.

صفة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، الطبعة الثانية، حيدر آباد ـــ الهند.

الطبقات الكبرى، لعبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، الطبعة الأولى، ١٣٧٣ هـ ـــ ١٩٥٤ م، ط. مصطفى الحلبي.

تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الإمام أبي الحسن

الأشعري، لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، ط. التوفيق بدمشق، ١٣٤٧ هـ.

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي، تحقيق / د.س مرجيوث، ط. الموسكي بمصر.

طبقات النحويين واللغويين، لمحمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، حققه / محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار المعارف بمصر.

تاريخ الحكماء، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، مكتبة المثنى ببغداد.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعه، تحقيق / الدكتور نزار رضا، الناشر دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥ م.

طبقات الأطباء والحكماء، لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل، تحقيق / فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٥٥ م.

كتب اللغة والشعر :

الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطّار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٧ م.

لسان العرب، لأبي الفضل جماد الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت.

القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز

أبادي الشيرازي، المطبعة الميمنية بمصر، ١٣١٩ هـ.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـــ لبنان.

ديوان جرير، تحقيق / الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف بمصر، ١٩٧١ م.

الأمالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٤ هـ ـــ ١٩٢٦ م.

ذيل الأمالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٤ هـ ـــ ١٩٢٦ م.

سمط اللآلي، ويحتوي على : اللآلي في شرح أمالي القالي، للوزير أبي عبيد البكري، نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه ذيل اللآلي في شرح ذيل أمالي القالي، عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٤ هـ ـــ ١٩٣٦ م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.

شرح شواهد المغني لجلال الدين عبد الرحمن بي أبي بكر السيوطي، ط. دار مكتبة الحياة، بيروت ـــ لبنان.

كتب أخرى :

جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق / عبد الرحمن حسن محمود، ط. دار غريب، القاهرة.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ط. الرياض) الطبعة الأولى.

الفهرست، لابن النديم، مكتبة خياط ــ بيروت.

التعريفات، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، ومعه رسالة في اصطلاحات الصوفية، لابن عربي، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١ م.

مفاتيح العلوم، لمحمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، الناشر دار النهضة العربية، القاهرة.

كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ المولوي محمد بن علي التهانوي، منشورات شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، ١٩٦٦ م.

إحصاء العلوم، لأبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، تحقيق / د. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨ م.

معجم البلدان، تأليف أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، الطبعة الأولى.

الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون الطبعة الثانية، ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥ م.

حياة الحيوان الكبرى، لمحمد بن موسى الدّميري، الطبعة

الرابعة، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م.

الجماهر في معرفة الجواهر، لمحمد بن أحمد البيروني، الطبعة الأولى، حيدر آباد، ١٣٥٥ هـ.

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، لزكريا بن محمد ابن محمود القزويني، الطبعة الرابعة، ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م.

فهرس الموضوعات

فصــــل

الأصل الثاني ـ توحيد العبادة (١٦٥ـ٢٤١)

فصل (٢٠٧-٢٤١)

الفهـارس (٢٤٣-٢٩٤)